# درع السلحفاة

\*



## منحة الترجمة Translation Grant صندوق منحة الشارقة للترجمة Sharjah Translation Grant Fund

La Carapace de la Tortue by Marie-Laure Hubert Nasser
© Editions Passiflore, 2013
By arrangement with So Far So Good Agency

رواية رواية الطبعة الأولى: ۲۰۱۸ مرواية الطبعة الأولى: ۲۰۱۸ مرواية رواية رواية رواية رواية رواية رواية رواية رواية المداع: ۲۰۱۸ مرحم الإيداع: ۲۰۱۸ مرحم المعلق المعلق عام سليمان الترقيم الدولي: ٤ - ۸۰۸ - ۸۰۳ - ۹۷۸ - ۹۷۸ - ۹۷۸ - ۹۷۸ - ۹۷۸ - ۹۷۸ - ۱۳۵ مسليمان الكتب خان للنشر والتوزيع ® الكتب خان للنشر والتوزيع ® المعادي ـ القاهرة. ۱۳۵۲ مرد المعادي ـ القاهرة المعادي ـ القاهرة المعادي ـ ۱۳۵۲ - ۲۰۲۲ مرد المعادي ـ القاهرة المعادي ـ بريد المعادي ـ المعادي ـ سريد المعادي ـ وين سريد المعادي ـ س

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب، بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة، أو استخدام أي وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطّي من الناشر. Arabic Language Translation Copyright ® 2018 Al Kotob Khan for Publishing & Distribution. The Moral Rights of the author have been asserted. All rights reserved.



#### ماري لور هوبير ناصر

### درع السلحفاة

روايت

ترجمها عن الفرنسية لطفي السيد منصور



#### فهرسة أثناء النشر

الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية المصرية

درع السلحفاة : رواية/ تأليف ماري لور هوبير ناصر، ترجمة : لطفي السيد منصور - ط۱. - القاهدة: الكتر، خان للنشد والتوزيع، ۲۰۱۸

منصور. \_ ط۱. - القاهرة: الكتب خان للنشر والتوزيع، ۲۰۱۸ ۲۲کس، ۲۰ سم

تدمك: ٤ - ٨٨٨ - ٣٠٨ - ٧٧٧ - ٨٧٨

۱ – رواية

ناصر، ماری لور

رف. أ\_ العنوان

ب\_ منصور، لطفي السيد (مترجمًا)

رقم الإيداع: ١٩٧٢٥

الطبعة الأولى ٢٠١٨



"إنه لمشهد عظيم وبديع أن ترى الإنسان يخرج بطريقة ما من العدم بجهوده الخاصة".

چان چاك روسو

في ٧ شارع "فيريّر"

#### الطابق الأرضى، إلى اليمين

مزرية الملابس وسمينة للغاية، مرهونة بهيئة نُحتت من كتلة ضخمة، كتلة يعلوها غطاء رأس كي يُخفي وجهها. كانت تحاول التسلل، أن تدخل هذه البناية مُتزلقة عبر الجدران، دون أن تُلفت الانتباه. مجرد ظل صامت.

(الطابق الأرضي، إلى اليمين) بذلك كانت تشير قطعة ورق مكرمشة. أفلتت مقبض حقيبة سفرها ماركة "فويتون دانييه" ذات اللون البني؛ لتنبش برعونة في جيب بنطلونها الچينز الضيق. محشورة في معطف رث، تتحسس نفسها بعصبية. أين يمكن أن تكون قد وضعت هذه المفاتيح اللعينة؟! دفعت ركبتها قُبالة الباب كي تسند الكرتونة المليئة بالذكريات، عليها كان يتأرجح زوج بال من أحذية الكعب العالي. حررت يديها، حركات خرقاء. جسم هلامي، دائمًا ما تجد صعوبة في حالة التوازن. صمت متوتّر يسبق الأزمة.

تمزقت حقيبة كتفها فجأة في حركة بندولية عنيفة. مختلة التوازن، أطلقت سراحها. دوَّت ضجة هائلة في كل البناية. ترى انهيار كل أشياء حياتها. مرآة مكسورة.

"سبع سنوات من التعاسة"، همست. مرة أخرى.

تحجرًت، جالت بعينين زائغتين على الرخام الأبيض، الجبس والطلاء المذهب الذي يُزين بئر الدرج. على سجادة سميكة من القطيفة الحمراء ثُبِّت على الأرض بواسطة أعمدة نحاسية لامعة، بسطت متعلقاتها القليلة. كانت تتطلع، مشلولة، صامتة. غافلة عن هذا الجسد، هذا العجز عن السيطرة على معالمها، أوضاعها، تحركاتها الثقيلة. دون غضب. مجرد أذرع مُتدلية وقلب خامد. يا له من جهد طوال النهار! من أجل أي حركة! حتى للمضي قُدمًا.

صوت خطوات جعلها تقفز. هرعت إلى حُليّها الرخيصة وتذكاراتها التي عبأتها. سارعت إلى لف المفتاح في قفل صدئ، آملةً أن تُفلت من فضول جار جديد. لم تكن تحب مقابلة الناس، لم يكن الأمر بسيطًا أبدًا مع الآخرين. دائمًا ما ينتهي بها الأمر إلى التعرض للأذى. نظرة أولاً، ثم تطفح الكلمات.

كان الباب الخشبي الصلب ضخمًا. فقدت صبرها، تذلّلت له كليًا كي يستسلم. كانت الشقة تفوح برائحة الطلاء الطازج وبالحرارة المحاصرة بين الجدران. تكتشف "غرفتيها الصغيرتين". السقف مرتفع لدرجة شعورها بالبؤس. قصص كثيرة جدًّا في هذه البنايات المُترَّبة، تفر من الماضي. تفحصت الجدران مُفرطة البياض، لوحة جدارية مبتذلة، وردة نجمية سميكة ألصقت على عجل شديد، معوَجة قليلاً. كانت تحب النقص والتفاصيل التي تخون الحقيقة. هذا غير متوقع في هذا المكان

المُزيَّف، المُقلَّد، الرخيص. سرعان ما تم هذا التعيين بالنسبة لوصولها، فقط بالنسبة إليها. كانت الأرضية التي صنعت من الخشب السميك تطقطق تحت ثقلها. سارت نحو النوافذ الواسعة التي تعرض منظرًا مفتوحًا على مستودع "إنتربو لينيه"، متحف الفن المعاصر. أبواب كبيرة كحلية اللون على جدران رصاصية، مصباح نيون يومض في زاوية المبنى، حرف مطفأ منعها من فك شفرة النص الذي كانت تتخيل أنه شاعري.. فني. عادت إلى "بوردو". كانت قد غادرت هذه الضاحية الباريسية حيث كانت حياتها تتلاشى. صلاة مستجابة. العودة إلى مربع المقاطعة، عطر الطفولة. مبان شقراء مقببة الجذع، نهر رمادي متجمد بين عروق المدينة حيث يبدو الزمن مُعلقًا. لقد عادت أخيرًا. كانت قد نادتها مدينتها، مُطمئنة وشبقة، كما لو أنها تنقذها.

عبر شبكة القطار السريع في "إيل دو فرانس"، ذات صباح حزين، قررت أن تغلق حقيبتها وتهرب. بلطف، بدون كلمات، رجاء. لا تفسير. لم تكن تحب الكلام، كانت تنصت. تأمل في العثور على جذورها، قليل من الإنسانية.

سقطت هذه الشقة من السماء. أو بالأحرى، من إحسان عمتها. لقد تجرأت على الاتصال بها، طلبت منها المساعدة. استغرق منها الأمر أيامًا للاتصال برقمها. حدَّثت نفسها بأن ذلك سيكون أقل إيلامًا من الكتابة ومن عدم الحصول على رد. أخيرًا، سحبت من حقيبتها ورقة مطوية، خبأة هناك منذ عدة سنوات. مُغلِقة عينيها ومُخفيةً رأسها بين كتفيها، كانت تُحصي رنات الهاتف. بدت المرأة العجوز المشاكسة

سعيدة بسماع صوتها. شعرت بالارتياح. نوت أن تُسكِنها في أحد عقاراتها، كان قد أُخليت فيه إحدى الشقق. لم تطرح عليها أي أسئلة، فقط أحصت عدد السنين. محادثة لبضع دقائق مع اتفاق نهائي. مثل خزانة استسلمت. بريق أمل. كسرت علبة نقودها الحقيرة وردية اللون بضربات كعب حذائها الطويل الموقع عليه من ربة عملها، وانتهى بها الأمر إلى إخراج بعض الأوراق النقدية المطوية لدفع ثمن تذكرة ذهاب فقط إلى "مونبارناس – بوردو – سان ـ جان". طوت الصفحة بأسرع ما يكون.

تركت عمتها في الشقة أثاثًا منهكًا لمساعدتها. "من أجل البداية"، كُتبت ْ لها بسرعة على ورقة بيضاء موضوعة على الأرض. خط جميل، قويم للغاية.

لم يكن لدى "كلوتيلد داكوين دارساك" أي شيء.

بالكاد عدد قليل من مستحضرات التجميل، والصور القديمة، والكتب التي تُسبِّب سيلاً من العطسات المُرجرجة عندما كانت تقربُها بشدة من أنفها. كوب عليه اسمها اشترته من متجر للهدايا التذكارية، تتأثر بقراءته في أي مكان، الدليل على أنها موجودة إلى حدِّ ما. برج "إيفل" مصغر في كرة ثلجية، برَّاق إلى حدِّ ما؛ كي تتذكر أحلامها، آمالها العظيمة عندما كانت تهزه وتشاهد الندف المتطايرة. بعض الأحذية والملابس القديمة. معطف واسع للغاية كان يخفيها كخيال مآتة. قبعة صوف سوداء ثبتتها على رأسها منذ سنواتها الخمسة عشر.

هذا كل شيء، لقد رحلت. آملة في العيش قليلاً. تفتح عينيها في الصباح متخيلةً قصة أخرى غير تلك لتزيل آثار الآخرين. الحياة اليومية للغرباء تأتي لتتسجل بكل عاداتهم، من الأرضيات إلى الأسقف، من الغرف إلى سلطانيات الحمامات، من الاستيقاظ إلى النوم. لقد سئمت مشاركة هذه العلاقة الحميمية. مشمئزة من هذه الروائح التي كانت تثب في وجهها وهذه الحيوانات المهووسة التي تمحوها الكثير من المنظفات. هذه الحياة التي لم يكن فيها أمل أو غد، تحملها مثل حقيبة قديمة تُثقل ظهرها، تزداد ثقلاً يومًا بعد يوم. هي لم تطالب بأن تصبح شخصًا أخر، فقط كانت تريد الحق في الوجود. بكل تواضع.

من الوهلة الأولى، أحبَّت هذه الأريكة المخملية الخضراء القديمة بمسندي ذراعيها اللذين قرضهما قِط، طاولة القهوة الفورمايكا الملونة بلون برتقالي زاو، المصباح المتذبذب، والمواعين البالية والمتكسرة إلى حدِّ ما التي لا يمكنها مضطرة رميها. كان كل هذا ينسج معجزة في نظرها. إنسانة في منزلها. كنزُ أنها سوف تكون قادرة على التنقل، وأن الأمسيات ستكون فريدة ووديعة.. كتاب سميك يستريح على المعدة، وسادة تحت رأسها، منظر مكشوف على قدميها العاريتين، ثم على الشارع.

تركت المرأة الشابة نفسها تهوي على الأريكة، كانت في حالة جيدة. تقريبًا مسترخية، خاملة، مستقرة، في الحر، منطوية على بطنها. الجفون مغلقة بالكاد، فيما كانت تبدأ في الغوص في خدر لطيف بينما تسمع ضربات عنيفة. فتحت عينيها دهِشة. تأتيها من السقف. طرقات

حيوية وقصيرة وإيقاعية، أشبه بتلك الموجودة في المسرح للإعلان عن فتح الستارة. انتصبت على قدميها، شديدة الانتباه، كانتا تقودانها. كانت تعرف ذلك. ذكرى من حياة ماضية، ليس أبدًا اسمها. بالأحرى أصوات مكتومة أو حادة. مما يعني أن يفقد المرء صبره.

هذه الضربات التي هزت شقتها للتو كانت قادمة من الطابق العلوي. كانت عمتها، بكل تأكيد. لم تكن قد غيّرت ما أسماه جميع أفراد العائلة بالآفة، العجوز المجنونة، الإرهاب. تذكرت احتياجها. ثم إن خمس سنوات في خدمة البورجوازيين القُساة علمتها الشفرات. أصوات نفاد الصبر، والإقلاق، والإلحاح. لم تكن في حاجة لأي تفسير لفهم أنها اضطرت إلى صعود الدرج بسرعة مضاعفة. غرست قبعتها في رأسها وأمسكت المفتاح. عندما صُفق الباب، كانت بالفعل على بسطة درج عمتها، تطرق بأقصى خفة ممكنة على الباب الخشبي المزدوج.

كانت تنتظر. لاهثة ، مقطوعة النفس. تتلألاً قطرة من العرق على جبينها. رد فعل محموم من جسدها السمين والمرتعد كان سيحدث طوعًا. ساد صمت ثقيل في الشقة. تسربت رائحة نفاذة من مسام جلدها، دومًا كانت كذلك عندما تكون خائفة. علاوة على ذلك، بقدر ما تعود بذكرياتها، كانت دائمة الخوف.

عاد إلى ذاكرتها حاجبا والدها المقطبان. نظرة باردة، مظلمة مثل بالوعة. تلك التي كان يُظهرها عندما تصطدم بطاولة غرفة المعيشة عن طريق الخطأ، مرسلة إبريق الشاي الخزفي يدور حول نفسه. إن السحنة

الجليدية لوالدتها، المنهارة بسبب العديد من الحماقات، كانت تحدج ابنتها الوحيدة بوصفها مكتظة. كائن لا شكل له يعوق المرور، تُجر بين قدمين، مُعَرقِلة.

كيف يمكن لأولئك الناس ذوي هذا النسل الجميل تصور هذه الذرية البشعة؟ هذا ما بدت تقوله نظرتها الغاضبة. وصمة عار، مثل ندبة في قلب وجود شبه مثالي. شجّة في حياة كان كل ما فيها مرتبًا وأنيقًا. فوفقًا لهذه الطفلة ذات الوجه غير الواضح، الجسم الثقيل، الإيماءات الخرقاء، الخطوة الثقيلة والروح الرمادية... حتى الرعاية في مراكز التجميل والمشتريات الفاخرة من أغلى المتاجر لا يمكن أن تفعل شيئًا لوجود هذه الصورة الظلية غير المكتملة. وأمّها، اليائسة لعدم قدرتها على إلقاء خُطب على المجتمع في مواهب ابنتها، كانت قد وجدت ملجأ في نوادي "البريدج" التي كانت تخرج منها مُفعمة بالنسيان والشمانيا.

قد يكون والدها أحبها. أحبها بالتأكيد، لكنها لم تعد تعرفه.

"كلوتيلد"ته. هو من اختار لها هذا الاسم. كان اسم حبّه الأول، كان حريصًا على عدم قول ذلك. يمكن للمرء أن يعتقد أنه انتقام السماء. لقد وعد بالاعتزاز بها لبقية حياته، قابضًا عليها هناك، في راحته، الصغيرة جدًّا.

على مرِ السنين، كان يحاول دفن مشاعره، حتى لا يعود لمضايقة زوجته. الكثير من النحيب، والبكاء، والأزمات في الليل، ثم في النهار.

دائمًا. حاول طويلاً أن يبرر سلوك كلوتيلد، وأن يدافع عنها، وأن يعفو عن حماقاتها، ويمحو افتقارها إلى الرشاقة. تلك التي لم نقل إنها جميلة، ولا مليحة ولا لطيفة. لم تكن تشبه هذه أو تلك. كنا ننحني على المهد مؤكدين كيف كانت حكيمة، بعد صمتٍ حرج. كم هو رائع أن يكون لديك طفل هادئ للغاية! نتذكر هؤلاء الآباء الذين لم يعودوا ينامون، ولا يعرفون ما يجب فعله مع هؤلاء الأطفال حديثي الولادة الصارخين. هذه الرضيعة مفتقدة البراعة، كانت طفلته. ستأتى الرشاقة مع الوقت حسبما تروي قصة "فرخ البط القبيح". كان يشعر بالثقة. شعر بالضجر من الحرب، وتوسل إلى زوجته أن تحاول أن تحبها، بكل بساطة. رمقته مارتا بنظرة مويِّخة، متجاهلة، خادشة. كانت تخيفه أحيانًا. كان الأمر أكبر من قواه على النضال. مع كبره، تُفاقِم حججه العقوبات، تزيد الكراهية. انتهى به الأمر أنه لم يعد يرى ابنته، لعدم وجود الشجاعة، لإنقاذها من الغضب والضرب. تقريبًا مثل هذا المعطف الذي كان يُعلِّقه على المشجب دون أن يدركه، كان ينساها هناك لعدة أيام، ثم يتذكر أنها كانت طفلته. المعاناة، العقوبات والتعفف، وفي بعض الأحيان حتى العنف. لقد استسلم دون أن يفهم لماذا لا تحبها هذه الأم! ابنتها، جسدها ودمها، هذه المرآة المشوهة التي يشبر بها هذا الكائن إليه. الرؤية المشوهة لأخطائه. هذا الاختيار السيئ للجينات، هذه المعركة، هذا النضال، هذا الشجار، هذا الصمت، هذه الغيابات، هذا الجهل. لقد استسلم. تعايشت كلوتيلد مع كل هذا. فهمت أنها لم تكن كما هو متوقع، لم تكن تعرف ما الخطأ مع والدتها. حافظت على المسافات. كانت تستمتع بالتجول في المطابخ. تثرثر مع لولا، مدبرة المتزل التي تأتي كل يوم وتلعب معها، منذ طفولتها المبكرة جدًّا. تصعد على المكنسة الكهربائية وتترك نفسها تنجرُ بعيدًا وهي تضحك. تلسع نفسها أثناء الكي لجذب الانتباه. تجهز الطعام من أجل لعق الطبق والجلوس على ركبة لولا. تعبث بقلادتها، بأشرطة فساتينها، بشبشبها. تبحث في حقيبتها فتجد ريشة أو حلوى. غالبًا ما كانت تمر بالقرية لزيارة جدتها الحبيبة، جدة لطيفة وحنونة. تعبت من العيش وحدها في منزل حيث أقل ضجيج يضخم فراغ هذه العجوز التي تكفلت بها أثناء رحلة الطيران. سيدة مسنة أحبت هذه الطفلة لأنها سمينة وخرقاء. الطفلة التي كانت تستطيع التقاط الحب أينما يكون. فتاة صغيرة حلوة كانت تُحِب للأبد. حتى العجوز، الهشة، المتحمسة والمتذمرة، حتى آخر نفس.

بقية الوقت، كانت كلوتيلد تستنفد كل طاقتها من أجل ألا تلاحظ. كان بمقدورها البقاء لساعات كاملة، بلا حراك تقريبًا، معجبة بالنار في المدخنة أو بحفيف الأشجار في الحديقة. غير مرئية لحين الكارثة القادمة. فقد تصطدم بقطعة أثاث أو تمسك بالخطأ طرف بساط. تصفق بابًا، تقلب طاولة وهي تجري. هذه الحوادث التي وقعت مع الجميع أثارت معها مجموعة من العواقب المدوية والمذلّة. لقد حطمت عدة أشياء، ووجدت نفسها مبللة بالكامل أو مطلية، حتى قبل أن تفهم ما حدث للتوّ. كانت والدتها ترفع حاجبها بالكاد، وتطلب المساعدة وهي

تهز جرسًا حادًا، وتتحاشى أن تسأل إذا ما كانت ابنتها قد أصيبت بأذى في هذه العملية. أخذت هذه الأخطاء الفظيعة أهمية حقيقية في وجود الضيوف. كانت الوجبات العائلية تجارب حقيقية. بعد ذلك، بدا أن كلوتيلد قد وضعت خطة لعمل فقرة سيرك تنتهي دومًا إلى قدر غير متوقع من الإذلال. فقرة الكاحل الملتوي الذي أدى إلى سقوطها من خلال فتحة لتنزلق على الدرج فينتهي بها الأمر إلى كسر أنفها على جدار المدخل. هذه السقطات مذهلة. يتعلق جسدها للحظة في الفراغ ليصدم بعد ذلك بشدة. سلسلة من المصائب والأشياء المحطمة التي تُبعِد أي شخص، حتى أولئك المتساعين. خوفًا من أن يكون في عين الإعصار، من أن يكون مثار سخرية، من أن يجعل الآخرين يضحكون. لا أحد يستطيع أن يتحمل ذلك.

وقد تو جت الحادثة الأخيرة القربان المقدس لابنة عمها أليس. لقد احتشدت الأسرة بأكملها. خرجت هي مسرعة من مراحيض بيت كاهن الرعية لتفادي الارتباك أثناء القداس، كما قالت أمها غير الصبورة، كانت كلوتيلد قد أنجزت دخولاً رائعًا وهي تعبر الكنيسة بأكملها، بينما فستانها العالق في "الكولون"، يكشف عن أرداف متدلية على فخذ سمينة وطرية. نظرات ثابتة، صامتة، متحجرة. إنها طفلة. المسكينة. نعم طفلة مسكينة. كانت فخورة جدًّا بعبور هذا الممر الطويل دون وقوع حوادث. التزمت الجانب الأيمن تمامًا وهي تصعد صحن الكنيسة وسارت دون إبطاء، كما تم تعليمها. وعند جلوسها شعرت بخشب المقعد البارد جدًّا على جسمها، وفهمت الهمسات والسخريات

التي سرت بين الصفوف. بقيت بلا حراك ومتوترة، ولم تجرؤ على البحث عن المساعدة في عين أي شخص. حينئذ كانت الانتحابات قد أخذت طريقها إلى قلبها ولم تغادره أبدًا. كانت الدموع قد بدأت تتدفق على طول خديها الممتلئين، ولم تجف في الأيام التي تلت ذلك. دموع حياة كاملة شملتها كما قرية ابتلعت جميع مصائبها الماضية. قطرات من الحزن جعلت الضيوف يفرون، غير قادرين على إيجاد كلمات لمواساتها. عذروها على هذا الموقف الحزين. اقتربوا منها، وضعوا اليد على كتفها. لم يودوا أن يكونوا مثار سخرية الناس، فقط لمجرد عطفهم. بقيت وحدها لفترة طويلة بعد انطفاء الضوء في الكنيسة. حتى الشموع تخلت عن الحفاظ على الوميض، كما لو أن كل أمل يُمحى.

هرعت إلى "مترل والديها"، كما كانت تطلق عليه. أخذت حقيبة كبيرة، التي لم يكن مسموحًا لها لمسها، تلك التي وضعت في الأعلى من خزانة الملابس في غرفتها. للاحتجاج، لمرة واحدة. الحقيبة ماركة "فويتون" التي كانت أمها تحب إظهارها عندما تذهب في رحلة، الحقيبة التي حصلت عليها من أمها، وكأنها كانت تُظهر كل الثروة التي جعلوها تنمو، وقالت إنهم كانوا أكثر جمالاً عندما صمدوا أمام السنين. لذلك أخذتها. فلنفكر في هذه الجدة، المحوة من قبل الزمن، التي اشترت في نوبة جنون أربع حقائب شكلت سلسلة. لم تكن ترغب فيها حقًا، لكن المجموعة كانت تسمى "ألباتروس"، وكانت عالبًا تحلم بالبحر والطيور الكبيرة. كانت تحب اللهب بجنون. كانت تعلم تمامًا أن هذا الشراء إسراف محض. وحرمتها والدتها من كل شيء بعد ذلك، المشتريات

والشيكات. لم تعد العجائز تسافر، لن ينفقن بعد. خفضت الجدة رأسها بحزن. في ذلك المساء، كانت قد حلَّقت بحريتها بعيدًا مع طيور "ألباتروس" كبيرة الأجنحة.

كدَّست كلوتيلد كل ما وجدته في تلك الحقيبة الجميلة التي انتزعت الكثير من التنهدات من جدتها، وجرت إلى المحطة. هدهدها القطار حتى العاصمة، إلى حياة أخرى، حيث لم تعد تسمع أبدًا الحديث عن والديها. صمت. نهاية الطفولة.

يومًا بعد يوم، اختفت الكرة التي نمَت في بطنها كما لو كانت قد عادت إلى قوقعتها.

بالتأكيد لم يكن عمل مدبرة منزل الذي التقطته ممتعًا، ولكن على الأقل كان لديها منزل، دون كراهية. فقط الصفاء ما كانت تبحث عنه. ومن ثم تنظيف الآخرين، إنه بمثابة استحمام. كان يلزمها القليل من الإذلال، الكثير من التعب للشفاء. فلتدعك، فلتدعك هذه المشاكل مرة أخرى حتى تختفي. خلال هذه السنوات الخمس، أصبحت هي الشخص الذي يُنسى بمجرد إغلاق الغرفة. الغائبة. كانت تؤدي مهامها دون أي شيء في المقابل. اللؤلؤة، كما أسماها رؤساؤها الذين ظنوا أنها لم تكن تسمع أيضًا. تحديدًا ليست جوهرة، بل خادمة. "لا يمكن أن تمارس الجنس"، قال الأكبر سنًّا في العائلة، ضاحكًا بصوت عال مع رفاقه. "حتى في جزيرة خالية"، أضاف، مقلدًا جسدها المسترجل ومشيتها المترخة. "وأنا لا أحدثك عن المظهر! إنها شابة بعد، على ما

يبدو. لكن السجق يفعل كل شيء لتفاقم حالتها، أليس كذلك؟" انفجارات بضحك فظ. المراهقون قساة. الذين سرقوا من حقائب يد أمهاتهم ما يكفي لدفع ثمن الفودكا التي شربوها دفعة واحدة، قبل الذهاب إلى الفصل، ليمدوا أنفسهم بشجاعة البقاء على قيد الحياة في مستقبل دون طموح.

شاهدت هذا التمثيل الصامت البشع دون تفاعل، حتى تضع حدًا لذلك. لقد سمعت من ذلك الكثير، فمنذ سنها المبكرة وذلك ينساب على جلدها كما على ريش الطائر. وكان ذلك جيدًا. لم تكن تريد التحدث أو الإعجاب. فضَّلت الجهل، الصمت.

كان لديها سرير متزو، في متزل أصحاب العمل، في نهاية ممر تحت درج العمال. مكان مناسب إلى حدِّ ما وبعيد عن الآخرين. أخفت حقيبتها تحت صندوق الأرغن ولم تعاود فتحها أبدًا. جرجرت بؤسها وإسفنجتها ومكنستها الكهربائية، وثوبها القديم المشوّه، وبلوفرها الأسود البالي. في بعض الأحيان، عندما يغادرون جميعًا المتزل، كانت تُشعَلِ التليفزيون، وتكوي أكوام الملابس وتفكر في حياتها. سؤال مضحك في النهاية: ماذا يمكنها أن تأمل؟ بقي بلا إجابة. ثم لاذت بمسلسل تليفزيوني سقيم جاء لينتزع عقلها ويمتص شكوكها، مثل ضمادة.

حتى ذلك الصباح البارد عندما أرسلتها رئيستها للبحث عن كراسات النوتة الموسيقية للبيانو في متجر بالقرب من المركز التجاري

"ليه هال". نهضت مبكرًا لترتيب كل شيء قبل أن ترحل. كان ينبغي عليها أن تعود في الوقت المناسب لإعداد الغداء. "سلطة الخيار والدجاج المشوى". قالت المدام، ليس هناك خيار أو دجاج. من المستحيل القيام برحلة ذهاب وإياب بين "أنتوني وباريس" في مثل هذا الوقت القصير جدًّا. قضاء المشاوير، إعداد الطعام، تجهيز المائدة، تنظيف الأسرَّة، تنفيض الوسائد. الباقي، في وقت لاحق من اليوم. ركضت في أروقة شبكة القطار السريع في "إيل دو فرانس"، ثم ممرات المترو، التي بدت لها الأطول في العالم. سلالم على اليمين، سلالم متحركة حيث تمر على بعد خطوتين من السقوط. قدماها كبرتان جدًّا. مخفية. مرتبكة، من الناس الذين يدفعونها بصُررهم. ثمة امرأة تقاتل مع عربتها وطفلها من أجل تسلق بضع درجات من السلم، لم يهتم بها أحد. كانت غاضبة، كان الطفلَ يصرخ. يندفع حشدٌ كثيف دون رؤيتها، صدمها. سلم متحرك وممرات إلى ما لا نهاية. متشرد مستلق هناك، بلا حراك في بركة من البول. كانت تختلط رائحة الحريق برائحة شبكات الصرف. لافتات في كل اتجاه كان عليها اتِّباعها دون إبطاء. النساء والأطفال الذين يتسولون بين مقصورتين بصوتٍ رتيب، بصوتٍ معدني تقريبًا، جميعهم يتلو نفس النص. بؤس مُنظم. مد بشري متنوع الألوان.

ليست هذه باريس التي حَلُمتْ بها. كل هذا البؤس كانت تحمله بالفعل بداخلها.

تعمل سبعة أيام في الأسبوع مقابل إقامتها، ومقابل ساعات قليلة مُنِحت لها من أجل هذه السباقات المجنونة التي تجري تحت الأرض. يُقدم لها بعض الأوراق النقدية. كانت تحتفظ بالنقود.

غارقة في أفكارها، لم تكن قد رأت هؤلاء المراهقين الثلاثة يجلسون إلى جانبها على مقاعد المترو. ومع ذلك، شعرت بهذا الوجود الحيواني. النظرة السريعة. لتلك السمينة. التي جذبتهم مثل المغناطيس. التي تحول مسافرًا ما إلى فريسة. تقليد ماركة "بيرفيكتو"، سلال ضخمة برتقالية وذهبية. آخر صيحة. كرب شديد خنق صدرها وتلألأت قطرة على جبينها. نظروا إليها بشراهة، عما بدا أنهم يعدون بتسلية جيدة. الضحية المثالية، معقدة ومسمرة في مقعدها. تلك التي تعرف الخوف بالفعل. إنها تجذب بوضوح. وفجأة، بدأ أنحف الثلاثة في الصراخ في المقصورة: "أنت محق إنها قبيحة، بل إنها الأسوأ في الأسبوع، لكن تلك، إنها نتنة للغاية وهكذا، أنا لا أستطيع!" كلمات قاسية معلقة في المواء لا أحد يمسك بها. كلمات ترتد بمثابة تهديدات لأعين الجيران المسلدة. مرعوبين. "لا، ليس أنا"، الجميع يكرر هذه العبارة، التي تهدر مثل الغضب وتفتت كيانه كله. "رجاءً، ليس أنا."

حبست كلوتيلد غضبها بداخلها. في هذه اللحظة هرب عقلها إلى حافة الخيط. شاطئ ضخم وأصهب، هواء عليل جعد الأمواج، أفق فارغ من أي حياة. أغلقت عينيها. تسخر من كل شيء يمكن أن يحدث في هذا الوقت المعلَّق، بالضبط قبل وقوع المأساة. قبل العنف، الضربات، الصراخ. إذا فكرت مليًّا في ذلك، فلن يكون بمقدورهم

الوصول إليها وربما يختفون؟ كانت تود الاحتماء بالكثبان الرملية. عرفت ذلك الآن.

عندما فتحت عينيها، كانت المقصورة خالية. كان الناس يهرعون إلى الجانب الآخر من الطريق ليركبوا المترو المقابل. نحوا تلك الكلمات البربرية وهذه الفتاة البائسة المنهارة، المكسورة. ولنسيان أنهم، أيضًا، كانوا يخافون الموت. هذا الألم في البطن، الذي يلازمهم حتى عند ماكينة القهوة، دون التجرؤ على الحديث عنه لعدة ساعات. متى دورهم؟

ظلت جالسة، بلا حراك. ذاهلة، لفترة طويلة. صارت الأرصفة خالية. ماذا لو غيرت حياتها؟ هناك، الآن. بالضبط وراء الذعر، ذلك الرعب الذي شل جسدها وترك أفكارها تهرب بعيدًا، بعيدًا لدرجة أنها لم يعد بإمكانها العودة. قد لا تعود لتناول طعام الغداء. ركضت على السلالم لإيجاد الضوء، تحمحم في شوارع باريس، مشت حتى لم يعد لديها أقدام، تحلم، خصلات الشعر في مهب الريح. تهز عظامها لينسل العنف. ستعود لاحقًا إلى أصحاب المتزل عندما يكونون قد غادروا جميعًا. في وقت التدبير المتزلي العظيم والدموع البلهاء، قبل المسلسل التليفزيوني السخيف، المحزن إلى حد بعيد أكثر من الحياة. عندئذ سيكون لديها بضع ساعات لقلب الصفحة.

شعرت بنفسها خفيفة. تسير تقريبًا بكل سهولة، مستعيدة الهواء الطلق، تتنفس بملء رئتيها. بعد بضعة شوارع، كانت تصفر، صافرة متقنة وقوية تشبه صافرة العمال على السقالات عندما ينهمكون في العمل. سمحت لعينيها بالإفلات من الحواف الواقية لقبعتها.

فحصت الأبواب الخشبية الصلبة، الكرانيش، الأفاريز التي كانت تجري على طول المباني الباريسية القديمة. كانت تسير بوتيرة سريعة. قدماها أقل ثقلاً. لم تعد تجرجر نعليها ولم تعد تحدق بعناد في الأرض. وسّعت من خطوتها. يعلن جسدها عن تفاصيله. أقل إيلامًا. فتحت عينيها. شعرت بأنها على قيد الحياة. تطفو ابتسامة خفيفة على شفتيها. تحدق في "باريس"، كأنها تحلم، وهي تهز كرتَها السحرية بنُدفها التي ترفرف وبرج "إيفل" العمودي الذي يطلٌ على مدينة مصغرة وخيالية.

#### الطابق الأول، إلى اليمين

"تعالى"، صاح صوت أجش. "تفضلي، بربّك! لا تحاولي أن تجعليني أنهض من أجلك، أليس كذلك؟"

أعادت هذه الكلمات القليلة كلوتيلد إلى واقعها الجديد. سمعت أقدام واثقة كانت تعبر الممر في بضع خطوات واسعة.

"مرحبًا آنستي. أنت كلوتيلد، أليس كذلك؟" سأل الشاب بابتسامة هادئة، محاولاً أن يهدئ تلك التي تبدو منكمشة أمامه. "لا تهتمي لمزاجها السيئ. غالبًا ما تنبح تيريز، ولكنها نادرًا ما تعض. حقنتُها للتو لتخفيف ظهرها. إنها مشمئزة! ولكنني متأكد من أنها سعيدة برؤيتك مجددًا. لم تخبرني بذلك، لكنها تتحدث عنك طوال الوقت. ينبغي فك شفرتها، كما تعرفين!"

كان قد أعطاها الشاب مكانه واستأنف اجتياز الشقة بخطوة لا مبالية، غير منتظر أي رد. لقد اعتاد هذا الطبيب المونولوجات الطويلة مع "دائمي الشباب" كما كان يسميهم. من وطأة الشعور بالعزلة، وأجهزة التليفزيون بصوتها المنطلق إلى الحد الأقصى، لم يعد العجائز يثرثرون. كان يحاول أن يكون مبتهجًا وأن يحكي لهم الطُرَف حتى

يعلم أنه بإمكانه أن يعطيهم الروشتة ويغادر. لقد أعادهم ثانية إلى يعلم أنه بإمكانه أن يعطيهم الروشتة ويغادر. لقد أعادهم ثانية إلى السطح. منحهم شعاعًا من الشمس للأيام القادمة. أربعة أيام، غالبًا. ثم، يتدهور ذلك مرة أخرى وتستدعيه الأسرة. كان بيرتران بمثابة فصيلة في سبيلها إلى الانقراض. طبيب موهوب، جذاب جسديًّا، تخلى عن صنع ثروة بتخليه عن الرعاية المستهدفة الربح وتكريس نفسه لطب الشيخوخة وللمسنين الذين لا يجب أحد أن يهتم بهم؛ إذ كانوا انعكاسًا لما يود الجميع الفرار منه.

كان عبور المرطويلاً. أكثر من خمسمائة متر مربع من شقة فارغة! لم تجرؤ كلوتيلد على إظهار فضولها، لكنها كانت تلاحظ، مندهشة، الغرف العارية التي تلاحق بعضها. الغياب التام للأثاث والكائنات. الكل يستحم في بياضٍ ناصع. في نهاية هذا التسلسل انفتحت غرفة ساحرة ذات ألوان شبقة، في المنتصف منها يقبع سريرٍ طبي. تعتليه تيريز. كلوتيلد التي لم ترَ عمتها لمدة عشر سنوات، بدا لها أن حجمها تضاعف ثلاث مرات. تلك التي كانت من قبل تتحرك على ساقيها الكبيرتين والمغروستين بقوة في أحذية رياضية لامعة، تدفع الأرائك لا إراديًا عندما تحاول أن تضع عليها مقعدتها، متوثبة لاعتقال هذا الجسم الجميزي، ذلك الذي تشكّل أردافه وذراعاه أكياس دهنية ضخمة تتصادم كالكرات الحديدية، وتلك أيضًا لم تعد سوى كتلة عديمة الشكل يعلوها رأس مُتقد. مشوهة تمامًا. وعلى الرغم من استحالة قدرتها على التزحزح، تيريز، الممددة على سريرها الأبيض، كانت تسيطر بشكل التزحزح، تيريز، الممددة على سريرها الأبيض، كانت تسيطر بشكل

مهيب على الفضاء. نقية. الأم الرئيسة. تستلٌ من وزنها قوة استثنائية. لا تتسامح على الإطلاق مع الإزعاج أو سوء المعاملة. تحكم عالمها بتفوق زعيم قبيلة. لا يبدو أن أي شيء يعبر عن أي حزن، ولا حتى الطرف المعقّد في وضعيتها.

"اقتربي، حبيبتي"، قالت بصوت جهير. "أقرب.. نعم.. لا يبدو أنها بحالة جيدة. برتران، انقل كرسيًّا لهذه الطفلة التي تبدو لي متعثرة قليلاً!"

امتثل برتران، غمز بطرف عينه لكلوتيلد. رفع بحركة سريعة حافة قبعته كي يتجنب ملاحظة جديدة.

"سوف يسير الأمر على ما يرام!" همس.

كان يجوب الغرفة، بأريحية تامة. رتب بدقة أدواته. سُرَّ برؤية تيريز في دورها الشهير؛ الأم الرئيسة، المزعجة للقريبين منها، لكي تُذكِّر كل واحد مَن الزعيم. لم يكن يأمل بأقل من ذلك. كانت علامة ممتازة على الصحة، ويثبت ذلك أن قلبها الضعيف، ورئتيها المصابتين بالربو، كانا يتحسنان! إنه يثق دائمًا بهذه الروح المتألقة والغاضبة.

سَيَنضم قريبًا إلى "دائمي الشباب". كان يود أن يمنحهم القليل من قوة تيريز، فقد كان يعلم أنه آخر شعاع أمل في ومضات الحياة، المتذبذبة. متحمسًا بلطف. متحدثًا عن سنواتهم العشرين. عن الحرب، عن أطفالهم. بعيدًا. هكذا يستغرقه وجودهم الخاص. تمحو بعض

النجاحات الحاضر وقوائم أدويتهم التي وضعت على الكومودينو. لا يزال يجد طرفة يتباهى بها. يكرر نفس الحكايات في كل زيارة. "لطيف جدًّا، هذا الصبي..." هكذا تقول الجدات الجنونات به. إذا كنَّ في حالة أفضل، فإنهن قد يسمحن لأنفسهن بمغازلته بسهولة.

كان يراقب كلوتيلد ويُقرُّ بأنها بلا شك قد تكون آخر رفيقة لتيريز. هَدَأ روعه بهذه الهدية السماوية. كان يعلم على الفور أنهما ستبنيان نفسيهما معًا.

"انتبها جيدًا لنفسيكما"، قال وهو يجتاز الشقة بخطوات واسعة. لم تُعلِّق تيريز. حدجت نظرتها الحادة "صغيرتها" دون حنوِّ. "أعتقد أنكِ لم تخبري والديكِ بوصولك هنا؟"

"آه! لا، في الواقع..."

"لقد بحثا عنكِ لأشهر وأشهر".

"كانا يائسين. أمك خاصة، وهذا ما أدهشني. لم أكن أعتقد أنها يمكن أن تشعر بعاطفة، تلك العزيزة جدًّا مارتا. رحيلك صدمها بصراحة. أعتقد فضلاً عن ذلك، أنها بعض الشيء.. كيف أقول.. كانت مضطربة مذَّاك الحين. أبوك، هذا التعس روبير، بذل قصارى جهده. كما هي الحال دائمًا مسكين. أحب أخي مثل أي شخص آخر، لكنه لم يتألق بشجاعته أبدًا. حسنًا. لقد اتصلت. مسألة طمأنتهما. لا تقلقي، لقد فهما أنك لا تريدين رؤيتهما! لن نتحدث عن ذلك بعد الآن".

كانت كلوتيلد ساكنة الجوارح. غير مكترثة.

العاطفة غائبة. رابطة الجأش متوازنة على كرسي من الخوص. كما لو أن عمتها كانت تحدثها عن شخص آخر.

"نعم، هذا ما فكرتُ فيه"، قالت تيريز، ولم يضايقها على الإطلاق صمت ابنة أخيها.. "لقد أعددت لكِ صينية في المطبخ الخلفي. اذهبي إلى هناك. أكره روائح الطعام وضوضاء الأفواه. فلتعودي صباح الغد. في الساعة العاشرة وثلاثين دقيقة. تحديدًا. سوف نتحدث عن مستقبلك. أنا سعيدة لأنكِ اتصلتي بي يا عزيزتي. انطلقي".

وجدت كلوتيلد نفسها على بسطة السلم، وذراعاها محملان بأطباق مثيرة للشهية. أدوات مائدة خزفية بيضاء. بحواف زرقاء وذهبية. تلتهم القرع. الخبز منزلي الصنع. أرز بلبن بالفانيليا. ملذّات. تنزل درجات السلم بحذر. ذاهلةً من هذا اللقاء الأول.

#### الطابق الأول، إلى اليسار

في اليوم التالي، بحسب الاتفاق مع عمتها، صعدت كلوتيلد السلم، وهي تمسك في نهاية ذراعيها صينية نظيفة تمامًا ومكدسة بالأطباق. نظرُها، المثبَّت على ثلاث درجات من السلم لأعلى حتى لا تقع، اصطدم بزوج من الأحذية أسود لامع ذي كعب مُدوخ، يزينه إبزيم معدني كبير. كانت الساعة العاشرة. قررت كلوتيلد الجلوس على بسطة السلم في انتظار موعدها. ثمة أحذية تصفق على الأرض بفارغ الصبر، ويبدو أنها تطلب عبورًا طارئًا.

"سامحيني"، التمست كلوتيلد، وهي تتأرجح تمامًا برعونة من ساق إلى أخرى.

انزلقت الأطباق بشكل خطير على الصينية.

"لا ضرر"، أراحها صوتٌ أجش قليلاً لشابة.

كان لدى كلوتيلد وقت لتبصر جوارب سوداء، وتنورة صغيرة للغاية منقوشة بكارو أحمر وسترة من نوع "فينيل بايكر".

"يا! ينبغي أن تتوازني، سيدتي! إلى أين تذهبين بهذه الصينية؟ أوه! لا تقولي إنك ابنة أخى لاڤيلين. العمارة كلها على علم بوصولك. إيه!

لا تضطربي. لن أفعل لك أي شيء. فضلاً عن.. أنا أحب لاڤيلين. إنها تنبح أكثر مما تعض. ملحوظة، من الأفضل أن تكوني ضمن أوراقها الصغيرة. خلاف ذلك، إنها قصف مدفعية ثقيلة، العجوز! هل تجعلك تنتظرين الساعة العاشرة وثلاثين دقيقة مثل أي شخص آخر؟ وأنت بعد ذلك، كنت تنظفين الأحياء البورجوازية حسب ما قالته لي. إذا لم يكن الأمر مؤسفًا. دائمًا ما كنت أرى جدتي منحنية على عربة لتنظيفها وبصراحة، لقد أقسمت بعدم القيام بنفس الشيء مرة أخرى!"

"وما الوظيفة التي تمارسينها؟" سألتها كلوتيلد بسرعة.

"أنا أعمل في التليفزيون"، أجابت، مبطئة نطق هذه الجملة وكأنها تود توضيح ما قالته للتو. إنها تحب العاطفة والفضول اللذين كانت تقرأهما حينئذ على الوجوه. بهجة حقيقية! التليفزيون، إنها كلمة تُحدث دائمًا تأثيرًا سحريًا.

وأضافت وهي تنظر لفم كلوتيلد المستدير كما لو كان يُمرر فقاعات:

"كما تعلمين، أقدِّم أخبار الطقس على قناة محلية، وهي ليست أفضل من العمل في منازل الأثرياء. إلى جانب ذلك، هم يسمُّون ذلك أيضًا الخدمات المتزلية، مهاويس التقنية. يعتقدون أنهم دائمًا فوق مرمى السلة. هم، يعتقدون أنه ليس لديَّ أي شيء في الجمجمة وأن ثديي هما ما اختارهما "البيج بوس". لم أفهم أبدًا، على أية حال، ما العلاقة التي يقيمونها بين الأثداء الكبيرة والرؤوس الصغيرة. ستخبريني أنهم

بالأحرى ليس لديهم شيء في الرأس عندما ينظرون إلى الفتحة. لا تقلقي على أي حال، قطتي، لا يعرفون حتى الآن أنني سوف ألتهمهم، أولئك! سوف أجعلهم مجرد فم. وبينما هم يشاهدون مؤخرتي، سوف أسرق منهم مكافآتهم. متوارية عن الأنظار، أربكك، إنه تخصصي!"

في اللحظة التي اختارت فيها أن تطرقع بعلكتها ذات نكهة الفراولة على أسنانها البورسلين. يدوي ضجيج على السلم يتبعه عبوس مندهش للتأكد من أنه لم يعلق أي شيء على ملمع شفاهها الرخيص. في تلك اللحظة، بالتحديد، بدأت كلوتيلد تجبها. كانت حقًا لا تقاوم. ثمة ابتسامة ناشئة تشر إلى وجهها الموصد عادةً.

"اسمي كلودي. في الواقع، كلود، لكن لا أريد أن يعتبروني خُتشى! لا نعرف أبدًا. الناس لديهم مثل هذه الأفكار الغريبة لشغل أيامهم! يجب أن تصدقي أن والديَّ فعلا كل ما بوسعهما عندما ولدت! لم يتمكنوا حتى من العثور على اسم فتاة. الأسوأ من ذلك، لم يفكروا في ذلك! كما ترين، أعود بعيدًا".

"أنا، كلوتيلد"، حررت إحدى يديها من الصينية التي كانت تتأرجح ومدتها إليها بحرص.

قالت: "سأناديكِ ب(كلو)"، وهي تضربها بقبضة لاعبة كرة سلة على الأصابع، لحسن الحظ خففتها قفازات نُسجت في المنزل. "أفضلً هذا. الأمر فطريِّ إلى حدِّ ما. حسنًا، ليس هذا كل شيء، ولكن يجب أن أذهب. إنه المدير الذي يمر ليأخذني هذا الصباح. المشوار طويل جدًّا

سيرًا على الأقدام! سوف يطلق النار على حذائي الجديد. أمرٌ مميت، أليس كذلك؟ سوف أُطلعك على المحلات التجارية الجميلة. حسنًا؟"

انفتح باب العمة، مما سمح لنظر بيرتران، الطبيب، بالانزلاق على الشابتين المنهمكتين في النقاش.

"آه! كلوتيلد، تعرفت على كلود اللذيذة!"

"قلت لك من قبل ألا تناديني هكذا، يا طبيب!" صاحت بخجل.

كان صوتها يهدر، ولكنَّ عينيها تلمعان.

"حتى الأولاد الوسيمون جدًّا لا يستطيعون" -أضافت بتغنج- "استباحة كل شيء بوضوح باسم السحر".

ضحك بيرتران بحرارة. دون أن يكلّف نفسه عناء الإجابة، أمسك كلوتيلد بحزم من يدها وأدخلها شقة تيريز داكوان.

## الطابق الثاني، إلى اليمين

تعرفت كلوتيلد للتوِّ على الخطوة الواثبة لصديقتها الجديدة على السلم. اشتبكت النقرة المزدوجة للكعب مع صوت الكريستال. صُفق باب المدخل. عنيف جدًّا بالنسبة لمفصلات حجرية من القرن الثامن عشر. ألقت كتابها في منتصف الغرفة. موجة فرح. أيدٍ تستشعر الإثارة. موسيقي صغيرة في الرأس. نهضت بسرعة لتستقبل تلك التي وصفتها سرًّا بـ"أوكسجينها". أحبت صوتها، وطريقتها وهي تمسك أظافرها المطلية بالمانيكير، سجائرها التي تشعلها واحدة تلو الأخرى جاذبة أنفاسًا صغيرة، وشعرها الطويل الذي تفوح منه رائحة الفانيليا، وملابسها الملونة المتطابقة، والممزقة. مناقشاتها الزائدة عن الحد. منذ ما يقرب من شهر وهما تتقابلان بانتظام أمام شاى بالفطائر الحشوة بالفاكهة كليًّا. أكدت كلودي أنها لذيذة مثل حلوى الجدة، ولكن مع وزن أقل. قليلة الدهون. في بعض الأحيان، قامتا بصنعها فعليًّا، الحلوى. عشر دقائق في فرن حرارته ٢٥٠ درجة. فرحة خالصة. أغلقت كلوتيلد عينيها للحفاظ على هذه السعادة سليمة. الفم والقلب والدماغ. رائع جدًّا، كلُّ شيء. هي على وجه الخصوص. أفضل صديقاتها، كما كان يقول

الصغار. كانت تستعد لتوقف ذلك حتى لا تتأذّى كثيرًا، فقط في حال... ظنّها أن هذا قد يحدث. هذا المساء، غدًا. صداقة مكسورة. من يستطيع أن يحبها؟ ومع ذلك، بلا كلل، يومًا بعد يوم، كانت تأتي جارتها لتحكي لها. ثرثرة. أشياء صغيرة. هزل مليء بالحكايات عن الأولاد، والهدايا، والمطاعم، والعمل. مثل كتاب. فصول ملاطفة. لازمات. أناس يعودون إلى قصة غير منتهية. آخرون طُردوا، بشكل حاد، بفظاظة. يد المدير على مؤخرتها، كل يوم. صمامات الفنين. المدير الذي انتصب عند نزولها السلم. لم يتحدث أبدًا. رؤيته ضبابية. يخلط الأزرار بالمكابس. كلودي، ابتسامتها، غمازتيها. رائحة البسكويت بالزبدة هذه التي تعقبها. هذا الصمت من بعدها. هذا الانتظار الذي يُستأنف، من أجل الحياة من جديد. مقابلة الناس الحقيقيين. قصصهم يستأنف، من أجل الحياة من جديد. مقابلة الناس الحقيقيين. قصصهم دون صقلها. فقط من بعيد نتخيلهم يتحركون.

فتحت الباب خِلسة. لحت صديقتها المتوارية تحت الكتلة الجسدية البرونزية لجار الطابق الثاني، الطابق الثاني، إلى اليمين. لقد خمَّنت طريقتها الخاصة جدًّا في مراوغة الأولاد، ثم ضحكها الذي توقف على الفور باللسان النهم لعشيق مُتيّم أتى لتوه لينهي ثرثرتها. عفوًا! لم يكن عليه أن يفعل ذلك. كما قالت لنفسها، إنها تكره أن يقاطع كلامها. لا، ليس اللسان. ليس بدون حب! كان لديها ما يكفي من الوقت لرؤية ستانيسلاس كوفاريك يطير فوق الدرجات الأولى ويلحق بدون أي لياقة بالدرابزين. لقد فقد فتنته. ترنح للحظة.

دفعت الباب. خجلى. خفضت عينيها بإصرار. الظهر مثبّت على الباب. ستانيسلاس كوفاريك، الصهر المثالي المذهل الذي كانت قد قابلته في الطوابق يتسكع بسهولة مع توأميه الرائعين، وقنينتي رضاعة مغروستين في جيبي سرواله الجيز، مما كشف عن مؤخرة برونزية بارعة. نفس الولد الذي يحيط مغرمًا كتفي زوجته الشابة، الحلوة والسعيدة، وكان يهمس في أذنها بكلمات كانت تجعلها تضحك همسًا. هذا النوع اللطيف من الرجال الذي يبدو دائمًا متعجلاً للعثور على عشه عندما يعود من رحلاته الطويلة في أنحاء العالم. هذا الأب، وهي على يقين، من النوع الذي يُغيّر بياضات صغاره ويغني لهم التهويدات. هذا الرجل غرس أصابعه في سروال كلودي وحاول إدخال الكريز في فمها قسرًا.

سمعت كلوتيلد في أذنيها دويًا مكتومًا لخفقات قلبها. مشهد نابض. صديقتها. العاصفة الأولى. الحميمية. لا، إنها لا تريد أن تُمحق. توخز. تُجرح. تعيش بالوكالة. لم تكن تعرف حتى ما الحياة. هي التي كانت تجرجر جثتها من فراغات إلى فراغات. أسرع ما يكون بالنسبة لها. كلمات، لكن بلا صور. شعرت بدموع الكرب تجتاحها. حينئذ سمعت صوتها اللحوح على بسطة السلم.

"كتكوتة، افتحي..."

امتثلت كلوتيلد. دخلت كلودي إلى الشقة تمسح على ثنيات تنورتها القصيرة.

<sup>&</sup>quot;أنا آسفة بصراحة وبشكل رهيب، كلودى أنا..."

"لا تهتمي. لم أكن أريد الذهاب إلى هناك. لقد أنقذتِ الموضوع. يصبح إلى حد ما لزجًا جدًّا، "لوستان"! سيجعله هذا ينتظر بالفعل تذكرة دخوله!"

"لكنه متزوج!" اختنقت كلوتيلد.

"لحسن الحظ! هذا قد منحني استراحة. لا يفكر إلا في ذلك. ولديً الحق في ذلك في كل مرة يعود من السفر. شكرًا للسماء... سامحني يا رب"، ابتهلت مشبكة أصابعها \_كما هو الحال دائمًا عندما كانت تلعن أحدًا\_ "إنه مُضيف لرحلات المسافات الطويلة على الخطوط الجوية الفرنسية ويغادر لفترة كافية كي أستطيع التنفس قليلاً. يتنزه في الجزر. يدَّعي أن الفتيات هناك فاسقات. تفهمين هذا النوع! وعندما يعود إلى المنزل، لا يشعر بالتعب! لديه وقته الكامل! يقول إنها ليست وظيفة اختارها، بل وجود مختلف!"

"لكن زوجته..."

"إنها معلمة، أنتِ تعرفين... إنها منضبطة مثل نوتة الموسيقى. لدينا حياة طيبة حتى الساعة الخامسة واثنين وعشرين مساء كل يوم. أحب بالتأكيد أن أمتعه حتى الساعة السادسة. يتخلى عن قضيبه وأنا أسمع باب المدخل".

"ولكن.. لماذا تضعينه في خطر؟"

"كان ينبغي أن يكون حكيمًا! هو فقط يريد اللعب بالنار وأنا أيضًا".

"لكنه لا يحبها، زوجته؟ يبدو متيمًا للغاية عندما أقابله... أوه! آسفة... لم أكن أريد..."

"يداعب... نعم، إنه يداعب، لكنه لم يعد يمارس الجنس! بين توقف الحمل طبيًّا، والولادة القيصرية والليالي الطوال، إنه ليس نشطًا جنسيًّا حسب المخطط، أتفهمين! لذلك، أعوض النقص". وأضافت ضاحكة: "على أي حال، بين الطائرتين. يعود دائمًا مع مزيد من الخيال".

"لكن أنتِ!"

"أنا، تفتنني بشدة أردافه الجافة والبرونزية وبعد ذلك، فيما بيننا، هو ابتكاري تمامًا في هذا الجانب... أتفهمين ما أعنى؟"

"ليس حقًّا، كما تعلمين، أنا..."

"سيأتي، فتاتي الجميلة، عندما نصل إلى الباقي".

نظرت كلوتيلد إلى كلودي بخوف ما عندما أعلنت عن الاعتناء بها. أغلقت عينيها وتخيلت نفسها ترتدي سترة من الفينيل الأحمر وتنورة قصرة، وعلى الفور عاد هذا العرق المخيف.

"لا تتوتري، حبيبتي، كل شيء على ما يرام"، طمأنتها حينئذ صديقتها. "إنها التعاسة التي تجعلنا بشعات!"

"وإذا وقعتِ في الحب؟ يحدث هذا النوع من المشاعر مع رجال متزوجين! الرغبة في الوقوع في غرام آخر، لتكون المحبوبة الوحيدة لـ..."

"لا تقلقي، يا كتكوتة! لسنا في كتاب من الكتب التي تلتهمينها. إنها مجرد مغازلة صغيرة مع أحد الجيران. وأنا، على أية حال، أبدو كجرادة متنكرة، لكنني أفضل العقول. أوه نعم! مع ستان، من الأفضل أن يتوقف ذلك من الساعة الخامسة إلى السادسة لأنه بعد ذلك، رحلات التزلج والتنس في "سيشيل"، لا تجعلني أحلم. سمرته وخصلات شعره التي تفوح منها رائحة الشاطئ أعشقها، ولكن لا أريد أن أعرف كيف فعل ذلك. إنه كما عندما تحكي لك الفتيات قصصهن عن الزغب أو الدهون! إنه نحيف. فيما بعد، لم أعد أفكر إلا في ذلك! كي تحبي بشكل جيد، يجب أن تكوني منتبهة. في الواقع، كيف سار الأمر مع لاڤيلين؟"

"جيد جدًّا. رفضت أن أدفع لها إيجارًا في الأشهر الستة الأولى، لكنها تعتمد عليً في العثور على عمل. أي شيء، أوصتني، ما عدا التنظيف. ممنوع. (عليكِ أن تتركي ذلك لأولئك الذين لا يملكون شيئًا، وليشغل هذا مخيخك) \_هدرت بصوتها، مقلّدة عمتها\_ حتى أخبرتني بشكل ودي أن أطلب منكِ النصيحة. لم أكن أعلم أنكِ قريبة منها هكذا. إنها تعشقك. تتحدث دائمًا معى عنك".

"لاڤيلين، اعتدت أن أمرَّ لرؤيتها مرتين في الأسبوع لمدة أربع سنوات أعيشها هنا. رغم كل الصعاب، أذهب إليها. هي تذكّرني

بجدى. تقريبًا كما لو أنها عادت إلى الأرض في هذا الجسد الكبير. إنها تغرقني في الضحك. ثم إن لها لسان أفعي. أنا أحب ذلك، الناس الذين يمكن أن يكونوا قساةً حقًّا دون إيذاء ذبابة. أعترف لها بمغامراتي الصغيرة. إنها تنبهر تمامًا عندما أهاجم الأولاد. تجدهم جميعًا سخفاء، حينئذ أضيف ذلك. أصف لها تنازلاتهم الصغيرة. شجاعتهم في العمل، وفي انتقامهم من الصغار. ما يحكونه عن نسائهم الطيبات. كيف يحبون الشكوى وتمثيلها في نفس الوقت. وهذا، إنه من أجل إعداد الخداع. بعد ذلك، يجد الجميع هذا طبيعيًّا. إنهن مضحكات جدًّا، كما يقولون. وأذهب إلى هناك حيث أطارح المتدرب الصغير. بهدوء، لكن لا أحد ينخدع. نكذب على المدام عندما تتصل، وتبحث عنه في كل مكان. نجعلها تصدق أنه لا فرصة، فيخرج للتوِّ إلى المر... وهو يركض بسرعة، فتى لعوب، صدِّقيني! هذا هو السبب في أنها لم تتزوج قط، لاڤيلين. دائمًا ما وجدتهم (مخيبين للآمال وأنذالاً)، كما قالت بكلماتها البسيطة من قبل. عندما ننتهى من شرب الشاي، ألمِّع أظافرها. قد تكون باعثة للاشمئزاز، الاڤيلين، إلا أنها بقيت غندورة. كنت أكرر ذلك عليها في كل مرة وتموت من الضحك. مجرد فكرة إظهار قدميها الملفوفتين للطبيب تجعلها تتوهم. قال لها بالتأكيد، في يوم ما، إنه لم يكن رجلاً سهلاً وإنه لن يستسلم على هذا النحو للإغراءات. أنا أحبه، هذا الرجل. أتفهمين، إنه، حقًّا النوع الذي أفتتن به!"

<sup>&</sup>quot;ومن ثم، هو؟"

<sup>&</sup>quot;لا، إنه مختلف. إنه رجل جيد. نمطه لا يلاحظ حتى أن الجراد متنكر!"

انفجرت ضاحكة. ضحكة بلورية، سمحت بها الحنجرة القوية.

كانت كلوتيلد تنظر إليها بحنان. علمت أنها ستبقيها حتى المساء، وأنهما ستتناولان بعض البسكويت المنغمس في شاي الفراولة، وأنهما سوف تستمتعان. بجنون. لم يحدث لها ذلك أبدًا. تشنجات تحت الأضلاع. الضحك وإدراك أن ذلك أفضل تمامًا من البكاء. لقد حرَّك ذلك كل جسدها الضخم. مثل الچيلي الإنجليزي. إنها لا تأبه لذلك.

لم تتركا بعضهما بعضًا منذ أن استقرتا في العمارة. في اليوم الأول، عادت كلودي من العمل مع اثنين من "التشيزبرجر" وأخبرتها أنها لا تريد الرد على المكالمات المسائية الكثرة. "الاتصالات الليلية" كما أسمتها. اللعنة عليها أن تمارس من أجل العشاء. كان الأمر أقوى منها. لم يحدث أن قالت لا عندما يصبحون لطيفين. وبعد ذلك، أرادت أن تصفعهم، عادت إلى المنزل بخيبة أمل، وكانت تتلكأ في الحمام. غير قادرة على النوم. وقد أوضحت لها أنها من الآن فصاعدًا، ستعمل. على الأقل في المنزل، "سنتركها هادئة!" كانت كلوتيلد قد فتحت باما لهذه العربيدة الطويلة الفاسقة ذات الصدر المزيف، والسيقان غير المنتهية. تساءلت، كل دقيقة، عما وجدته فيها كلودي جيدًا. كانت بالضبط من نوع الفتيات اللاتي يقصفونها بقسوة ويقتلونها في الكلية. الآفات التي تجمعت في الفصل لمهاجمة "صغار الأثرياء" على نحو أفضل، كما وصفوها. "خصوصًا السُّمَان للغاية مثلها"، قُلن بغِلّ. رأت في أعينهن وميضًا من الجنون كما لو كانت كيلوات الدهون التي تحملها في درعها أيقظت في جلاديها كنوزًا من القسوة. كانت تعرف أنها في هذه الحالة سوف تكون

وحدها، وأن "صغار الأثرياء" ستهربن، تاركات إياها تبكي في منتصف الفناء. قرصنها بقوة. وكنَّ يغرسن أصابعهن الحادة والمطلية في لحمها، ولقد رسم ذلك خدوشًا طويلة على الجلد. القرص كان ماكرًا. حركات سخيفة من فتيات وضيعات وقاسيات. إذا تركها والداها على الأقل في كليتها الخاصة، لما كانت لتعرف هذا القتل اليومي. ربما كانت مشرفة متدينة أكثر من غيرها قد طارت لنجدتها. كانت والدتها قد ردت عليها بفظاظة، يوم أن اشتكت سوء المعاملة، بأنها لم تكن تستحق هذه الميزانية الهائلة وأن الفتيات القبيحات لا يحتجن التعليم لأنهن سيبقين غير صالحات للزواج!

غرست كلوتيلد رأسها في قبعتها الصوف السوداء، هكذا تحمي شعرها. الحماية التي اعتبرتها بمثابة قميص الصمت. ابتعدت عن الآخرين وغفلت عن دراستها، توقفت عن الأداء في الفصل، متأكدة من الانتهاء من ذلك مبكرًا. كانت تلجأ إلى الفناء أو مراحيض الفتيات لقراءة الكتب التي لا تعد ولا تُحصى التي سرقتها سرًّا من مكتبة والديها الضخمة. موضع استراتيجي لسماعهم، وراء الأبواب المفرغة، لنشر سمّهم على من يطلق عليهن صديقاتها. وهكذا أدركت أنه، في هذه الكلية، الجميع يكرهون بعضهم بعضًا! كان هؤلاء وأولئك يقضون فسحتهم في إسقاط رفاقهم سريعًا. هذه ترتدي ملابس سيئة، وتلك اعترفت بحبها لهذا الصبي الذي عند علمه حكى للفناء بأكمله. وثالثة تبدو مثيرة للسخرية في الملابس الرياضية لدرجة أن الفتيات تجمّعن في تبدو مثيرة للسخرية في الملابس الرياضية لدرجة أن الفتيات تجمّعن في

غرفة خلع الملابس للتعليق على وضعها التشريحي المشوه وسخروا من صدرها الوفير.

خلُصت كلوتيلد إلى أن: هكذا يسير العالم. وأن الكائنات وُجدت على الأرض كي تقتل بعضها بعضًا. وأنها بتحليلها الجيد للأخبار التليفزيونية، حالفها الحظ أخيرًا بعدم تعرُّضها للضرب أو التعذيب الجسدي. كل لطف كان هدية من السماء استمتعت بها كثيرًا مكرِّرة أنها رما كانت سعادتها الأخيرة، وبعد ذلك، قد تتوقف حياتها.

## الطابق الثاني، إلى اليسار

كان برنار بروسيه يصعد كل يوم طابقيه متخطيًا درجات السلم أربعًا أربعًا. مثل كل أربعاء، تبعته ثلاثة عصافير دوري، يصيحون بصوت عالى الأول والذي يشبهه كأنه أخ كان عمره أكثر من اثنتي عشرة سنة. كان يتعقّب والده مهما كان، وبدا تمامًا تحت السيطرة في الجانب العقلي والحركي. الثاني قرر أن يُوسِع الأكبر ضربًا! كان يبلغ من العمر عشر سنوات فقط، لكنه اندفع بقوة على خطى الراكضين، بابتسامة وقحة على شفتيه. الرأس منتصب والنفس مسيطر عليه. طفل صغير، بالكاد عمره أربع سنوات، يتسلق ببطء الطوابق خلف هؤلاء الرياضيين ذوي الخبرة. انهار كالمعتاد على الدرجة السابعة، أمام شقة كلوتيلد، حيث يمكنه البكاء بغزارة فيما يشكو التعب. تحت شعر أشقر طويل وكثيف، اكتشفنا وجه ليو اللطيف. الاسم الثالث، كان لا يزال عجاول اللحاق بلوسيان وليوني اللذين بديا كأنهما قد ولدا لجعل حياته عبه، ما كان يبحث عنه هو الزوايا الساخنة الضيقة التي يمكنه التلوي فيها مع لعبته. تكمل سعادته بوجبة والرسوم المتحركة. وهذا يتحقق فيها مع لعبته. تكمل سعادته بوجبة والرسوم المتحركة. وهذا يتحقق فيها مع لعبته. تكمل سعادته بوجبة والرسوم المتحركة. وهذا يتحقق فيها مع لعبته. تكمل سعادته بوجبة والرسوم المتحركة. وهذا يتحقق

فقط مرة واحدة في الأسبوع مع ماما. بقية الوقت، كان عليه أن يتبع الحركة. في تلك اللحظة، قاوم منتحبًا.

"هيا يا ليو، فلتنشط قليلاً. أنت لست راشدًا"، صرخ والده الذي أصبح بالفعل على عتبة شقته.. "اصعد أو أتركك هنا، بئسًا!"

وعلى الرغم من الدموع الصاخبة، تركه هناك. وحيدًا يبكي.

واربت كلوتيلد بابها حتى لا تخيفه. تقدِّم له، كما الأسابيع السابقة، ذرعيها الممتلئتين ووسادة مريحة. أجلسته في مواجهة التليفزيون مع سلطانية كبرة من الشوكولاتة. في المرة الأولى، فتحت الباب قليلاً، ظنًّا منها أن رجل الطابق الثاني إلى اليسار سوف يأتي ليبحث عن ذريته. في أيام الأربعاء التالية، تخلت عن ذلك، لأن هذا الأخير لم ينزل أبدًا. كان ليو يعيش على السلم. كل درجة سُلم لها تاريخها. كانت كل لعبة تدور في طابق مختلف. وعلاوة على ذلك، كان لكل فرد في العمارة دور في حياته اليومية. يعطى البعض الحلوى. ويقدِّم الآخرون حماماتهم أو يُعيرونه قمصانًا نظيفة. يعالجون جرحًا. يواسونه. في بعض الأحيان يفتحون أبوابهم للدخول إلى لعبة "الجيم بوى" أو "ويّ" اللتين بقيتا غير مسموح له بمسِّهما في منزله، حيث كان يستغلهما تمامًا الكبار. كانت قد قررت كلوتيلد، التي كان لديها وقت أطول من جيرانها، مرافقتَه إلى الحضانة. وكانت قد عثرت عليه ممددًا على الدرجات، باصقًا شطيرته الصباحية، لأنه كان قد فوَّت حركة سير الأسرة التي تذهب بطريقةٍ صارمة إلى المدرسة الموجودة على بعد أمتار قليلة من هناك. واصل الأب

رحلته من خلال جولة رياضية طويلة في الحديقة العامة الممتدة على طول الشارع. وبعد أن طمأنه العثور على ابنه كل مساء في نهاية الحصص الدراسية، توقف عن التساؤل عن كيفية ذهابه. وجُّه معظم حياته نحو حجم قفصه الصدرى وصلابة عضلات بطنه. كان عليه أن يعترف بأن جهوده تؤتى ثمارها وأنه بالأحرى يبدو رائعًا. كلوتيلد وكلودي، اللتان تحدثتا عن ذلك طويلاً، سعيتا إلى فهم المعجزة التي تمكنت بها إليزابيث، الذكية والرائعة، من الارتباط بهذا السفيه. بالتأكيد، كان مستهترًا، وعندما يقفز في سيارته "الشيروكي" دون لمس الرصيف أو الباب، كان يشبه بعض الشيء "هاريسون فورد"! لكن مع ذلك، كانت واحدة من ألمع النساء في "بوردو". رئيسة تحرير صحيفة "سود ـ أويست"، ظلت هي الوحيدة بين الجنس اللطيف، التي صعدت كل خطوات السلطة وانضمَّت مؤخرًا إلى مجلس التحرير. تشجيع مجنون في مدينة مُحافِظة حيث أقام العديد منهم على تعليم أطفالهم. سحرت كلوتيلد بنقدها السياسي. وقحة، ونادرًا ما تكون خشنة، كانت تعرض تحليلاً دقيقًا لتعرجات الحياة الضيقة. لقد أدركت أن هناك بعض الخُبث الذي لا يملكه إلا عقل قوى وحساس معًا. وفي النهاية تعرفت على هذه الأم الغائبة بقراءة افتتاحيتها كل صباح. لقد فهمت مواقفها وما كانت تحبه أو ما يثيرها. عرفت أيَّ سياسي يمكن أن تدعمه، وأي آخر يبدو لها تافهًا أو ضارًا. ومع ذلك، شعرت أنه، من خلال هذا المخزون الطبيعي، تحتبئ داخلها امرأة ملتزمة. كان عملها يملك كيانها. ربما لأنها شعرت بالذنب بالتخلي عن مرحلة إنجاب الأطفال. إلا أن الأمر انتهى بها إلى الإيمان بمهمتها التي لا غني عنها.

سمعت كلوتيلد خطواتها التي كانت ترنُّ على درجات السلم الساعة السابعة صباحًا، ثم يُصفق الباب نحو الساعة التاسعة مساء. كانت آخر من يعود إلى العمارة. حزينة غالبًا. تحمل حقيبتها الجلدية المحمولة على كتفها وبها "اللاب" حتى تتمكن من مواصلة عملها في المنزل. تدفق متوتر. امتلاك. بشكل عام، لم تكن الوحيدة التي تراقب دقة كعبيها على الأرض. بمجرد أن دفعت الباب، الشخص الذي كان عادة مترددًا في صعود الطوابق كان ينزل على السلم طائرًا تقريبًا ويلتصق بها، معانقًا مؤخرتها بذراعيه النحيلين. وكثيرًا ما بكى ليو من السعادة بسبب العثور على حبه الكبير. في بعض الأحيان، كان لا يزال في منزل كلوتيلد. كانت المرأتان تتحدثان لبضع دقائق على البسطة. في البداية ارتبكت وفوجئت بالمكانة التي نالتها كلوتيلد في حياة ابنها، وسرعان ما بدت إليزابيث مرتاحة. يُحدِّثها شخص ما عن صغيرها. وأخبرًا.. ألمها. لم تنجح هذه المرأة النشطة في رؤية نمو طفلها الأخير. وكلما شعرت بالذنب، عادت متأخرة. لذلك تبدو الأمهات الأكثر تدليلاً لأبنائهن، أقل انفصالاً عنهم. ومن ثم يلعب العمل هذا الدور الفاصل. مِفصل الحب. لقد أبحرن عند مفترق طرق ذنبين: العمل أو الإنجاب. ظنت إليزابيث نفسها تحررت بصدِّ كل المشاعر في اليوم. مما سمح لها بالوصول إلى مجلس التحرير. كانت هذه المرأة الجميلة والحساسة، ذات الجلد الأشقر والرقيق، الملقّبة من قبل زملائها بـ"الإنسان الآلي"، على وشك

البكاء كل ليلة وهي تحتضن طفلها. عثرت على الطريق في ذلك الوقت. الرائحة الفواحة في الشعر. الأصفاد التي تلصق الحب. الروايات النهرية، ' والتنهدات، وقصص المدرسة والشجار بين الأصدقاء.

"توبان"، كما يقول ليو.

حملت الصحيفة المطبوعة إلى كلوتيلد في التو وكأنها تعتذر. أجابت عن بعض الأسئلة حول الأخبار الجارية. لا تبعد عينيها عن ابنها الذي كان يستغرق خيط حياته على درجات السلم. كانت تفنى حتى تعرف أنه كان يقضي ساعات طويلة هناك. كانت تحدق أحيانًا في الطابق العلوي، وكأنها تسأل إذا كان الآخرون في الطابق العلوي. تخيلت أنها في إحدى الليالي ستعود إلى المتزل ولن تكون أسرتها هناك. لقد هربت بسرعة. تحمل ابنها ليو بصعوبة، عالقًا بين فخذيها و"اللاب". كان ثقيلاً. لم تتأذً. مر وقت طويل منذ أن اختفى ألمها. وفقًا لكلام الجيران، لم يكن هناك صوت أبدًا، ولا مناقشة. الصمت الذي ساد في هذه العائلة الكبيرة كان مذهلاً. لم يُقلِق ذلك أحدًا. لم يفكروا حتى في ذلك.

<sup>1-</sup> الرواية النهرية: تعبير يصف سلسلة من الروايات تُشكل تعليقًا ممتدًّا على مجتمع أو حقبة زمنية، وتتمحور غالبًا حول شخصية مركزية أو مجتمع أو أسرة، كل جزء منها رواية مستقلة في ذاته، لكن السلسلة تُظهر في مجموعها سمات موحدة، ومن هنا تأتي استعارة "النهر"، حيث تصب أصوله المتعددة في مجرى نهر واحد. من أمثلة الرواية النهرية في الأدب العالمي: رواية "جان كريستوف" في ١٠ أجزاء للأديب رومان رولان، و"البحث عن الزمن المفقود" للأديب مارسيل بروست في ٧ أجزاء. وفي الأدب العربي: ثلاثية نجيب محفوظ "بين القصرين"، "قصر الشوق"، و"السكرية".

## الطابق الثالث، إلى اليسار وإلى اليمين

كانت سارة وصوفي تجلسان مستريحتين على كرسيين بأذرع وردية لطيفة تواجهان سرير تيريز. مصفَّفة الشعر ومتزيِّنة، تحكمت الزعيمة في هذا التجمع النسائي مثل أمِّ شريرة. جو فاحش. أصوات حادة واثقة. قهقهات صامتة وساخرة. توقفت كلوتيلد فجأة في الرواق. الكثير من النساء. الاضطرابات. الشرور. كانت عمتها حادة السمع وكانت تسمع صرير الأرضية على الرغم من الهرج والمرج.

"تعالى، يا قطقوطتي، سوف أقدم لك الثنائي "S"، أفعتي العمارة". تصيح تيريز.

تضحك الجارتان. معتادتان على اللقب الذي تسمهما به تيريز بانتظام، لا يبدو أن هذه التسمية غير المريحة قد أثارتهما.

"كنا نسخر من البائس برنار. كما تعرفين، "سوبر مان" يسار الطابق الثاني. تخيلي أن صديقتي تتملقانه باستمرار، ولكن دون جدوى!"

"أوه! توقفي، تيريز، أنت تضخّمين الأمر. ليس لأننا فعلنا..." دافعت سارة، بشكل هزيل.

"نعم، لن نعرف أبدًا ما الذي فعلتِه لهذا الصبي التعس الذي لديه العديد من العضلات أكثر من المخ! ولكنكِ خُدعت، على ما يبدو، عظهره الرياضي بوضع هذه الأريكة الضخمة بعرض السلم!"

"ليس بالعرض، تيريز، لكنها وُضعت على درجات السلم الأولى، جاهزة للتزول بسرعة والوضع على بابه!" قهقهت صوفي.

"وكلما دفعها لنقلها، تلفُّ سارة يديها حول خصره لمساعدته وتعبث بأصابعه خلسة! ولاحظته يسحب ويرجع بمؤخرته ليفلت من يديها! يا له من عرض!"

"وأنتما تركتما لقب البورجوازيات الخاملات إلى لقب الحوريات الهستريات!" هتفت تريز.

واندفعت من جديد. لقد غاص الثنائي "S" مجددًا في هذيانهما.

"لا تخلطا الأمور"، دافعت سارة.

تصنعت اللامبالاة قبل أن تتابع:

"أنا لست مثلكِ يا صوفي!" أضافت في مواجهة صديقتها. "عن طريق الصدفة إذا كان لدي ذلك.. فلنرَ.. في النهاية، تفهمين! لقد سحقت للغاية، كما تقولين، تيريز، كي أتصرف بتلك الطريقة الواعية. لقد اندلعت هذه الكوميديا عندما قرأت في نظرة صوفي الشهوانية أن مكان يديً كان رعا.. يعني.. غير مناسب.. على الرغم من اعترافي بأنني شعرت بجاذبية ما تجاه هذا.. ثقي بي، لم أكن لأتجاوز التربية اللائقة".

خجلت سارة بشكل واضح وارتبكت في تفسيراتها. بدت مثل مراهِقة. وقعت في فخ عواطفها الأولى. سخرت منها صديقتها على نحو عظيم من خلفها فيما كانت تتلعثم من عارها.

كان تواطؤ الشابتين بلا حدود. هاتان كان لهما أثر مدهش عندما تجتمعان. التواطؤ، اللهفة، جنون الشباب، حب الطفولة، الأسرار المادية. لقد تشاركتا كل شيء من خلال هذا الشعور الغريب بمعرفة بعضهما بعضًا منذ البداية. تساءلتا عن قصص الحيوات الداخلية هذه، خاصة عندما تنطقان بنفس الكلمات في نفس الوقت. لذلك، تحدقان في بعضهما بعضًا. بالغوص في روح الأخرى. كانتا مختلفتين، تعرفان ذلك. خُلِقتا لتلتقيا. لتكمل كلِّ منهما الأخرى. يا للأمل! يا للسعادة! وأخيرًا! حياتهما اليومية، عملية واسعة النطاق من العلاقات العامة حول زوجيهما القويين، كان لها معنى. انتهت قائمة طويلة من حفلات زوجيهما القويين، كان لها معنى. انتهت قائمة طويلة من حفلات العشاء الملة واللقاءات القاحلة. تم تذكر أتعس الوجبات الآن، وهذه القهوة الثقيلة وهذه القصة الملونة التي كانت تعطي عطرًا متجانسًا ليومهما. حبٌ من النظرة الأولى متبادل. هكذا وصفتا هذه الصداقة، التي انتصرت على كل شيء في غضون بضع ساعات، عندما بدا أن لا شيء في حياتهما كل شيء في غضون بضع ساعات، عندما بدا أن لا شيء في حياتهما.

كان زوج سارة، إيلي ديسكان، قد صنع ثروة من التقنيات الجديدة. "ألدورادو". عالم مُشفَّر، يسكنه زومبي شباب صامتون إلى حدّ ما يتشبثون بحواسيبهم كما بجهاز التنفس الصناعي. زومبي بلا احتياج أو

رغبة. مستنسخات مُثَبَّة بعالم افتراضي هم سادته. هو، المدير، لم يكن عالمًا في مجال الكمبيوتر ولا شغوفًا به ولا عبقريًّا. كان قد استشعر الشيء الصحيح. الخلل في العمل. لوحة تصفح نظام يعمل كأعمى. طريقة "التحصين" في غضون بضعة أشهر، كما كان يجب أن يقول. نشأ في حالة متواضعة، أصبح مليونيرًا في بضع سنوات. لم يشك أبدًا في قدرته على النجاح. كانت حياته لعبة بوكر ضخمة. يتلاعب بالأرقام ويتشبث بها حتى لا ينهار مثل الكثيرين. كان يعلم أن ذلك لن يدوم طويلاً. كان مسترخيًا. يطمح إلى مسايرة العصر، أن يمتص أفكار موظفيه. يستمع بأذن مشتتة لهذه المناقشات الغريبة والمُشفَّرة خلال فترة الاستراحة والقهوة التي كانت تخرجهم من سباتهم. كان يُحول كل هذا. براجماتي. ماكر. ليس ثوريًّا أبدًا، ولكنه يوفر الهواء النقي لأعماله براجماتي. ماكر. ليس ثوريًّا أبدًا، ولكنه يوفر الهواء النقي لأعماله التجارية. ذلك يجعله متوترًا وسريعًا وصارمًا. قاسٍ في العائلة. لقد أدار عالمه كجيش من المقاتلين.

وبصرف النظر عن كلمة Start-Up وعدد الأصفار في حسابها البنكي، لم تعرف سارة سوى القليل عن عالم زوجها المهني. وجدت هذه الاصطلاحات الإنجليزية مملة بشكل رهيب. رُبِّيت لتكون زوجة صالحة، شعرت أنها قد أوفت بمهمتها. كان إيلي دائم التودد إليها. كانت تترك نفسها بسهولة للغواية التي يظهرها في أي موقف. لقد ولدت طفلين جميلين، ولدًا وبنتًا. تطهو بشكل رائع، وتدير المنزل بأناقة مبالغ فيها إلى حدِّ ما، ولكنها تعرض جميع علامات النجاح.

ورست سارة في هذا المبنى الفخم الذي يعود إلى القرن الثامن عشر حتى يتم تجديد دور علوي فخم. باعت بأسعار ذهبية الأقبية القديمة التي قامت بتجديدها، واثقة بأنها قد أبرمت صفقة القرن. ألفا متر مربع. لم يردها أحد إلا لهدمها وإنشاء برج مكانها. عرفت سارة على الفور أنها من أجلها. شققها، وغرفة الموسيقي، والرياضة، والمباني الملحقة، وعالم الأطفال، والمرسم، لأنها في يوم من الأيام، كانت على يقين من أنها ستكون فنانة.. كل هذا بدا ممكنًا من خلال عبور الأبواب الخشبية الكبيرة لهذا المبنى الساحر. تخيلت بالفعل النوافذ والفناء الداخلي والخرسانة الواقية وعوارض السكة الحديد التي أصبحت شائعة جدًّا، منضدة من الزنك الخفيفة في مطبخها. أفضل ما في الهندسة المعمارية المعاصرة ومجلات الديكور. وتعاقدت على الفور مع مهندس معماري من "بوردو" مشهور حيث الكل فر من خليج "آركاشون" إلى قلب فنادق "شارترونز"، وهي نقاط جغرافية استراتيجية لإعادة تجميع ذوى الأصول "البوردية" من الأثرياء الجدد أو الورثة. هذا الرجل الفنان كان قد تخصص في كبائن الشاطئ "الصف الأول"، مجموعة تتضمن منزلاً خشبيًّا وحمامات للاستحمام خارجية وحمام سباحة غير محدود، ويرحب ببعض نجوم الشاشة الصغيرة شهرين في السنة. ويذكر اسمه لتجديد المستودعات العملاقة في "بوردو"، بقايا تجارة الرقيق القديمة. تذكرة دخول إلى العشرة الأوائل من الأغنياء الجدد. مفتاحًا سحريًا لطلبات المقابلات في مجلات الديكور، حيث يقبل القليل، لأنها كانت ممتعة. جواز سفر لدخول الكليات الخاصة، القادرة وحدها على ضمان

مستقبل الأطفال الذين من أجلهم ينبغي أيضًا إظهار النية الحسنة. الواجب.

لا يخلو من نظرة جنوبية غربية أنيقة للغاية، فقد كان لدى هذا المهندس المعماري المصاب بالهلوسة على وجه الخصوص صلف العمل بدون ميزانية. "لن نبدأ بهذا الشكل أو سوف يضيع وقتي بسرعة!" كان قد رد عليها عندما قالت كلمة "مُقايسة" بصوت خجول إلى حدِّ ما. حدجها ببرود. لقد سمَّرها ذلك في الأرض. شعرت بأنها صعلوكة وخانعة في نفس الوقت. إهانة غريبة ممزوجة برغبة عميقة في أن تمنح لقب "مارك الهولندي". لم تصر على ذلك. ولد إعجاب غير محدود من هذه المبارزة اللفظية التي منحتْها وهم أنها أصبحت من النخبة. كان لذلك بعض التأثير عندما أخبرته به في خجلٍ خلال العشاء. منذ ذلك الحين، كانت تقول ذلك لكل من أرادت أن يسمعها. باستثناء زوجها، بالطبع، الذي ما زال يؤمن بقدرته على قيادة البشر. ليحصل على ما فاته في طفولته، كان يتذكر قيمة المال.

منذ قصة المستودع تلك، صارت حياة سارة مضطربة للغاية. لقد وضعت كل طاقتها في تسريع هذا المشروع، على أمل ترك هذا المبنى الذي لا تجده جديرًا بوضعها الاجتماعي، حتى في قلب هذا "الاتجاه الفني"، كما كانت تحب أن تردد. يجمع هذا الحي حول "متحف الفن المعاصر" العديد من صالات العرض. كان يذهب الجمهور الباريسي المستنير إلى هناك بانتظام. وقد اتبعت مدارس التصميم والفنون الجميلة هذا المرفق القريب من الحديقة العامة وسيطر على شارع "فيرير" جو

شبابي ومدرسي، بعض الفوضى. أصبحت سارة مرتبطة بهذا الشباب التافه المجهز بالدراجات و"الآيباد" والرسوم المتحركة، والذي يبدو أنه يعيد اختراع العالم وأحيانًا حتى توجيهه. كانت تعشق استعراض براعتها في حفلات العشاء الاجتماعية.

ثم قابلت صوفي. ومن ثم انقلب كل شيء. كانتا تعيشان مثل شقيقتين، أبواب مفتوحة، أطفال تتحرك ذهابًا وإيابًا بشكل دائم. كانتا تقضيان أيامهما وأمسياتهما معًا. لقد تخلّتا عن هذا الانتظار المستمر. لم تعد الحياة تدور حول ارتحالات الأولى والتزامات الأخرى. لم يعد يهمهما ذلك! أصبحت حياتهما اليومية خفيفة وبسيطة، وتكيفتا مع المتطلبات. العقل بعض الشيء دائمًا في مكان آخر. يدون التعليمات، وينشى الملل. وأخيرًا، لم يكن ينقص ذلك السحر.

كانت صوفي قد بدأت منذ بضعة أشهر في الابتعاد عن برنامج زوجها "البائع السوبر للطائرات الفخمة"، كما كان يجب أن يناديه ابنه ذو السنوات العشر. "ريشار ديلويه" دائم الترحال. عاد في وقت متأخر. تفوح منه رائحة النبيذ والمطاعم الكبيرة. يشعر بالملل مع العائلة. يتذمر. يثور. يجد زوجته مفرطة السمنة وابنه زائد الوزن. كانت تحاول تمضية الوقت. تعتقد أن العمل كان صعبًا. ينبغي أن تفرح لعدم العمل. ثم عثرت على كلمة صغيرة داخل جيب بدلة كانت تحملها للمغسلة. كلمة تفوح منها رائحة الفانيليا الرخيصة التي تعيد قراءتها دون أن تعرف حقًا ما إذا كانت رائحة الرسالة أم الأخطاء الإملائية الهائلة ما صدمها للغاية. وضعت رأسها في الرمل. حاولت ألا تفكر في ذلك.

كانت تقول إن هذا يجب أن يحدث لجميع الزوجات يومًا أو آخر. أجبرت نفسها على رفض تلوثها بالصور البشعة. كانت تتدرب على الانعزال الشهير الذي تتحدث عنه الجلات النسائية. فمجرد هذا الاتصال الهاتفي، في المتزل، يوم الأحد. جملة فاضحة وخرقاء تصدمها بعمق. "زوجك وأنا، نحب بعضنا وأنت تعيقين سعادتنا..." وكل تلك الهراءات التي تجعل الفتيات ذوات العشرين عامًا يعتقدن أنهن يعرفن بالفعل كل شيء عن الزوجين. كانت قد مدت الهاتف لزوجها، دون أن تعبس، مما يضع حدًا لتدفق الكلمات غير المجدية التي لا تريد حقًا أن تسمعها.

"صديقتك لم تنو الانتظار حتى الاثنين للتحدث معك!" أخبرته بهيئةٍ تتصنع اللا مبالاة.

تردَّد قبل أن يمسك الهاتف. كان شاحبًا. صامتًا. تناول الجهاز، مثل شخص يعاني من الأرق. كانت الفخورة. الصلبة. الفتاة المذكورة أعلاه رديئة تمامًا. كانت قد انهارت فجأة. دون أن تدرك ذلك حتى، مثل سدً. لذلك كانت قد ركضت إلى ضفاف النهر تبكي بقدر ما تريد. "عشرون عامًا أصطدم بنقل الأثاث سنويًا وهزَّات الجماع السيئة لأستبدل في نهاية المطاف بسكرتيرة!" صرخت بصوت عال دون اكتراث بمن يستطيع سماعها. كانت قد جلست إلى طاولة على رصيف مقهى صغير، في الشمس، يطل على سوق "كولبر" المحتشد بالناس وتناولت الحار وكوبًا من النبيذ الأبيض بين انتحابين.. تتمتم. وتتمخط وتبدأ من جديد. ألقى عليها جيران المائدة نظرات قلقة، وكتومة، كما يُفعل هنا

مع الناس غريبي الأطوار، المختلين، والمضطربين. بعد ذلك، فهموا محتوى كلماتها المضطربة، حوَّلوا رؤوسهم بشكل نهائي، ومنزعجين بدورهم.

هنالك كانت سارة قد رأتها. جاءت لتقوم بالتسوُق من أجل وجبة العشاء. لقد أحبت تلك الكلمة. جعلتها تشعر وكأنها تشتري منتجات ممتازة. كما يجب أن يكون الناس الميسورون لإظهار سخائهم. كانت واثقة تقريبًا بنجاح حفل استقبالها. ورطها زوجها في اثني عشر شخصًا آخر الليلة. لم تكن تعرف ما تبتكر كوصْفات طعام. كان لديها كتاب طبخ آخر كتبه "ميشيل جيرار"، والذي كانت تحاول تنفيذه منذ أن قضت عطلة نهاية الأسبوع في "أوجيني ليه بان". كان جيرار الأفضل! حتى ولو فشلت، الطبق كان مناسبًا جدًا. بالإضافة إلى ذلك، وضعت هذا الكتاب في زاوية مطبخها، والآن الناس يجبون تناول الطعام في حجرة ملحق المطبخ، كان عصريًا تمامًا.

جلست بهدوء في مواجهة جارتها. وقدمت لها كأسًا من النبيذ الأبيض دون أن تعرف ما إذا كانت صوفي تتوجَّه إليها أو تواصل مونولوجها.

> "يا للقذر... ولكن أي قذر!" وكررت.

"مع سكرتيرته. ولكن إنه يُرثى له! يا للعار! سكرتيرة... عشرون سنة من الإرهاق ليستبدلني بدجاجة تُحضر له القهوة كل صباح.. آه! من المؤكد أنها خطة جيدة لتضاجع صاحب العمل. ومن ثُمَّ، ليس هناك

أطفال ينبغي تنظيفهم، ومشتريات يجب إدارتها، وجميع الأعمال القذرة. إنها تزيل شعر جسدها، تذهب إلى مصفف الشعر، وتقضي قيلولة عطلة نهاية الأسبوع... قذارة! في النهاية، لم يكن عليه أن يشعر بالملل الشديد في اليابان. عاد مستنفدًا ولعب عليّ دور من يعاني آثار الرحلة.. الجنس.. ونحن، كنا ننتظر أن يأتي المسيح إلى البيت لتحريك إصبع صغير.. أحمق!"

"أنا أعلم، إنه قذر"، همست سارة. "كان قد ضاجع متدربة قبل خمس سنوات عندما كنت في نهاية حملي. كنا قد وصلنا للتو إلى فرنسا بعد ثلاث سنوات في الولايات المتحدة، وكانت النتيجة أن أواجه نوبة من البكاء والتقلصات والأغراض المتزلية بينما يستعيد السيد فحولته... وذلك لمدة ثلاثة أسابيع. انتهى بي الأمر إلى الولادة، تخيلي!"

"ولكن كيف تحمَّلتِ ذلك فيما بعد؟" صفعت صوفي، بالتحدث معها دون تكلف كما لو كانت قد عرفتها لسنوات.

"اعتقدت أنني أصنع حياتي.. سكرتيرة سمينة تسند بطنها الأكرش على ظهرك وتعبث بأشرطة حمالة صدرها، وأصابع مزعجة موضوعة على الكتفين، وهي تملي البريد... وكان ذلك كافيًا بالنسبة لي. ثم أقسم، أقسم أنه لن يفعل ذلك مرة أخرى، لذلك..."

"لذا، عدت ... "قالت وهي متذمرة.

"لم يكن لدي الشجاعة أن آخذ أطفالي تحت ذراعي والاحتماء بشقة من غرفتين. قد لا أستطيع حتى وضع ثيابي فيها. ثم المزيد من الإغراءات، وعطلات نهاية الأسبوع وحيدة، والأيدي التي تبلى من الدعك والتنظيف، والصغار الذين يتركون مدرستهم الخاصة للمدرسة الثانوية العامة ليس أكثر من ذلك... رأيت حياة تمتد على طريقة زولا. لا وبينما أنا جعلته يرتجف بكل ما كنت أفعله حياله وأحضره له، سوف يتدحرج أسفل قدمي ويتوسل غفراني. أعتقد أنه كان خائفًا حقًا. هذا يتدحرج أسفل قدمي ويتوسل غفراني. أعتقد أنه كان خائفًا حقًا. هذا الأيام، رحل مجددًا مع خاتم كبير وعطلة نهاية أسبوع إلى البندقية. ماس "اليكونكون" يا عزيزتي! حتى إنني تساءلت عما إذا كان لن يعيده! وانتهيت إلى أن هذا هو الثمن الذي يُدفع لهذه الحياة الكريمة!"

"لن أستطيع. أقسم لك. لن أستطيع..." كررت صوفي بلا كلل.

في النهاية، النبيذ الأبيض غير الحلو الذي تجرعته صوفي كان قد أدى دوره. لم تعد تتحدث بألفاظ نابية وبكت على نحو أكثر لطفًا. ساعدتها سارة في اجتياز الشارع. كانت تتمايل بشكل خطر. بدأت في التقيؤ بين السيارات وعلى ما يبدو، لم تتوقف لمدة يومين. حبست نفسها في غرفتها، تاركة زوجها يحُك وينوح على بابها طوال الليل.

٢- إميل زولا (١٩٠٢-١٨٤٠): روائي ومسرحي فرنسي راحل. عُرِف كرائد للمدرسة الأدبية التي سُميت بالمذهب الطبيعي، اتسمت رواياته بطابع مأساوي وميل إلى التناول الميلودرامي لتردي شخصياتها في الحياة، ومن هنا جاءت الإشارة إلى "الحياة التي تمتد على طريقة زولا".

"يا له من حقير!" قالت سارة. "فبدلاً من أن يأخذ حقيبته ويلحق بعشيقته في الشقة الاستوديو الخاصة به بحثًا عن الحب والجنس! كان جيدًا، هذا التجديد الذي أراد أن ينسجم معه. لقد سئم الحياة الزوجية. هذا الازدراء الذي يرسله إلى وجهه كل صباح، وهو يشاهد التجاعيد ترتسم في زاوية عينيه!"

سمعت سارة أنينه على الجانب الآخر من الجدار. لقد انتهى بها الأمر إلى وضع سدادات الأذن. إنه مثير للشفقة. الزوج المخادع في مسرحية توبته الكبيرة. إنه يذكرها بتوبتها. لم تعد تنام. كانت تنتظر أن يهدأ كل شيء. لقد أحصت بضعة أيام أخرى كي لا تبدو غير مهذبة، ثم جاءت لرؤية جارتها. لقد شربتا الشاي في هدوء.

"إذًا؟" سألت سارة. "ماذا سيحدث بينكما؟" الا شيء أكثر من ذلك". أجابتها صوفي بابتسامةٍ متكلفة.

"كيف هذا، لا شيء أكثر من ذلك؟"

"طيب! بعد أن بكى لفترة طويلة، شكرته! طمأنتُه واعدةً إياه بأنني لن أتركه وأنني سأعتني بطفلنا! لم أكن أعتقد أنني سوف أضر ماكس. إنه يحتاج إلى الكثير من اليقين في سنّه. ابني من هذا الجيل الهش الذي لا يبدو أنه سينهض بأي شيء. ثم رأيت زوجي العزيز يصفر. هادئ لتدبر الأمور ربما، سوف تقولين لي! مع عدم وجود رغبة واضحة للعيش مع دجاجته، التي أقسم أيضًا على تسريحها. أوصيته ألا يكلّف نفسه هذا

العناء. دائمًا يطارد الرجال أخطاءهم بأعمال يتخيلونها بطولية. ثم شكرته على تحريره لي!"

"مُحَرَّرَة؟" كررت سارة بحماقة.

"نعم، لقد فرحت صوفي. لقد رأيتِ تلك النظرة على وجهه! أخذت الوقت لتقييم حياتي المتذبذبة هذه منذ أكثر من خمسة عشر عامًا. إنها في النهاية حياة كل شيء فيها ليس سوى تنازل. في السنوات الماضية كنت أراقب كل أحلامي وهي تصير غبارًا. مسيرتي، هواياتي، رغباتي، نواياي، إرادتي وسلطتي وحتى أنوثتي. بالاعتماد أكثر من اللازم على رجل، نصبح وجهه الآخر، وبديله، عذرًا لكل ما لا يحدث أبدًا. لقد فقدت الكثير من الوقت. استسلمت. تخليت عن كل شيء محدثةً نفسي بأن ذلك على الأقل يفيد ابني. لأجعله ينضج. لقد دفنت نفسي على قيد الحياة. في الخامسة والثلاثين من عمري. طيب! كما ترين، أيقظني! لقد قررت. هذه الخيانة هي جواز سفر حياتي الجديدة. أشعر بأنني حرة في الذهاب والإياب. حرية الذهاب بمفردي في عطلة نهاية الأسبوع تاركة له مسؤولية ابنه، فخره! حرة في أن أنطلق في الهواء مع من أريد. حرة، هل تفهميني؟ أفرج عني. كنا قد أقسمنا على الإخلاص. المساعدة. والإعانة وكل ذلك الهراء. حررني من هذا الوعد وكل ما جاء به! أنا حرة لدرجة أنني قضيت الصباح مع مدرس تمارين البطن والأرداف و... ما الله كان رائعًا!"

<sup>&</sup>quot;ولكن ليس لديك...؟ لست حزينة؟"

"حزينة من ماذا؟ من استعادة حياتي، بعد خمس عشرة سنة، من النفق، الفراغ، الصمت؟ لكنكِ مجنونة! لم أشعر قط أنني بحالة جيدة. بالطبع، هناك أيام أستيقظ مع صداع فظيع من أثر الشرب. كأنني كنت أمضغ الندم طوال الليل، تفهمين... ثم أتذكر ما وعدت به نفسي. الحياة. الحياة حتى الموت. أتساءل عما إذا كان لن يفضلني متحررة!" صرخت، وهي تحتسى الشاي بهيئة غريبة. "نحن نفعل كل شيء، أليس كذلك؟"

وهكذا بدأت القصة العظيمة للثنائي "S". صداقة مختومة بنفس الخداع. لقد اختارت الأولى أن تحبس نفسها بحرية والأخرى أن تتحرر تمامًا من أقفاصها الذهبية الجميلة. كانت سارة في موقع عملها. وتدير صوفي عدة "ملفات"، كما كانت تطلق على عشاقها، وتتزين يومًا بعد يوم! بقية الوقت، ترويان مغامراتهما دون خجل وتتآمران على عدم الملل.

كَرِه الزوجان هذه الصداقة بطريقة عفوية، وحاولا تجنب هذه اللقاءات في عطلة نهاية الأسبوع، ودون وهم يشهده الأسبوع. لم يجرؤا على كسر هذه العلاقة التي عرفا لا إراديًا متانتها. تصافح الرجلان إجباريًا، محاولين الهروب من هذه "الكأس" الحتمية التي خططت زوجتاهما لتنظيمها. لقد أخذ الأطفال ما هو جيد في الوضع. الأرق. الحرية. الإفلات من العقاب.

تجنبت كلوتيلد كلتا الـ"S" بشكل غريزي. كانت تحتمي بمنزلها بمجرد سماعهما تصعدان السلم بصوت عال. كانت ترتجف من فكرة

أن تجد نفسها على نفس درجة السلم، خوفًا من بعض الملاحظات المهينة. مجرد رؤية جسديهما النحيلين ونظراتهما متطرفة الأنوثة تصيبها بالغثيان. هذه الصورة البراقة من الأناقة تُحيلها إلى تلك النظرة السيئة التي تُكِنُها عن نفسها. عانت من أطرافها السميكة، من ذلك الجسم والوجه اللذين اعتبرتهما بدون شكل أو جاذبية. لا، لم تعد تعاني. كانت تعرف.

والمثير للدهشة أن الصديقتين كانتا ودودتين ودافئتين دائمًا عندما تلتقيان بكلوتيلد في منزل عمتها. وكأنها بنت العم الصغيرة. في صباح أحد الأيام، وفيما كانت الشابات الثلاث على سرير "الملكة تيريز"، كما كان يطلق عليها على السلم، توجهت هذه الأخيرة إلى الثنائي "S":

"قولا لي، أيتها الأميرتان، يسعدني حقًا أن تلعبا دور المدرب، كما يقولون الآن، مع البائسة كلوتيلد! لقد حان الوقت بالنسبة لك، صغيرتي، للعودة إلى عصرنا.. إنها تعاسة حقيقية أن يكون لك مثل هذا النمط. لقد انسحبت تقريبًا من العالم بهذا الشكل مع أنغام عيشك على كوكب آخر. ليس بهذه الهيئة ستحصلين على وظيفة. أنتظر منكن، أيتها الجنيات، ما ستعلماها لتكون فتاة شابة! بالأحرى. تفهمان ما أقصد؟"

وقالت سارة، التي كانت دائمًا تسعى للحصول على النغمة الأكثر توافقًا، بغض النظر عمن كان محدثها: "إنها مسألة مساعدتها في العثور على نمط، أليس كذلك؟"

"نعمممم، يا كتكوتة، الأمر يتعلق بتحويل شيءٍ إلى امرأة. هل أنا واضحة بما فيه الكفاية؟"

وكانت كلوتيلد قد تكومت في كرسيها. كما لو أن كل كلمة أعطتها ضربة إضافية على قمة الجمجمة. تمزَّق شيءٌ ما فيها، بشكل مؤلم. تساءلت لماذا تهاجمها عمتها بهذه القسوة؟

فقدت صوفي خيط الحادثة. بقيت محدقة العينين، مثبتة في الحائط خلف تيريز. "لن يكون ذلك ممكنًا، كررت، لن يكون ذلك ممكنًا، هناك بالفعل الكثير من العمل". واصلت سارة التحدث بأدب، وشعرت أن من غير المجدي مناقشتها وأنها لا يمكنها التراجع. تأملت كلوتيلد بنظرة حزينة وضبابية. وشجعت هذه الفتاة التي كانت في مرحلة ما بعد المراهقة، مُكررةً أن السماء قد حرمتها مثل هذا القبح. وأسوأ ما في الأمر، كما تظن، أن يكون لدى المرء أبوان جيدان وأطفال مشاغبون. إنها قصة الحمض النووي، كما قالوا في البرامج العلمية. كانت مقتنعة بالتأكيد أن بعض الأزواج غير متوافقين! تذكرت زميلة دراستها الساحرة التي ركضت كل شبابها خلف قطار ألكسندر، هذا الوسيم الذي ينظر له الفناء كله، آملةً أن تستقر نظرته عليها. رجل رياضي وعائلته جيدة، يمثل أفضل الأطراف. كان يتسكع من فتاة لفتاة، وترك كلاً منهن تعتقد أنها المناسبة. برفضها الإغراءات، فإن سيسيليا الجميلة انتهى بها المطاف إلى الزواج منه. وولِد من هذا الزواج فيتان طويلتان وبنيتان، وهما خليط من الزوايا والبروزات. الأطفال فتاتان طويلتان وبنيتان، وهما خليط من الزوايا والبروزات. الأطفال

بمثابة خيوط، وجوههم غير ملساء، بعيدون تمامًا عن الجمال البري لآبائهم.

من جانبها، كان لديها هذا الوعي البسيط بعض الشيء عن التجمعات القبيحة، وقد اختارت زوجًا يشبهها.. جسديًّا. حتى لو أن الباقي لم يتح لها التخيل حقًا. ظنت أن ذلك أعطاها أسوأ ما كان عليه. في أحسن الأحوال، ما كان عليه أطفالها. خدمتهم للغاية الطبيعة، صغارها! لقد ارتاحت منذ ولادتهما. "انتهى الأمر، قالت لنفسها عندما كان الجراح الذي ولَّدها قيصريًّا يضع أطفالها بين ذراعيها، علينا أن نعلمهم الآن، لكنهم يخرجون بشكل جيد إلى الحياة". فكرت سارة في حاجتها الأبدية للاطمئنان. سارة وغريزة الأمومة. حاجتها إلى تدليل أولئك الذين ينتمون إليها. إلى النجاح في ما كانت تقوم به، مع العلم أنها لم تضع سدًّا أعلى من ذلك. إن مساعدة هذه الفتاة، كما طلبت تيريز، ربما مثَّلت فرصة لها لتمحو كل تلك المشاعر السيئة التي شعرت بها عندما رأت هؤلاء الناس المحرومين من النعمة. ما يشبه الفداء، المغفرة. كل هذه الكائنات التي جُلِبت إلى العالم بالإرادة العليا، بدون جمال أو سحر، وهبتها وصمة عار غير مفهومة، كما لو أنها تُثقل مرورهم على الأرض أو تعاقبهم على حياة سابقة. ماذا يصنعون ليكونوا سعداء، أذكياء، متزوجين، ليتكاثروا؟ العيش ببساطة، معجزة حقيقية، تقريبًا قوة إلهية. كانت تعلم أنها قد تستطيع، أنها قد لا تملك الطاقة. كانت في بعض الأحيان تحدق في المارة متسائلة عما استطعن فعله هؤلاء النساء الفقيرات ليحملن هذا القبح إلى دائرة

الضوء. كانت تعاني، من أجله، من أجلها، وشكرت السماء على كل شيء لديها. على أطفالها الكاملين. وأعربت عن اعتقادها الصادق بأن الطيبين فقط هم الذين لهم الحق في النعمة. نعم، كانت ستساعد هذه الفتاة التعسة.

من جانبها، هربت صوفي مرعوبة تقريبًا. هدَّأت نفسها بالتركيز على هذا النور الخفيف في الحائط، حيث شاهدت في الأسبوع الماضي صليبًا مُعلَّقًا. كانت متأكدة من ذلك. هربت حتى لا تفكر في المواصفات الجذابة لهذه البائسة. تخيَّلت لمسها، والشعور بها، وكان قلبها يرتفع لهذه الفكرة البسيطة. تنتمي صوفي إلى عالم مغلق لا تحق الإقامة فيه إلا لذوى الجمال من البشر. اقترابها من الأربعين أرعبها، وفكرة الشيخوخة ضاعفت طاقتها للعمل على جسدها الجامح أحيانًا. منذ البداية، حافظت صوفى على نحولها حتى تُبقى على لياقتها. تناوبت العلاج من فول الصويا، الحمية الأحادية للعنب والحقن الشرجية للتطهير المستمر. لم يمر يوم عليها دون ساعات من التدريب وأميال من الجرى. فقط الألم الشديد ما يجعلها تعود إلى شقتها. نهضت صوفى في الخامسة صباحًا للجرى، وعندما جاء "رجالها" إلى المطبخ، كانت قد أخذت دوشًا، وتزينت وارتدت ملابسها. أمسكت إبريق عصير طازج قبل أن يجلسوا. بقيت واقفة. تستدير حول الطاولة لتقشر البرتقال لزوجها أو تمزج الشوكولاتة لابنها. وكان على كليهما تناول طعام متوازن واستبعاد أدنى تجاوز للسعرات الحرارية في أحد أعضاء هذه الأسرة. كانت السمنة بالنسبة لها رمز السقوط المرضى، الفوضى، الوصمات الأولى للموت المعلن. بعد

تقديمهما، خلعت صوفي ملابسها لارتداء ملابس الألعاب الرياضية. وهكذا كان عذابها طوال اليوم. كانت في فترات بعد الظهر مشغولة بالتسوق والحب. كانت صوفي واحدة من هؤلاء النساء اللاتي ينبغي على المرء أن يكرر باستمرار أنهن جميلات ومرغوبات. كان الشباب مثل المرض الذي يأكل قلبها. لقد حققت جلسات "حب الرياضة" هذه الوظيفة. من الواضح أن زوجها لم يستطع مواكبة سرعة وتيرة رغباتها. مهما حدث، ينبغى على صوفي ممارسة الحب، وغنت هذه الشهية على مدار الأيام. بشكل جيد ولفترة طويلة. ميل جنسي بارع ونووي. فورة جسدية يمكنها تحريك عضلات تم تجاهلها. تمرين استطاعت من خلاله جذب عدد من الوسيمين انطلاقًا من تدريسها الألعاب الرياضية لأزواج الصديقات الذين كانت تستعيرهم. في بعض الأحيان كانت تفضل المتاجر الفاخرة، حيث تكافح لتجربة كل شيء من أحدث المجموعات. وكان الشيء الرئيس هو الإعجاب المطول في غرف تغيير الملابس، وترك الستارة مفتوحة بشكل واضح أمام من يمكنه الرؤية. كانت تعاند، تعاني من هذا العناد. تعد برناجًا بالفعل بقائمة طويلة من جلسات الجراحة التجميلية. تقوم بإحصاء السنوات ولا تحصى التدخلات المستقبلية. في نهاية اليوم، وجدت صديقتها سارة التي كانت تحكى لها عن سعادة الساعات السابقة، تطارد الأفكار المظلمة من أجل القصص الرومانسية لمغامراتها. وهكذا عاشت سارة أعظم مشاعر الحب بالوكالة.

"أنا مشغولة جدًّا، يا تيريز، وسيكون حقًا صعبًا للغاية بالنسبة لي التخطيط بشكل مختلف"، قالت صوفي فجأة، الصدر مختنق بفكرة

التخلي عن هذه الحياة اليومية المنظمة بشكل جيد للغاية. "بالتأكيد، كنت أود إرضاءك حقًا، ولكن..."

"أعتقد، يا صديقتي الجميلة، أنكِ ستجدين هذا الوقت الثمين... سوف تجدينه أو..."

"سأفعل ذلك عن طيب خاطر"، تلجلجت صوفي. وهي تحثها على النظر لعدم الانتهاء من عبارتها.

ابتسمت تيريز ابتسامة سعيدة. كانت قد فرقعت بأصابعها لتقدم وجبة خفيفة. مُستعمِرة. مُتسلطة. ودت كلوتيلد الفرار من مشهدٍ مثير للشفقة لاتفاق حول الشاي السيلاني. "شيء"، لا تزال. هذا ما كانت عليه. خائفة من الأيام المقبلة. بسبب هذا الزوج المتفجر. نظرت لها عمتها بحنان، لتهدئتها. كان يحدث ذلك في بعض الأحيان. فجأة. كانت تحدق فيها ويبدو أنها تخبرها بأن كل شيء سيكون على ما يرام.

خفضت الفتاة رأسها. بقدر ما تذهب بذاكرتها إلى الوراء، كانت تتجاهل هذا الجسم الأخرق، وأطرافها القرعية والقصيرة، وهذه الكتلة البشعة التي يشير بها انعكاس واجهات الحلات في الشارع. لم يكن لديها سوى رؤية نسبية لهذا الفضاء اللحمي الذي يسكنها. كانت قد حرمت نفسها من أي مرآة، وفي النهاية لم تكن تعرف حقًا سوى يديها وذراعيها وقدميها! هربت بوعي من الباقي. وخلصت أيضًا إلى أنه بصرف النظر

عن التعبير المثير للاشمئزاز لدى البعض\_ يمكن للمرء قضاء حياة كاملة ترتكز فقط على العقل، التجريد، الظرف الافتراضي، اللا زمني. كانت أحلامها وقراءاتها قد استولت على كل المكان. ولقد أضيفت إلى ذلك منذ بضعة أسابيع هذه العاطفة الجديدة، هذه الرقة التي شعرت بها بجانب سكان العمارة.

## البسطة الأولى

نزلت سارة الدرج بحذر، وذراعها مثقلان بـ"مشاية" لونها أزرق مشرق ومجموعات مختلفة، ملابس مُعرِّقة، قفازات، وكريمات أخرى للتنحيف. تبعتها صوفي، ثعبان من الحديد ملفوف على نحو غريب حول جسمها الغريب. وقد ارتدتا ثانية ثيابهما القطنية وانتعلتا حذاء الباليه "الريبيتو". لرفع الروح المعنوية، كانتا قد قررتا.

"هيا يا حبيبتي، هيا فلنذهب إلى عملنا اليومي الجيد! سأشرب قليلاً قبل دق الجرس، لأشجع نفسي! ولكن يا للمأزق! وكل ذلك لارضاء لاقبلن!"

"مهلاً، صوفي، كفي قليلاً عن النواح! الأمر ليس أكثر صعوبة من القيام بصفقة خيرية. ومن ثمَّ، أنتِ مدينة بهذا لجدتنا، أليس كذلك؟"

طرق الثنائي "S" بقوة على باب كلوتيلد. كانت هذه الأخيرة تتجسس عليهما منذ أن بدأتا نزولهما من الطابق الثالث. كانت تدعو بقوة ألا يكون قد حل وقتها، ولكنها تعرف أن قرارات عمتها دون استئناف. لقد تخيلت لحظة تخرج فيها لتفويت هذا اللقاء. ليس لديها أي مكان تذهب إليه. رحلات ذهابها وإيابها إلى الشارع مقتصرة على المدرسة،

والحديقة العامة، ومحل بيع الأطعمة الأجنبية الذي فتح لتوِّه بالجوار. ليس لديها أعذار. كانت جارتاها غير صبورتين. طرقتا مرة أخرى.

"آه.. صباح الخير".. تمتمت كلوتيلد، مواربة الباب، النظر مصوب باتجاه ألواح الباركيه.

"مرحبًا يا حبيبتي! جلاداك.. في خدمتك!" صاحت صوفي وهي تدفع الباب بسرعة.

"صباح الخير، كلوتيلد. لقد جنّدتنا عمتك لخدمتك! نحن سعيدتان بهذه المهمة!" أضافت سارة لتُصلح النغمة الصارمة لصديقتها.

"ولكن.. لا يجب أن تفعلا كل ما تقوله". دافعت الفتاة الشابة عن نفسها.. "إنها تبدو سلطوية بهذا الشكل، ولكن..."

"ششش.. ليس لدينا خيار، ولدينا بضعة أسابيع لنجعلك أنثى ومثيرة! هذا كل شيء! هذه هي التعليمات، وأنا لم أفهم أن لدينا بديلاً حقيقيًّا. صدقيني، أفضًل أن أبقى مستأجرتها المجبوبة بدلاً من جارتها المكروهة. إنها تعرف كيف تصبح مرعبة حقًّا. هيا! فلتذهبي وترتدي زيًّا رياضيًّا لأننا حكما ترين ليس لدينا سوى العمل. يجب أن نشجعك عليه أيضًا! التنفيذ!"

لم تكتف بأن تأمرها بالمضي قدمًا، بل تبعت صوفي الفتاة إلى خزانة ملابسها حيث سحبت سروالاً سيئ الشكل على نحو غريب.

"سنتدبر الأمر الآن!" تمتمت، مشمئزة من فكرة أن يفرض عليها العرض بمثل هذه الخرقة في التنقل. "يمكن للمرء أن يظن أنه زي لمغنية "راب". بلا شك يجب أن يُرتدى ذلك في الضواحي الباريسية. أوف!" التفتت إلى سارة، مقطبة باشمئزاز دون كتمان.

"كما تعرفان"، متلعثمة كلوتيلد، "لستما مجبرتين بالفعل.. لديكما الكثير من الأشياء الأخرى للقيام بها..."

"أنتِ على حق! هيا، انبطحي على الأرض ومرري كتفيك أسفل هذه العارضة المعدنية. تقفين، وهي تساعدك! وكلما ازددتِ قوة يكون الأمر رائعًا. انتبهى، سأعد حتى خمسين..."

هكذا بدأت جلسات التدريبات البدنية اللا نهائية التي أتت من الآن فصاعدًا للانفراد بصباحات كلوتيلد اليتيمة. التمدد على الأرض بمثابة صَلْب. كان عليها أن تفعل ذلك على عدة مراحل، ومن ثم المرحلة الأولى أن تجلس على الأريكة لتستطيع الانزلاق بتثاقل على السجادة. غالبًا ما واجهت صعوبات في فهم التعليمات، مركزة على محاولة إيجاد توازن في أوضاع لم تكن تبنتها أبدًا.

"واحد، واثنان، وثلاثة ونواصل. انظري! لو تريدين تناول الطعام اليوم، حان وقت التحرك إلى العرض. ليس لديً ما أفعله غير هذا. هيا، أنت تعدين في نفس الوقت.. معي.. واحد واثنان وثلاثة.. هذا الصباح، سنعمل على هذا الهلام الموجود على بطنك. حسنًا، أنت جريئة على أي حال، ولم تتصرفي كالأطفال، ولديك الشجاعة على

هذا الجسم المترهل.. هيا، حركي جسمك، واحد واثنان، أسرع من ذلك، ارفعي رأسك وتنفسي.. هذا مؤلم؟ هذا ما يجعله جيدًا، إذًا.. سوف تأكلين قليلاً غدًا".

وجدت صوفي أخيرًا في هذا التمرين اليومي غير المسبوق متعة لم تكن تعرفها حتى ذلك الحين. في بعض الأحيان كانت تتمدد بجانب الفتاة وتقوم بنفس التمارين لتظهر لها صعوبة أن يتجاوز التلميذ معلمه. في اللواقع، هذا التسلط الجديد الذي كان بداية السيطرة أثارها أكثر من أي شيء. كانت تتلذذ بالأوامر، تناضل، تهمد. كانت ترعى بنظرها بطنها المنتفخة التي تهتز من اليسار إلى اليمين مثل بطن إضافية مملوءة بالسوائل، هاتين الساقين اللتين تتحركان وتهتزان، هذا الجذع المحروم من ثديين حقيقيين أو وركين. أثار ذلك اشمئزازها. لذلك بدلاً من تشجيعها، أحبت إذلال كلوتيلد التي كانت الله عن مسامها كأمواج اللترات من جسمها عرقًا. هذا الماء الذي بدأ يتدفق من مسامها كأمواج زاد اشمئزازها. لطالما مارست صوفي التدريبات البدنية وهي مصفّفة الشعر تمامًا وبكامل مكياجها ومساحيقها. ما من قطرة عرق على وجه يرتدي ابتسامة ثابتة.. بينما، البائسة، تحمر، تختنق، تعرق.. كل ذلك كان يخرج منها مثل دهون من الحزن تسيل على الأرضية.

كانت سارة تراقب المشهد، مذهولة، وأحيانًا مع حكة بسيطة من المتعة التي داعبت الفخذين. رغبة أم سادية ناشئة تحت الجلد! تمنع نفسها من التفكير في الأمر. رجفة من التعب دون شك. يا له من عرض! هذه المعذّبة التعيسة، المرتجفة، وصديقتها، واقفة، منتصبة على الأطراف،

تصفع في الهواء سوطًا خياليًّا. تعد بوتيرة متقطعة. يهيمن على الغرفة إيقاعها الجامح. يومًا بعد يوم، ساعةً بعد ساعة. لم يوقفها شيء، لا التجهم أو النفس القصير. وبقيت نظراتها مُصوبة نحو فخذي الفتاة السمينين. نحو هذه الطيَّات الخشنة، هذه الكتل الدهنية المعلقة بشكل يُرثى له. تراخ بائس، انحطاط. لن تتنازل إلا عندما تبدأ هذه الأخيرة في أن تنحت من هذه الكتلة غير محددة الشكل. كل حلقة تقربها من الهدف الذي حددته. كانت تعلم جيدًا أن كلوتيلد لن تجعل أبدًا خصرها ثمانية وثلاثين، ولكنها على الأقل تعتقد أنها يمكن أن تصل في النهاية إلى رؤية صورة ظلية تبرز من الكتلة، شيء يتبني إلى حد ما الهيكل العظمي، كائن يمكنه الاستيقاظ دون اختناق. يمشي دون سماع لحمه يحتك ببعضه بعضًا. يتحرك دون ماء ودون رائحة. يدور دون أن يجر الجسم كل شيء معه. شعرت بأنها فنانة فجأة، لا غني عنها، نحًّات مصير جديد.

في بعض الأحيان كانت سارة ترن الجرس، خائفة من وجه كلوتيلد الشمعي.

"الأمر جيد اليوم"، صرخت كما لو أنها توقف محركًا اشتعل بوتيرة جنونية. "صوفى، اهدئى!"

لم تعد تتعرف على صديقتها، وانتهى بها الأمر بمقاطعتها بصوت حاد يشوبه الخوف. لزم هذه الأخيرة بعض الوقت للاستماع إلى هذا الإملاء. كانت بعيدة جدًّا. وبدا أن عنف الكلمات والإيقاعات تملَّكها كليًّا. وهذه الفتاة المسكينة المنوَّمة بالعبارات التي كانت تصفعها بالهواء

المبلل أصابتها بالغثيان. وكلما رأتها ترفع جثتها الثقيلة، أرادت أن تضرب هذا اللحم المترهل. كانت تغادر الشقة في بعض الأحيان مرتجفة. تقريبًا تسحبها يد سارة.

كانت كلوتيلد تظل مستلقية على الأرض، خامدة، بعد فترة طويلة جدًّا من إغلاق الباب. كان السقف يعكس لها صورًا ضبابية، مثل الأمواج. كانت عيناها مشوشتين. تركز على هذه السرابات لنسيان عضلاتها الموجوعة. تعانى على نحو رهيب، في كل مكان وطوال الوقت. أحيانًا ينتهى الأمر بابتسامة تسيل على شفتيها اللتين أصبحتا باهتتين بغرابة. كانت تتألم، لكنها شعرت في النهاية بجسدها. هذه الجثة الأرضية التي حتى ذلك الحين لم تلحق بها إلا المعاناة عندما ترتطم بزاوية طاولة أو تصطدم قدمها بعنف بالباب. هذا الملبس من اللحم والعظم، حيث لم تكن قادرة على النظر في محيطه الفعلى، كان لأول مرة في حياتها، مأهولاً. شيء ما كان يدور بداخلها. هذا الجلد البارد دائمًا والذي كانت قد تنازلت عن السر عليه بيديها، لا يزال حيًّا، تقريبًا يفور. يجرى الألم والحرارة من الآن فصاعدًا في عروقها. ينبغي عليها الانتظار أن يحل التورد اللامع محل رمادية وجهها الترابية، وأن يصبح تنفسها منتظمًا مرة أخرى، لتفكر في استعادة حياة مستقيمة. كان يلزمها في بعض الأحيان ساعات للتعافي. كانت سيئة لدرجة أن عقلها كان يفر. هذه الروح الهائمة التي، أثناء هذه التمارين، كانت ترحل بعيدًا حتى تصعب عودتها في بعض الأحيان. لاذت بمكان آخر. بزقاق غريب، بالفضاء فوق سماء ملبدة، بالشعر الذي تكرره بلا كلل حتى لم تعد

تسمع صوت تلك البشعة رشيقة القد التي تصرخ كممسوسة "واحد، اثنان، ثلاثة..." هذه الدمية الميكانيكية، هذه المشجعة المفككة، كانت كلوتيلد في حاجة لكراهيتها كي تتقدم، للعثور على طاقة للاستمرار في التحرك هكذا. بلا جدوى. وكانت قد استمدت منها أيضًا هذه القوة الهائلة لكرهها. لأول مرة في حياتها، كانت تتطلع إلى شخص بكراهية. شعرت أخيرًا بالرغبة التي لا تقاوم في القفز على حلقها وخنقها. بدأت تتعرق بسبب هذا الشعور الفريد والمذهل. ليس تلك القطرة النتنة التي اعتادت أن تسيل على جبهتها عندما تكون مرعوبة. لا. ليس هذا السم المقرف، ولكن سيول من السائل تتدفق منها وكأنها الخلاص. موجات تغزو ملابسها القطنية الكبيرة، تشكل هالات كبيرة، ثم ينتهى الأمر حقًّا بالتدفق بين شرائح الباركيه المفككة. لتترك بعد هذه الجلسة اليومية أثرًا لا يغادرها إلا المساء التالي. زبد بهيج وعديم الرائحة يكنس كل شيء في طريقه ويطرد إلى الأبد أفكارها الخسيسة. كانت كلوتيلد تعمل باستمتاع على أردافها وبطنها التي اتخذت أخيرًا بعض التضاريس. تتخيل على الفور تفريغ أحشاء هذه البائسة صوفي التي كانت عندئذ تنكمش مثل الكرة الجلد، ملامح وجهها مشوهة المكياج.

أما سارة، المراقبة اللطيفة والمُستعبِدة لجلسات التعذيب المنظم هذه، فقد احتفظت لها بالدور الخيالي لحاملة الدروع الخزفية، تستدير فوق حصان مجنون وتتحطم على الأرض، وعيناها المخضبة والجامدة تبكي دمًا. لماذا هذا السراب؟ هي لم تعرف ذلك حقًا. ربما لأن كل هذا السيرك بدا كأنه مهزلة. لأن الفارسة الزجاجية لم تسيطر على أي شيء.

عاشت حياتها من خلال الآخرين، أو قليلاً جدًّا. إنسانة آلية. امرأة مخضبة. سماء ملبدة بالغيوم. لمدة قصيرة.

ربما أيضًا لأنها تفكر في أن الجسم مجرد جزء صغير من الوجود وأن بقية الأشياء أكثر أهمية. البطاقة الأولى جسد متناغم. في غيابها، كان عليها أن تخترع لعبة أخرى. كل شيء يخضع حينئذ للبناء، للتخيل. فقط القبيحون كانوا على وعي وعلم بهذه المعركة. نسيان هذا الظرف. تجاوزه، التغلب عليه. الوصول إلى الرشاقة، الوسامة، المظهر، نفس الحياة. تذكرت الكلمات الغاضبة لكلودي، مثل نص مقدس. قصة مساعدتها لتصدقها، لتحمل العبء. لتفكر في أن هذا الاحتضار لم يكن قتالاً دون جدوى.

"إنهما تقنعان الجميع أن هذا يكفي لترتدي بأناقة. إنهما تتعللان لنا حتى لا تبذلا أي جهد. أي شيء أكثر أهمية من هذه الصورة الظلية التي ينظر لها الرجال؟ التي تَغير منها النساء؟ التي يجب على الكل أن يلاعبها، يرسمها، يستوعبها، يصورها؟ أنت جميلة، عروس! أنت مثيرة. أنت لذيذة! ثم في يوم من الأيام، لن تكوني شيئًا. لقد انتهيت. انقرضت! أنت تلك التي يجب أن تكون جميلة! يطلقون أيضًا على ذلك "البلاستيك". طريقة جيدة بالنسبة لهم لإعادتنا إلى مربع اللعبة، لإنكارنا. هذا ما يقولونه في الجلات على الأوراق اللامعة حيث تتخفى الدمى كآلة للإرضاء. لأن هذا يرعبهم كثيرًا بالفعل، الباقي".

"القلب. يفعلون كل شيء لنسيانه. ذلك الذي يدق أسرع عندما يسمع الكلمات الرقيقة. مع قليل من الحظ، تعرفينها بالفعل، كلمات

الحب هذه، لأن والدتك همست لك بها في جوف أذنك. لم تكن حالتي! لم يكن لديها وقت. هي لا تعرف كيف تفعل ذلك. يمكنها فقط حب شخص واحد في وقت واحد وكان والدي. لذلك، إذا حالفك الحظ، فحبك الأول الذي يكتبها لك، هذه الكلمات الحلوة. تأملين، فيما بعد، أن يستطيعوا الهمس بها لك. لكن بعد ذلك، مع التقدم في السن، يصبحون جافين، الرجال. جافين مثل صفعة على الأرداف. لم يعد لديهم كلمات. يعتقدون بالتأكيد أن هذا سوف يسلب رجولتهم، كونهم رقيقين. كما لو أنهم يتوقفون عن الحديث خوفًا من فقد الانتصاب. ومع ذلك دائمًا أسأل نفسي عما إذا لم يكن للأمهات علاقة بذلك!"

"وأخيرًا، هناك الروح! وهكذا تجثم في الأطراف العالية كي تنفصل عن الجسم. لتكون مثل عصفور فوق غصن، دائمًا على استعداد للتأرجح في الفراغ. روح جميلة تغويهم في الأيام الأولى، ثم تلقيهم في الظل. لذلك، نصيحة رائعة، صديقتي، كل شيء تفعلينه لحسمك، افعليه لنفسك. كي يلحق رأسك بالباقي. هذا هو السبب، يا كلو، يجب عليك الاستمرار في تحريك مؤخرتك مع المخبولتين. لا أريد خسارتك. أنت الشخص الحقيقي الوحيد على الأرض!"

نعم. هذا الجسم، متوتر وتعب قبل السن، وكانت كلوتيلد قد وافقت على صياغته. ليس بالنسبة لها. لا. ولا من أجل إعجاب أو إغواء الرجال. كانت تعتقد بسذاجة أن الحب يمكن أن ينشأ من خلال البشاعة. بالتأكيد دون النظر حقًا إلى أن هذا الشعور قد يقلقها. ببساطة

أكثر، لاحظت، يومًا بعد يوم عند جيرانها، أن الغلاف الجسدي الذي يحويها قد يبعد أولئك الذين بدأوا في حبها. كراهية فورية. مثل الحروق. الرفض الذي يُدير الوجوه، حتى العطوفة. مثل النظرة الزائغة لوالد ليو الذي كان يغادر في الصباح من أجل رياضة العدو. في عينيه، كانت تود قراءة الصداقة. علامة على المودة. لا أكثر. لا تريد أكثر من ذلك.

بالتأكيد، كان هناك الأذكياء، رفيعي الثقافة، مثل زوجة العداء البطيء التي تستطيع بدون اجتهاد تبادل بعض المجاملات أو الأفكار. أو عمتها التي كانت مقتنعة بأن حصاة سيئة يمكن أن تأوي حجرًا كريمًا. هناك كانت الحكمة الكاملة للعجوز. لقد استطاعت أيضًا أن تجد من سيكون قادرًا على نحتها. لأنه يجب أن يكون لديك قلب مهتم للغاية ليرى السجادة ترشح كل صباح لترات من المياه. أن يبقى جسورًا منتظرًا سحر ممارسة الرياضة البدنية التي تنحت الفخذ لتشكيل العضلات وتحويل قطعة من الخنزير البري إلى مخطط لجسم. قابلت بعض البرجوازيات وبعض المفلسات في عمارتها التي ترجع إلى القرن الثامن عشر. لكن هنا كانت قد رأت حقًا. فهمت على أي زر تضغط لتحول صوفي وشريكتها الشفافة إلى جلادتين. إلى محاربتين ستكونان قادرتين على إعادة الصغيرة مجددًا إلى الحياة.

تعرف جيدًا أن هذه الطفلة قد دمرها الزمن، الوحدة، وتخاذل والديها. أناس حزاني متورطون في آداب السلوك والتقدير، جرًا ابنتهما هذه إلى الفوضى. هذا الوجود المحزن حيث لم يعد لها خيار إلا محو نفسها لعدم إزعاج أحد. لقد تحولت إلى كتلة. إلى وحدة متراصة. إلى وصمة

عار. كما كانت تُدعى في نطاق الأسرة. ظلَّ واسع، مسطح، بلا شكل. مع قبعة على رأسها لحماية أفكارها. كانت تعرف ذلك، العمة، العجوز، تيريز. لا ينبغي أن يتم ذلك لها. ولذلك كانت سيئة المزاج تمامًا عندما كانت تحضر هذه الاحتفالات العائلية التي تستمر حتى وقت متأخر من الليل. كانت تشاهد الكوميديا الإنسانية وهي تبرطم.

كان هناك دائمًا، في حفلات العشاء هذه، صورة الكلب المطيع. الصغيرة، بشريط مخملي في شعرها المصفف تمامًا، والتي يوجه لها بعض المجاملات، لأنها تستطيع الصعود على ساقيها الخلفيتين لعزف "سوناتا" على البيانو. طفل مزعج بشفرة حادة يقدر المسافات بشكل جيد، قادر على توجيه بعض الضربات من تحت الطاولة لبقية الأشقاء. أكثر ما يجبّه هو أن يجعل الصغار يبكون. يكسر، يحطم، بدأ الشر بالفعل. ثم زوجة الابن. الوحيدة التي لم يخترها الوالدان، لأنها جاءت من مكان آخر. من بلدة أخرى. من مقاطعة بعيدة، نهر "الدوردون". والمدينة فضلاً عن ذلك، أبعد من المسافة التي تقطعها القاطرة، حتى مع كل هذه الخصائص الرائعة الموجودة في الأسرة منذ أجيال. كمشروع حرب، أكثر جمالاً وحيوية من بنات القرية. كانت مكروهة من قبل الجميع. أجنبية. ثم إنها لم تكن شديدة الصلابة. لم تستطع رد الضربات والسخافات. لم تُعلُّم هذا في طفولتها، زوجة الابن. لقد تاهت بعيدًا عن أهلها. لم يعد لديها حتى أقارب. رحلت. لقد نسوها. وضعتها في رأسها، الملاحظات الغادرة. مثل الطلقات الفارغة التي قذفتها. ونتيجة لذلك، سمحت لنفسها أن تتسكع بين بعض الأيدي المتجولة، الفتاة المسكينة، عندما في النهاية، شخص ما في هذه العائلة اهتم بها. هذا ما تعتقده. بدأ بكونه لطيفًا. ثم تجاوز الحد. ستغفر له، معتقدةً أنه أحبها. ولكنه منذ فترة طويلة نسي كلمة الحب، وكان ينام ظهره إلى ظهر زوجته. لذلك، حتى لا يجف، لجأ إلى الفتيات الصغيرات المهجورات إلى مصيرهن المحزن. لكي يحلم ثانية قليلاً. ثم زوجة الابن، زوجها، لم يعد يريدها. قالت إن شعورًا سيئًا انتابها. قضت ساعات محبوسة في غرفتها، في الظلام. لم تعد تأكل. في هذا الموت الصغير، لن يكون لديها طفل. لا يستطيع أن يغفر لها.

في نهاية المائدة، كان هناك دائمًا الأعمام والعمات، صاخبين ومتعجرفين، ويفوحون برائحة جيدة من العطور الفاخرة التي تُسكب بوفرةٍ في أيام العيد. شربوا وضحكوا على نكاتهم الغليظة التي تظاهرت النساء بإيجادها صادمة، ليال كاملة، متواطئين مثل الإخوة، في انتظار الميراث. ثم يتقاتلون مثل الكلاب على أرض الجد وخزانة ملابس الجدة. في الوقت الحاضر، كانوا ينتظرون في صمت.

ثم في جميع هذه العائلات من وجهاء الريف، عائلتها وعائلات أخرى، كانت هناك هذه الصغيرة، ليست جميلة جدًّا، مختلفة. ليست طبيعية تمامًا، كما كان يُهمس في المطبخ بين النساء أثناء تنظيف الآنية. حول هذا الموضوع، كان الرجال أقل شرًّا. لم ينتقدوا. إنهم يفضلون المساعدة على السخرية الطويلة. للتخلص من هذه الأفكار السيئة، كانت الأمهات يتوجهن بأدب إلى الوالدين، المسكينين. لم يكن يراد لها

أن تكون قريبة جدًّا أثناء وجبات الطعام أو حفلات الزفاف. أو في الصور كذلك.

فهمت ذلك كلوتيلد، من البداية. لذلك، صمتت. الفتاة، صحيح أنها بدت بلهاء وضعيفة النظر، لكنها سحقتهم لدرجة كبيرة بذكائها، قبل سن الرشد تمامًا، مما سبّب لهم قلقًا رهيبًا. شعروا بالسخرية في المرة الأولى التي أخبرتهم فيها عن "ذاكرة الحياة داخل الرحم" و"التبرع بالأعضاء". كانوا لا يزالون أطفالاً. كانوا خائفين. يفكرون فيما يشبه الروح الخبيئة. دون الوضع في الحسبان التناقض مع "يفاعتهم"، كما يطلق الصبية، جعلتهم همقى تمامًا. وأخيرًا، كان من الأسهل الاعتقاد بأنها كانت غير طبيعية إلى حدً ما وأنها لم تكن تعلم ماذا كانت تقول. إنها تكرر بغباء أجزاء من العبارات التي سمعتها في عادثات الكبار.

رأت كل ذلك يُحاك، العمةُ العجوز. مثل مفرش قبيح من الدانتيلا، عمل مُركب ومُعلَّق بخطاف ونأمل ألا نرثه أبدًا. تحدثت لفترة طويلة مع الصغيرة عندما ذهبت إلى منزل العائلة. كانت تحب ملاحظاتها الحادة، روحها الهائمة والشعرية، أسئلتها المزعجة. تقرآن نفس الكتب ويتبادلانها بعد ذلك بشغف.

ثم رأت تيريز شقيقها يتحطم مثل بسكوتة أمام زوجته، يتقلَّص، يصبح مثيرًا للسخرية. كانت زوجته مارتا تشعر بالخجل عندما تتحدث

ابنتها. ربما لأنها لم تفهم استفساراتها دائمًا. على أي حال، أكدت بصوت هش أنها كانت قذرة ومنحرفة. تضرب الصغيرة لتمرُّدها. كانت كلوتيلد تحتاج للتحدث حتى لا تنهار.

كل هذه المشاهد جرحت تيريز لدرجة أنها لم تعد تأتي. في ذلك العام أيضًا بدأت تنتفخ مثل المنطاد، جعل ذلك دمها يغلى. أخذت تفكر في الأمر لدرجة أن انتهى بها الأمر إلى حزن دائم ولم تكن طبيعتها العميقة، الكآبة. بالفعل، لقد استسلمت، لم تعد تملك الطاقة لتغضب أكثر مع الجميع. ثم أدركت، مع مرور الوقت، أن هذا لن يفيد في شيء والناس لا تُغيِّر أبدًا ولا حتى ملليمترًا من أقلُّ عادة. لا شيء. لذلك، وجدت هذا العذر. ليس هناك أسوأ من ذلك، بالتأكيد. أكدت أنها انتفخت لدرجة أنها لم يعد بإمكانها التحرك. "أنا بدينة للغاية، أيتها المسكينة مارتا لدرجة أنني لم أعد أستطيع القيادة"، كتبت لها. غير قادرة على الاتصال تليفونيًا. على سماعهم. لذلك فرت من الاجتماعات الأسرية. الجميع كان مرتاحًا. لقد ألقت بالأحكام القاسية على هؤلاء وأولئك لدرجة أنها أصبحت مزعجة. يجب أن يقال إنه كلما زاد غضبها صارت أكثر عنفًا، تريز. كانت تبصق الكلمات على الوجه بمثابة صفعات. علاوة على ذلك، كان الناس يمسكون الوجنات بعد أن كانت تمنحهم القليل من سمها. إنها تنطق بصفات لم يسمعوها أبدًا. آلمهم ذلك أكثر من احتفاظها بهذه الكلمات لهم. سرعان ما نسوها، العمة العجوز. ومعها الصغيرة، التي كانت غريبة الهيئة. كل شيء يعود إلى

طبيعته. إنه النظام الأساسي في الريف. كنا نحب بالفعل متى كان الجميع في مكانه.

كل هذه الذكريات عادت إليها، إلى تيريز، عندما رأت صوفي تدخل مع كشوف مرتبات زوجها، بائع الطائرات الفاخرة! هذه الفتاة المسكينة التي وقفت مثل "كونتيسة"، تتسول شقة للإيجار. ممتلكات قليلة، وليس الكثير من المال لهيئتها الاجتماعية. هذا يذكرها بزوجة أخيها. هذه البورجوازية بمشيتها المتصنعة التي مثلت المشهد الرئيس للطابق الخامس! ستكتسب قساوة القلب وجفاف الروح مع العمر. كانت تعرف ذلك. مع تاييرها الصوف الوردي، عشاءاتها، أكاذيبها، قسوتها الوليدة. كانت المسكينة تيريز قد دفنت كل هذا حتى لا تعاود التفكير فيه! لتنسى الصغيرة ذات النظرة اليائسة عندما حزمت حقائبها لمغادرة "بوردو". جُمع كل شيء، مثل شبكة تقع في القلب منها سيدة عجوز.

كانت صوفي هذه قد أتت لتأجير الغرف الثمانية والحديقة الخاصة بالطابق الأرضي، ولقد غادرت خمس غرف من الطابق الثالث. كانت تأمل في عوارض خشبية وزخارف جدارية وكانت مسرورة بمدفأة من الرخام لم تعد تعمل. من المؤكد أن هذا يكفي لسعادتها ووجبات العشاء الاجتماعية القليلة. أكدت أنها في انتظار الأفضل.

أرادت لاڤيلين أن تبعدها عن هذه الأجواء. لم تكن في حاجة إلى مستأجرين. إنها فاحشة الثراء! لكنَّها رغبت في الحياة من حولها. لذلك

اختارت أبطالاً لهذا السيناريو الذي كانت تبتكره يوميًا. اختارت الطيبين، الشخصيات الكاريكاتورية، مدبري المكائد، الأدوار الثانوية. كانت مقتنعة أن صوفي ستلعب بشكل جيد دور نظير اليهودية المثيرة للسخرية في الطابق الثالث. وهذا سيحفزها قليلاً، لإحياء الحركة على السلم. ورغم كل شيء كان لا يزال لديها شك. هذا الصدع في مقابلتهم السابقة. لأنه على مدى الأسئلة، بدت صوفي الصهباء والمتوهجة مضطربة. ماذا؟ ثمة هشاشة في قلب كل هذه اليقينيات! أوه لا يكن ذلك في السيناريو. حتى لو هذا التردد الضمني محاولة للتفكير.. بالتأكيد، كانت تتمناها صلبة مثل الخرسانة. ثم في وقت لاحق، أخبرتها بهذا الشغف الذي تضمره للثقافة البدنية وهذه الصالة الرياضية التي عثرت عليها في الجوار. "سيكون الأمر عمليًا للغاية"، الرياضية التي عثرت عليها في الجوار. "سيكون الأمر عمليًا للغاية"، أضافت مع تنهيدة. في هذه اللحظة، قالت تيريز صفقة! مدرسة ألعاب رياضية، قد يفيد هذا! ثم سوف تفكر فقط في بطنها! جواز مرور حقيقي للصفاء.

بعد بضعة أشهر، ظنت أن قواها خارت عندما عانت الجميلة وجعًا بالقلب من زوجها الحقير الخائن. بعد وقت قصير للغاية من الانتقال من المتزل. حادث مزعج! كانت تخشى الرحيل. وأن تتلذذ بالبكاء. ولا تتحمل تيريز هذا الضعف من جانب الصهباء المذهلة. إنها بمثابة "لونجوريا"، " بطلة هذه السلسلة الأمريكية التي تسلط الضوء على

٣- إيفا لونجوريا: عمثلة أمريكية من أصول إسبانية، والإشارة هنا إلى شخصية الزوجة الفاتنة
 اللعوب "جابرييلا سوليس" التي أدتها في المسلسل الأمريكي الشهير "ربات بيوت يائسات".

ربات البيوت المحبطات. وأخيرًا، فإن هذا الوضع أعطى بعض الفلفل لحكاياتها. مع هذا الخداع المنحط، تجاوزت اعترافات المستأجرة كل توقعاتها. مع هذه الطاقة التي تنفقها على قهر جسدها، كانت صوفي قد فرت من الإغراء اللا محدود للذكور. انتظرت تبريز بفارغ الصبر كل مساء سجل مآثرها اليومية. كما في كرسي الاعتراف، تتوقف صوفي في طريق عودتها إلى الدور الأول وتحكى قصصها مثل قائمة التسوق. هي لم تتجنَّب ألمها ولم تهمل أي تفاصيل. كان لديها تناقض هؤلاء النساء اللاتي يعترفن بخطاياهن دون أدنى احتشام أو رفع الكُلفة. من الجنس الفموي إلى الاستمتاع، من الإيلاج إلى الاستطالة بالاحتكاك، كانت تحرر نفسها بنفس القصة الوحيدة التي وضعت بفوضى على كومودينو تبريز، باعتبارها رزمة بلا شكل تفرز منها السيدة العجوز حكاياتها وتكتب يوميات عمارتها. ما أسعدها خاصة عند الشابة كانت تلك الموهبة التي تملكها لإغواء الرجال دون التحدث إليهم. تيريز تنتمي إلى جيل دأب على مغازلة النساء. صوفي اعتمدت فقط على عضلات الأرداف. توقع في الفخ دون قول كلمة. تنهض دون تعثّر. تغادر دون أن تُرى مرة أخرى. تمارس الجنس دون أمل. كل هذا تجاوز النساء الأخريات إلى حدِّ بعيد. إلا كلودي لا شك، التي تبدو علاقاتها الجنسية أحيانًا متشابهة. مجرد موضوع يتعلق بالمظهر. دون أي ارتباك ممكن في الواقع.

كانت كلودي تمثل لتيريز الفتاة التي لم تلدها أبدًا. بالتأكيد، إذا كانت هذه هي الحال، ربما بدت مختلفة الهيئة. أحذية أقل بهرجة،

تتُّورات أقل قصرًا، "تى شبرتات" أطول غبر واسعة الياقة... بالتأكيد أكثر قليلاً أو أقل قليلاً من كل شيء. حتى لو كان هذا الطرف الصغير من الابتذال يسهم في سحرها. الأصالة التي أخفت خيالاً ملونًا، روحًا فضولية وهائمة. كانت كلودى تتخفّى في هيئات امرأة مغرية. تفضل اليد على الأرداف عن خطاب مضلل. إنها في نهاية المطاف أقل بذاءة، كما ادَّعت وهي تصنع بالونات كبيرة بالعلكة. لذا كان الرجال يغازلونها بتشوُّق. حتى دون معرفة اسمها، كانوا يتخيلونها بالفعل في الأعلى، أو الأسفل. لا، بالأحرى في الأعلى بالتأكيد. رؤية المؤخرة. نادرًا ما يباشرون إغراءهم من أجل الابتذال. يفضلون إنكار دوافعهم الجنسية الأكثر جنونًا. يغلقون الأعين. لن يقلدوا ذلك مع زوجاتهم. هناك، الأمر مختلف. كان بعضهم أحيانًا يُثبت حياته لبضعة أشهر، دون فهمها. ما يتوقعونه هو "المدفعية الكبيرة". الممنوع، غير المتوقع. أحمر الشفاه، أسطوانات الروك، والأحذية العالية، والملابس الداخلية المغرية، رغبة تصر بين الأسنان. ما كانت ترتديه عن طيب خاطر. كان لديها في بعض الأحيان ميل للغرق في الاكتئاب. أن تعبر عن حالاتها المزاجية، وخيبات الأمل وآمالها. كانت تأخذ في هذه اللحظات صوتًا أجش وأكثر هدوءًا وتحظى بنظرة مظلمة وزائغة. يفتحون حينئذ أعينهم على اتساعها، مرتابين. يقترحون عليها العشاء في مطعم لتغيير أفكارها، مداعبين وجنتيها. الفخذ سيكون في وقت لاحق. بعض الهدايا التافهة وضعت على جسدها بالربت على ظهرها بحركة خرقاء. بقيت صامتة. تدفقت دمعة على وجنتيها المخضبتين. شعروا بالحزن

الشديد. دمية تعيسة. هكذا، فجأة، ما عادوا يفهمون أي شيء. لا يسألون أبدًا عمَّا استطاعوا فعله أو عدم فعله. تحتاج إلى العناق. إذا ما ضخمت المزيد من الميلودراما في الأيام التالية، ظنوا أنها مكتئبة وأن عليهم التخلص منها قبل أن تشي بكل شيء لزوجاتهم. كانت كلودي فتاة الرجال المتزوجين. كان العزاب مذعورين، يحلمون بها ولكن ليس أكثر. لا سبيل لتقديم مثل هذه الآلة لأمهاتهم. الأزواج الخائنون، تحفّرهم إحباطاتهم، أخذوا الخطوة التالية. وضاعة الحياة الزوجية الطويلة تُسيل روالهم. لهذا السبب، بالتأكيد، فإنها لا تريد عناقهم. سرعان ما شعرت مذه الخيانة الجبانة الواضحة. أدارت رأسها. الجبن، مثل الكسل، تكرهه. تذكرت والديها. لم يجتهدا للعثور على اسم جيد لها. كانا ينتظران صبيًّا، "كلود". أنجبا فتاة "كلود". هذه هي القصة. بداية حقيقية لحكاية خرافية! كان لديهما الكثير من الأشياء الأخرى يؤديانها في الحياة. كانا فنانين تشكيليين، كما كانا يقولان. الطفل جزء من الحياة اليومية. رفضا الالتزامات، والأعمال المتزلية. هذا الطفل سيكون ثقيلاً. لقد فهمت ذلك سريعًا جدًّا. لم تشعر دائمًا أنها في نفس القصة مثلهما. كانت متأكدة أنهم نسوها في بعض الأحيان. ليس بسبب الشر، ولا الحماقة. غياب. لا شيء خطير. مثل الأطفال الذين نتركهم صيفًا في السيارة في الشمس المتوهجة، يومًا ما ستصبح قائمة التسوق أكثر أهمية من أولئك الذين يستهلكونها.

كانت قد فرغت من جولتها في فرنسا ذات صباح حيث أراد مدير النادى الليلى أن ترقص عارية لافتتاح الستار. كان لديها خمس عشرة

سنة فقط. عرفت بالفعل أنها كانت في وقت مبكر جدًا. لم يفهم أبواها شيءً شيئًا، لم يحتجًا. يجب أن يقال إنهما شاهدا الكثير لدرجة أن كل شيء بدا لهما طبيعيًا في عالم يلمع فيه الترتر فقط في الليل. كانا يرقصان في جميع "الكباريهات" الإقليمية. أماكن قذرة ومتربة. أزياء سيئة، أحذية البالية، حجرات ملابس قذرة. مع سيارات قديمة تتدفق في المساء والتي تتحرك بغرابة إلى الصف الأول. يبدو أن البعض قد ذهب إلى عالم آخر في نهاية الغرفة. كان يصعد والداها دائمًا على خشبة المسرح من أجل النهاية. لأنهما كانا لا ينسيان بجسديهما العاريين تقريبًا، المدهونين بطلاء ذهبي، اللذين يتشابكان برشاقة، يفصلهما نسيج هش لشريط كان يلفهما. كانا يمارسان الحب، يتنهدان، ينزلقان إلى فقد التنفس. الجمهور، مذهول أمام هذا العرض، والتنفس القصير، ويدعوان حتى المين جدًا. اثنان من الملائكة.

كانا قد تعرفا إلى بعضهما في "كونسيرفاتوار" الرقص. أملين للمسرح الفرنسي. صعود مؤلم بدأ في سن مبكرة. تضحيات، آمال. الآباء الغاضبون والأمهات الرافضات لعدم تصديق ذلك. كان أطفالهن استثنائيين، عرفن ذلك منذ البداية. سنوات من الأطراف الجريحة والجسد الكسيح. سلسلة من الاعتمادات لدفع النفقات، وأحذية الباليه، والدروس الخصوصية. للأسف بالنسبة لمهنتهما، تحابًا. انتهى بهما كل شيء إلى الفتور. توقف الزمن. انمحت الأحلام. أما بالنسبة بهما كل شيء إلى الفتور. توقف الزمن. انمحت الأحلام. أما بالنسبة

لراقصات الباليه، فيشعرن بالحيرة. وهما كانا مشتتين، منعزلين، عديمي الأهلية، فقيرين ومبتدئين، بريئين، أضعف من أن يصبحا نجمين.

الحياة المهدرة للراقصين التافهين، إنها لا تهم أحدًا. ومع ذلك، بقيت الأقدام المشوهة والقلب الجريح. تشعر أنهما سوف يفلتان. أنهكتهما القضبان والأحذية. كانا يعرفان فقط كيف يفعلان ذلك، الرقص. عرفا الطريق، إلى المغامرة. كانا موهويين لدرجة أنهما موجودان دائمًا. يذهبان من "الكازينوهات" إلى "الكباريهات". غير عابئين بالوقت. يريان فقط المسرح والنظرات المتأججة للصف الأول. طردوا كلود بالنسيان، الخفة. كانت تحمل اسم راقصة مشهورة. تتابع التجوال. وأحيانًا تدرس.

تيريز فهمت القصة كاملة عندما عبرت عتبة شقتها، بغرور، دون راتب، ولا وظيفة ولا كفالة. مجرد ثقة. تسخر المرأة العجوز من جميع هذه الأوراق الإدارية ومن هذه الشكليات. لقد كانت مقتنعة بقول إن هذه الفتاة الصغيرة تستحق المساعدة. بكل بساطة. كانت تحب هذا النظرة الزرقاء العميقة التي كانت تتدفق تحت "الماسكارا" اللاصقة. هذا الشعر الناعم والحريري من شأنه أن يستفيد من أقل الخبرات ومن منتجات التبييض السيئة. هذا السحر السلافي المتداعي تحت كتلة من "الإكسسوارات" القديمة. لقد ذابت أمام هذا الوجه الحزين. لقد كانت تيريز مفتونة بالجمال. المولودة بدون جاذبية، أعجبت بالرشاقة وسحر الجسد، كما أحب الآخرون الرسم. لقد كبرت بدون رغبة، باستثناء متعة رؤية نفسها محاطة بالتناغم. لم تختر سوى كائنات رشيقة لمرافقتها.

كانت تسعى لوسامة الملامح، دون أن تشعر بالإحباط لعدم جذب الأنظار. لديها السلطة والمال، كان ذلك كافيًا لتحقيق رغباتها. لم تنظر إلى نفسها أبدًا. لم تكن مهتمة بما كانت عليه أو لم تكنه. بدون غضب أو حقد. مجرد نسيان قررته واضطلعت به. كانت راضية باغتراف الجمال من الكائنات التي اختارتها. لقد ملأت مبناها لتكون في أمان من الملل. تؤجر شققها بدقة. وأعربت عن ثقتها بالمصير الذي وضع في طريقها ممثلي هذه الحياة التي كانت نشطة. وقد حكمت كسيدة عشيقة في مسكنها متعدد الطوابق، حيث كانت تمسك كل مستأجر بيد تحب أن تغلقها أحيانًا بضربة قوية.

## الخروج الأول

مثل كل صباح، رافقت كلوتيلد ليو إلى المدرسة. هو الآن طقس مسموح به. ساعدها ذلك على الخروج من العمارة. قال الصغير أخيرًا لأبيه إنه يفضِّل أن يشارك صباحه مع تيد، وإن أمه وافقت. استغرق وقتًا لصياغة كل ذلك. وضع ببرونته والبلوفر تحت ملابسه ليضع يديه على خصره، كما يفعل أبوه. لقد "هتف" بالفعل، إنها تيد التي سترافقه أو أنه لن يذهب إلى المدرسة بعد الآن. كان قد وضع ببرونته في مكانها، بمدوء، ثم جلس على البلوفر على درجة السلم السابعة. لم يتفاعل برنار، كان قد ابتعد للاتصال بزوجته في الصحيفة. بعد غلق الاتصال ثلاث مرات، استسلم. بالتأكيد قلل من اتصاله هاتفيًّا، متعبًا من تقديم نفسه في الاستقبال مثل الزوج الذي كان يركض وراء زوجته. ويبدو أن نفسه في الاستقبال مثل الزوج الذي كان يركض وراء زوجته. ويبدو أن ذلك يسعد السكرتير ليكرر كل يوم: "مِن طرف مَن؟"، ويطيل "م...." كما لو كان يوضح له "أنت تعرف أنها م...شغولة جدًّا". توقف، مغتاظًا.

كان قد وضع أخاه الأصغر أمام شقة كلوتيلد. طرق الباب بقدمه، طرقة قوية ومكتومة تعني أنه لا يستطيع الانتظار. ثم دفع بلطف

صغيره، دون إلقاء نظرة على الشخص الذي كان سيعتني به، فالجسم ينزلق بالفعل نحو درجة السلم التالية. تخلت كلوتيلد عن الفهم. تزايد نبض قلبها عندما ضمت ليو بين ذراعيها. فكّت شعرها الحريري بيد واحدة وهزت بالأخرى الببرونة التي رفض أن يتناولها من العائلة، كان ينظر إلى عينيها. رسم ابتسامة رقيقة. تداعب كفه عفويًا بينما يشرب بشراهة. كانت متأكدة من أن هذا هو الحب. هاتان العينان، فجأة، كانتا خائفتين من كل شيء. من أن يتوقف كل شيء، أن يرحل. أن يثور الأب. أن تكون الأم غيورة. أن تشتكي المدرسة من هذا الشخص الرث الذي يرافق الصغير ليو. أو الإخوة والأخوات ربما. لذا مارست بحمية تمارين التنفس لتهدئة ضربات قلبها. انقضت على كتاب. على سريرها. على بسكوتها ذي الألوان الزاهية الذي تحب ذوبانه في الحنك. واحد بعد الآخر. إلزاميًّا. حتى النشوة. ثم أخذت دُشًّا. كانت قلقة. حدثت نفسها بأنه يجب أن تجد وظيفة للتفكير في شيء آخر غير ليو. تيريز، كلودى، هذا المبنى، درجات سلمه، سكانه، يجب عليها أن تخرج. لتكسر أغلالها، تذهب للتنفس. كانت هناك حديقة عامة في الجوار. كان عليها أن تذهب إلى هناك، أن تجرؤ على عبور الشارع.

قررت، متعبة من الجدال مع نفسها. نظرت إلى اليسار، إلى اليمين. سيارات وترام ودراجات تمر من جميع الجهات. كانت دائمًا هي نفسها عندما حُبِست في المتزل لعدة أيام. كان لديها انطباع بأنها تخرج من بالونتها، عرينها. الضجيج كان يهاجمها. أخذت رأسها تدور. تبحث عن خطوتها. تتمايل من ردف لآخر.

كان هناك بعيدًا شبك حديدى أخضر للحديقة العامة، أنيق بقبعات ذهبية لامعة على قمم الأطراف. بوابة من المستحيل تسلقها مع السهام المنحوتة مثل الأقواس. ثم صور جميلة وكبرة معلقة على القضبان، ومناظر طبيعية غريبة وراقصون في الضباب. غامضون بعض الشيء. الذين يأسرون العين. كانت تحب التصوير الفوتوغرافي، الفن بشكل عام. كانت تسير على طول الطريق، وهي تحاول الاختفاء. معطف أسود وقبعة من الصوف مضغوطة على الأذنين. يتعرج طريق المشاة حول هذا المتنزه الضخم، الرئة الخضراء للمدينة. كما الأسوار، شيدت مبان شاهقة الارتفاع، تطل من أعلى على الأشجار وبرك البط. زرع البعض مساحات خاصة مفتوحة حول الحديقة. كانت تود التسلل خلف النوافذ. مراقبة هؤلاء الناس الذين يمكن أن يُعجبوا عن قرب بالقمم الممتدة نحو السماء. تفهم اختلافهم عن بقية العالم. حدَّثت نفسها أنهم كي يعيشوا في بيت كهذا يجب أن يكونوا في حالة رائعة، أفضل من غيرهم. لا شك أكثر سعادة. لم تسمح عمارة القرن الثامن عشر بهذا الفضول لما في الخلف. كانت تحمى البرجوازيين في الداخل من الفضول. يتشبث الجمال بالحجر. الوجوه لم تظهر. ما الفائدة من الإعجاب بما لا يزال هناك؟

كانت تسير على طول جزيرة الأطفال. مساحة من الأرض بين ذراعين من الماء يمتلئان بزنابق الماء حيث كان يتلاحق البط والسمك الذهبي الكبير. كل شيء هنا كان رومانتيكيًّا. المقاعد الخشبية المستديرة، المنحوتات البرونزية المتناثرة في حديقة ظليلة، العجلة القديمة حيث

تصعد الخيول وتببط على إيقاع صيحات الأصغر سنًا. أبعد، بمحاذاة السور الحديدي، كان هناك المقهى الإنجليزي الذي أقسمت أن تتوقف فيه يومًا ما. يشغل مبنى قديمًا، يتناوب بستان البرتقال على الكراسي الحديدية في حديقة "لوكسمبورج" والدكك ذات الألوان الزاهية. أناس أنيقون، يتحدثون لغات أجنبية، يتحابون.

وهكذا، كما كان البط يقوم بجولاته في الماء، استمتعت كلوتيلد بمشيها الصباحي وهي تراقب العدائين المسرعين، المتسكعين النائمين أو الشباب، المتعبين، الذين انتهت ليلتهم الساهرة بالحلم على مقعد.

هناك تعرفت على صوفي، رأسها بين يديها. كان كل شيء يصرخ، من خلال وضعها، بأنها كانت مختلفة عن الأيام الأخرى. هذا ما دفع كلوتيلد لتأتي كي تجلس إلى جانبها. كالعادة، في لحظات اليأس العظيمة، تحدثت صوفي بمفردها وأخبرتها عن متاعبها التي كانت تريد أن تُسمعها لأى أحد، للحمام حتى.

تمتمت صوفي: "أخبرني أنني آخر شخص ينام معه على الأرض! أنني لا أساوي شيئًا! أن الفراغ بين النجوم ... إنه ما قالها ... هذه الكلمة ... بين النجوم ... وجودي مشمئز منه، أنني كنت فرس النبي! لم يكن لدي أي شيء أنثوي، ولا حتى هيئتي التي، على الرغم من الكثير من الجهد، جعلتني في النهاية أشبه بالبشر. يجب أن أفكر بجدية في طريقة وجودي، لأنه لا يمكن لأي إنسان أن يتحمل تصرفاتي المنفتحة "إباحيًا". تتخيلين تلك الكلمة. يبدو الأمر وكأنه يقضي وقته ليفتش في حياتي

الحميمة. البورنو. لكنه قذر! هذا ما فاجأني في هذا الرجل الذي، من المساء إلى الصباح، يفكر فقط في العمل على عضلات الذراعين والبطن."

سألتها كلوتيلد بصوت منخفض: "ولكن عمَّن تتحدثين؟"

"عن برنار! هذا السخيف برنار، جارنا، الذي أجري وراءه منذ أسابيع، والذي أعطاني هذا الموعد في الحديقة لتهدئة كل هذه الأهوال! لم يرتكب أحد مثل هذه الإهانة. ظننت أنه مفتون بي عندما أخبرني أنه يريد مقابلتي وجهًا لوجه. كان يبدو أنه خارج من عالمه عندما أوقفني على السلم لدعوتي. هيئة شبه رقيقة.. أمسكني برفق من ذراعي وهناك، بينما أذوب مثل حلوى المارشيلو، أخرجني بعباراته الفاحشة! أخبرني عن التحرش، مؤكدًا لي أنه إذا لم أتوقف عن التصرف على هذا النحو، فإنه سيخبر من يحق له ذلك بمغامرات! أنا مذلة للغاية، حقًا!"

"أنت تعرفين، يا صوفي، أن برنار بالتأكيد يجدُك جذابة للغاية، مثل كل الرجال، لكنه يحب زوجته منذ كان في الثانية عشرة من عمره. أتفهمين؟ تعرَّفا على بعضهما بعضًا على المقاعد المدرسية ولم يجف حب الطفولة هذا أبدًا. أيضًا، لا يستطيع أن يقبل إغراءاتك. بكل صدق. ستكون خيانة لكل ماضيه. لكل معتقداته".

"لكن لماذا هذا الميعاد، هذا الإذلال، إذًا؟"

"رعما لأنه يحتاج إلى أن يصرخ لشخصٍ ما، وهذا الشعور القوي، وبطريقة ما، صرخ به إليك.. هذا ليس ضدك في شيء. أظن حقًا أن بينها وبينه ينبغي الكلام.. أنت لا تفعلين ذلك من أجل لا شيء. ثم أنت جميلة جدًّا. لا تتجاهلي ذلك. لا يكنك الشك في ذلك".

"أنا أعلم أيضًا أنه يقول الصدق. هذا الفراغ بين ... شيء، صحيح. أنا غير مأهولة، فارغة تمامًا. مثل سمكة تعاد لها أحشاؤها. لديه حق. لم أكن أعتقد أنه واضح، بل فظيع. وإلى جانب ذلك، أنت تستمعين إليَّ هناك، لكنني متأكدة من أنكِ تكرهينني أيضًا. طريقتك هذه في عدم النظر لي في الصباح أثناء حصة التمرينات الرياضية، إنه أمر فظيع. أعود للمنزل وأشعر كما لو أنني عذبت امرأة بريئة. كنت تعتقدين أنني لا أشعر بشيء، أليس صحيحًا؟ أنني آلة".

"أكرهكِ فقط ساعة واحدة في اليوم.. لتحقيق ذلك. لنسيان أنه صعب للغاية. بقية الوقت، أجدك شجاعةً ومفعمة بالطاقة".

لا تزال صوفي تنتحب بعض الشيء، ولكن ارتسمت نصف ابتسامة على وجهها المجتاح بالدموع.

"هل تعتقدين أنه سيقول كل شيء لزوجي؟"

"أعتقد أن برنار ليس موهوبًا تمامًا في التعبير عن نفسه بشكل عام وسيبقى هناك..."

"كيف تعرفين كل هذا؟"

"إنها عمتى التي أخبرتني بكل ذلك..."

"لا، ليست قصة حب الطفولة.. بل طريقتك في راحة الناس، الاستماع إليهم؟ أنا، لو في مكانك، لكرهت الأرض كلها، أنا متأكدة من ذلك.. أوه! عفوًا!" تلعثمت صوفي. "أخيرًا، أتفهمين ما أعنيه؟"

"إذا ما شرعت في كراهية الجميع، لن يعود لدي شيء. وعندما تعلميني الحركة، فذلك بالفعل كي أحب نفسي قليلاً، أليس كذلك؟"

وكانت الجارتان قد تركتا مقعديهما ومشيتا بهدوء للوصول إلى المبنى. في ٧ شارع "فريير". بعد بضعة أمتار، طوَّقت صوفي بطبيعة الحال ذراع كلوتيلد. تقريبًا برفق.

أخبرت كلوتيلد عمتها بكل شيء. مثل كل شخص في العمارة، يأتي ليفضفض معها كل يوم. لقد مرت عدة أسابيع منذ أن هربت من سرير تيريز. كانت غاضبة من هذه التمارين القسرية التي فرضتها عليها لاڤيلين. لقد كرهتها حقًا. ثم هذه الطريقة لمنحها الحيوية. لقد آمنت في النهاية أنه كان لصالحها، وأنه بدون هذه الوحشية لم تكن لتتقدم أبدًا. فهمت تيريز ذلك، حتى لو أن صحتها لم تزعجها حقًا، باستثناء الحقن المروعة في ظهرها كي يستريح، كانت السيدة العجوز تدرك أن هذه الطفلة البائسة سترث نفس مصيرها طريحة الفرش إذا لم تتصرف بسرعة. كان من النادر أن يتحسن كل هذا مع التقدم في السن!

"هذا كل شيء، لن تستائي بعد الآن!" كانت تتفاخر عندما دخلت الفتاة الغرفة. "أنت أول زائرة في يومي!"

"يجب القول، يا عمتي، إنني لم أستطع صعود السلم لعدة أيام!"

"نعم، دائمًا الأمر كذلك منذ أن ينمو لنا عضلات. ثمة انطباع بأنها تنمو بشكل ملحوظ للعين! لكن أعتقد أنني أتذكر أن هذا ينتهي مع الوقت!"

## انفجرت في الضحك المدوى وأضافت:

"أنا، إنهما ذراعا المسعفين اللذين يعذباني عندما يجرجراني على السلم. لكن فيما بيننا على أي حال، هذا يفتقر بالفعل إلى سحر أن ندع أنفسنا نُنقل مثل قطعة لحم على قماش أبيض. إذا ما كنت لا أزال في سريري النقال، لكنهما محرومان تمامًا من الخيال، هؤلاء المسعفين..."

فاجأ كلوتيلد الوضوح اللاذع للسيدة العجوز تجاه حالتها الخاصة، وقبولها الهادئ لوضعها المعاق. كل هذا كان هراء، كما أكدت. وعلى الأقل يمكنها التباهي بوجود أوسم فتى في المنطقة عند حذائها: طبيبها!

"ولكن عمَّن تتحدثين، يا عمتي؟ من هو برنار؟ برنار بروسيه، جارنا؟"

"نعم، إنه لا يزال في حالة حداد ولم يتخلُّ عن غضبه. هذا يجعلني حزينة، لأنني أحب إليزابيث وأجد أنها تزداد سوءًا".

"إليزابيث... أتعرفين والدة ليو؟"

"أوه! نعم.. لقد حملتها بين ذراعيَّ عندما كانت في سن ابنها. كانت والدتها صديقة للعائلة. هكذا جاءوا للعيش في عمارتي. لو كنت أعلم..."

"تعلمين ماذا؟" شعرت كلوتيلد بدمها يغلي. تتحدث عن عائلة ليو خاصتها.

"حسنًا! وقع لها حادث هنا. ذات صباح، لحظة الذهاب إلى المدرسة، كانت تبحث عن ليو في كل مكان. لقد اختفى. لقد ذعرت. كما تعرفين، هذا الطفل دائم الترحال. لا يمكنه البقاء في مكانه. كانت قلقة وكان هناك الصبيان الآخران اللذان كانا يدبدبان حتى لا يتأخرا. لقد غادر برنار مبكرًا. كان يعمل في الكرم في ذلك الوقت. يعتني بأرضه، وكان يشرع في رحلته عند الفجر إلى "ميدوك". كانت حاملاً في شهرها السابع وبدت منهكة تمامًا. هرعت على السلم في بحثها وهناك \_ انكسر صوت تبريز للتو - سقطت. تدحرجت إلى الأسفل. بقيت فاقدة الوعى. على الدرجة السابعة، بالضبط على مستوى البسطة الصغيرة. فاقدة الوعى. من الواضح أنها فقدت الطفل. كان ليو مختبئًا في غرفتي. وبما أننا لا نغلق أبواب شققنا للسماح بتنقل الأطفال والآباء، لم أتخيل أنه كان عندى. سمعنا صراحًا في نفس الوقت. كان أول من نزل إلى الطابق السفلي. كان يهزهز أمه، المسكين. لم أستطع التحرك. استغرق الأمر وقتًا حتى وصلت الإسعاف. بكي في صمت، مثل رجل. وكل ذلك الدم، في كل مكان. عليه. كان رهيبًا".

ذرفت كلوتيلد الدمع على وجنتيها. كانت تود الاحتفاظ بصغيرها ليو. هناك. لحظة. لتواسيه. تقول له إنه ليس بوسعه أي شيء. إنها الحياة. إنها في كثير من الأحيان قاسية.

"لم يعد برنار هو نفسه منذ ذلك الحين. كان حميميًا، ودودًا. رجل الأرض. مؤنس ويقظ. الأمر كما لو أنه يحمل عبئًا على عاتقه. توقف عن التحدث لزوجته وابنه. يبدو أنه لم يعد يراه بالتأكيد، الصغير. لم يحتمل. كان خائفًا جدًّا. سيئًا للغاية. شرع في حمل الأثقال. ليصنع درعًا. عضلات لا يمر منها شيء. ليكون مثل الصخرة. ثم رفع الأثقال، إنه يشغل دماغه. سحبت إليزابيث نفسها وذهبت إلى العمل. لم تعد تفعل غير ذلك. العمل والترقية. وكلما عملت أكثر، قل وجودها في المتزل.. وأعتقد أن هذا يناسبها بشكل جيد. إنها غريبة، العائلة. فهم كانوا كوكبًا حقيقيًا وهم يشبهون النظام الشمسي. كل شخص يعيش لنفسه الآن. لكنهم هادئون الآن لدرجة أنه أمر مقلق دائمًا. وأخيرًا، إذا عنف صوفي المسكينة، فذلك لأنه ما زال على قيد الحياة، وربما يكون هذا الأمر مطمئنًا.. وجدت طريقة لطرده من العرين. إنها نقطة جيدة بالنسبة فل بالطبع، يجب ألا تجعلنا نشعر بالاكتئاب. لا أضمر له أي شر، هذا الطفل".

"الدرجة السابعة"، كررت كلوتيلد، التي أغلقت الحوار. "ولكن هذا مكانه الذي يجلس فيه دائمًا! هنالك ينتظرها عندما لا يكون عندي! وكأنه يوقف الزمن. لإعادة كتابة القصة. ثم إن كل تلك الساعات التي يقضيها على السلم أو مع عائلات أخرى، إنه مثل هُريرة فقدت والدتها.. إنه لأمرٌ فظيع ما تحكينه لي. يجب أن تفعلي شيئًا، يا عمة.. أو كل هذا سينتهى بشكل سيئ".

"نعم، هذا أكيد فتاي الصغيرة. نضحك أقل من قبل، هنا! لا أدري ما إذا كان العالم أصبح حزينًا أو أبطالي الذين تعبوا، لكن كل هذا يدور بشكل مستدير ويجعلني عاطفية بالإضافة لذلك. وهو ما لا يفيد معنوياتي. لا يجب أن أشعر بألم في قلبي. أنت تعرفين ذلك يا كلوتيلد. يجب عليك المشاركة قليلاً".

"أنا؟!" سألت بصوت قلق. "ليس لدي أدنى فكرة عما يجب أن أفعله مع نفسي، يا عمتي، إذًا مع الآخرين هذا يتجاوزني قليلاً".

"من خلال انشغالك بهم ستتعلمين التقدم خطوة وراء الأخرى، للنضوج. أن تكوني على الطريق وليس على جانبه. وأذكرك بأنه عليك أن تعملى".

"نعم، يا عمة. بدأت الخروج من المنزل. هذه هي الخطوة التالية، العمل! أنا حقًا لا أستطيع أن أتخيل من يريدني لأي شيء آخر غير الأعمال المنزلية وأتمنى ألا أفعل ذلك، أو سوف يلتصق ذلك بجلدي".

"أعتقد أنه يمكنك أن تقدمي إلى الناس أكثر من المنظفات! هناك كل ما بداخلك لتقدميه، وصدقيني، ينبغي لذلك أن يحمس الحي لبضع سنوات! وبالمناسبة، ألا توجد رياضة هذا الصباح؟ هل نسترخي؟"

"لا، أذهب إلى موعدي أيضًا مع الثنائي "S"!"

"تبدين مبتهجة بالنسبة لشخص يذهب لممارسة تمارين البطن مع أفاع جرَسية، أليس كذلك؟"

"نعم نعم! اليوم مميز، على ما يبدو. في الأسبوع الماضي، كنت سأرتعد من الخوف، لكنني هناك، لا أعلم، لحت شيئًا من الرقة في أعينهما عندما أخبراني أن أقابلهما في الحادية عشرة في الحديقة العامة. كما ترين، مع صوفي، تحسنت العلاقات. تقدم أفضل ما لديها، على ما أعتقد، لمساعدتي. لذا، تتابع سارة الحركة وهي تفضل هذا الجو السلمي. إنه ليس أسلوبها، العدوانية.. وأنا أحب هذا المكان. أتعلم فيه التنفس. أشعر فيه أنني في مكاني".

وجدتهما كلوتيلد على مقعد تثرثران. تبدوان كشقيقتين. امرأة سراء في زيً العدو الوردي وإكسسوارات متجانسة، وشهباء في زيً متطابق، بنفسجي. كانتا تجلسان ساقًا على الأخرى في نفس الاتجاه وتتحدثان مع بعضهما بعضًا، الوجوه مائلة، وتتأرجح خصلة في قصة شعر مربعة ناعمة تمامًا. وقفزتا بمجرد أن رأتا جارتهما تصل، التي حاولت حينئذ أن تحرر رأسها عن العنق والوقوف منتصبة. "ينبغي أن تتنفسي أثناء المشي، وترفعي ذقنك، وتشدي كتفيك، وتشفطي بطنك وتشدي الأرداف". هذا ما تكرره عليها صوفي كل يوم، لكنها لم تتمكن من تنسيق كل ذلك معًا. عندما تتنفس، تختنق وتشعر بأن الأرداف تسقط، وعندما توقِف تنفسها، تتمكن من شفط بطنها، لكنها صارت هراء حتى جذور شعرها. لذلك كانت تركز وتحاول أن تبدو مسترخية، عما منحها نظرة كلاب الصيد "لابرادور". حتى وإن بدا ذلك أنه يحدث دون ملاحظة أحد في ذلك اليوم.

"لدينا هدية لك"، أوضحت صوفي التي لم تبدِ اهتمامًا. "لى؟" كلوتيلد، دُهشت، وجحظت عيناها.

لم يحدث ذلك لها منذ سنوات.

"هدية!" كررت كما لو كانت لا تعرف الكلمة.

"نعم نعم!" صاحتا، يميزهما فرح فتاتين صغيرتين في يوم عيد الآباء!

كانت إحداهما تقوم بمغامرات كبيرة لتجهيز المكان، بينما اختفت الأخرى خلف بستان. خرجت منه تسحب لفة ضخمة.

"هيا، بسرعة، افتحيها... أمسكي، كلودي قادمة، سوف تساعدنا".

كلوتيلد، منزعجة، لاحظت صديقتها بارتياح. وتساءلت عما يجب عليها أن تفعله في تلك الحالات: إخلاء العبوة، والشكر بأدب، تقبيل جارتيها، البكاء، الضحك أو الهروب ركضًا؟! ورسم هذا الشك على وجهها ابتسامة هازئة لوت فمها إلى الأذنين.

"استرخي، يا كتكوتة"، طمأنتها كلودي بزرع قبلة طرقعت على خدها الممتلئ والمحمر من الارتباك. "إذا كنت هنا، فأنت تعرفين جيدًا، أن كل شيء سيكون على ما يرام. هاه؟ فلتأخذي العلبة الكبيرة بين ذراعيك وتمزقيها بضربة حادة. أيتها الملاك، كيف الحال؟ أحسنت صنعًا!"

صنعت فقاعة من لبان "مالابار" بالفراولة، وغاصت بيديها إلى داخل جيبيها ونظرت إليهما بسبب ضجيجها مع تعبير المراهقة العنيدة.

كافحت كلوتيلد بقوة مع العلبة الكرتون. في نهاية المطاف جعلتها تستسلم فجأة، لتكشف عن دراجة هولندية رائعة ولامعة سوداء

ومطلية بالكروم. وقفت هناك، صامتة، والدموع في عينيها أمام هذه الهدية الرائعة.

> "أعجبتك؟" سألت المتعاونات الثلاث في نفس الوقت. "حقًا.. حقًا.. حقًا أكثر من اللازم!"

صاحت كلودي: "أنت تستحقين ذلك. يسعدنى للغاية أن نقدمها لك. لقد ساعدتنا عمتك، لأننا متأكدات من أنه سيكون من الأفضل الذهاب لركوب الدراجة بدلاً من الاستمرار في إذابة الأرضية. هاه؟ ما رأيك يا كتكوتة؟"

"أنا.. يعني.. إنه.. تأثرت بشكل رهيب لهذا الاهتمام، ولكن ثمة ضجر خفيف، خفيف للغاية: لا أعرف ما العمل!" تذمرت هامسة. "لكنني سعيدة جدًّا، كن متأكدات من ذلك. ذلك يجعلني سعيدة حقًّا".

"آه!"

ثلاث تنهدات. كانت صوفي تنظر إلى حذائها الرياضي الجديد، سارة لساعتها. انفجرت كلودى في الضحك!

"نعم، أنتِ على حق. إنه نوع من الأشياء التي يتعلم المرء القيام بها مع والديه عندما يكون طفلاً. بهذه الطريقة، نشعر بألم أقل في الركبتين، أليس كذلك؟ لكن من أجل ذلك، يجب أن يكون لديك أبوان... وأنت، لم يكن لديك بالفعل... إذًا، الدراجة، أنتِ لا تعرفين

كيف تعمل، من الواضح. حسنًا! حسنًا، سنقوم بتدريبك. أليس صحيحًا، يا فتيات؟" قالت، ربتت بصفعات جيدة على الظهر. "هيا، أخرجي هذا الشيء، أمسكي المقبضين ومدي ذراعيك أمامك. أمازحك. حسنًا، أتكلم، أتكلم، لكن هناك، انطلاق!"

أدركت كلوتيلد أنها لن تستطيع الهرب من ذلك. لم تستطع فعل ذلك لهن. كانت تموت خوفًا من فكرة الصعود على هذا الآلة. تحاول رفع ساقها. ترتجف. ثم لم تعرف من أين تبدأ. تقفز من اليمين؟ اليسار؟ تمايلت من قدم إلى أخرى كما لو أنها تظهر حسن نيتها. لذا، أمسكت صوفي الدراجة ووضعت العجلة الأمامية بين فخذيها وهي تمسك المقود بقوة. طلبت منها ألا ترفع عينيها عنها. أما بالنسبة لعضلات البطن. "تنظرين إلى، وتتخذين قرارًا ولا تتوقفي قبل أن أكمل العد" كانت رسالة.

أعارتها كلودي كتفها كي تتوازن وهي تقفز على الآلة. مرة واحدة ركبت هذه الأخيرة، وليس من دون ألم وبدون رشاقة، ضبطت سارة العجلة. كانت تقف الآن، الساقان متباعدتان والقدمان على الأطراف. اطمأنت قليلاً. بالفعل كان بصرها مضطربًا. قطرة من العرق تلألأت على جبينها. تولت صوفي المسؤولية عن التعلم. كان لديها قوة الإقناع تلك التي تنوم الآخرين مغناطيسيًا. كانت قد استعادت هيئتها المنبعة وعباراتها المتشنجة، ولم تترك أي فرصة لكلوتيلد للرد أو النزول.

"على اليمين، لديكِ الفرامل الخلفية وعلى اليسار، الفرامل الأمامية. إذا تيبست للغاية بيدك اليسرى، فستوقفين عجلة القيادة

وتسقطين على المقود. هل فهمت؟ الفرامل، ليست طوق نجاتك. لا تتشبثي بها! تضعين قدمك اليمنى على الدواسة الأعلى وتدفعين، ثم تضعين اليسار على الأخرى بمجرد أن تبدأ الدراجة في التحرك. مفهوم؟ سوف نمسكك، أوكيه؟ لا تخافى، نحن هنا! مستعدة؟"

ارتجفت كلوتيلد أكثر فأكثر، لكنها عرفت أنها لن تمشي خارج الحديقة. تشبثت بالمقود بيأس. فكرت فقط في يديها. نسيت أسفل جسدها. وظلت متشبثة بقبضتيها والساقان متباعدتان، ولم تعد تقلق بشأن دواسة القدم. كانت الفتيات الثلاث يدفعن ويسحبن ما بوسعهن لحاولة تحقيق التوازن بين مائة رطل من امرأة ودراجة.

"هيا، يا كتكوتة، ضعي قدمك على الدواسة. لا يمكننا هنا الجري في مكاننا. إنها ليست حصائًا خشبيًّا، حبيبتي!" صرخت كلودي.

"اللعنة"، صرخت صوفي. "هل ستفيقين قبل أن أصاب بنوبة قلبية؟ هيه.. نعم، وليكن.. القدم الأخرى الآن.. هيا.. ليس سيئًا. نبدأ من جديد، لا تتوقفى، أنت صح، جيد، استمرى..."

بعد ساعة من العِتالة، السحب، الصراخ والتشجيع، لم تكن كلوتيلد قد غادرت الأرض. كانت الفتيات الثلاث منهكات، ووضعن أيديهن على الردفين، الرأس للخلف لالتقاط الأنفاس. هذه هي اللحظة التي تختار فيها كلوتيلد أن تستقر بردفيها على الدراجة وأن تضع قدميها على الدواسات. كل هذا دون رشاقة، ولكن بكفاءة ملحوظة. صنعت الدراجة بضع دوائر نصفية ثم أظهرت بعض الثبات. خمسة

أمتار، ثم خمسين، عندما ظهر انحدار طفيف ينزلق نحو البركة حيث كان يتسكع البط المشتت انتباهه إلى حد ما بسبب كل هذا الضجيج. تابعت الدراجة المنحدر وسقطت ببطء على مرج كثيف نوعًا ما. كان الضجيج حادًا وكئيبًا. بقيت كلوتيلد هناك، مستلقية تحت الآلة، دون أن تتحرك.

"كيف الحال؟" صاحت الفتيات الثلاث. "إيه! هل أُصبتِ بأي شيء؟ أوه، رُدِّي، اللعنة! ليس صحيحًا، لا أصدق ذلك..."

انزعجت كلودي الأولى وركضت بأقصى سرعة مقطوعة النفس لرؤية الضرر. اقتربت من صديقتها التي بقي وجهها مغروسًا في العشب.

"يا! صديقتي، كيف حالك؟ رُدِّي، اللعنة! ولكن..."

كانت كلوتيلد قد استدارت. وقد اهتزت من ضحك ضخم ومجنون أعاق تنفسها. كانت تنزف من الأنف، فرحانة. انهارت كلودي بجانبها.

"لقد أصبتنا بالذعر! لا، لكنك بصراحة..." ثم ضحكت مثل الحوت. ضحك الاثنتان الأخريان.

في النهاية، ركبتان مجروحتان وسروال ممزق. كدمة ضخمة على الفخذ، الوجه متورم قليلاً، ولكن رغبة حقيقية في محاولة المغامرة. أُطلق العنان لكلوتيلد. بدأت من جديد مرات ومرات. كانت تتعرج. تضع القدم على الأرض. تستمع إلى نصائح المدربات الثلاث ثم تنطلق. قدم واحدة، قدمان. في نهاية اليوم، كانت تتخطى السرعة. لقد غادرت

حوريات البحر الثلاثة منذ فترة طويلة واستمرت في صنع دوائر كبيرة في الحديقة. ثم استجمعت شجاعتها واتجهت إلى المسارات الجميلة المخصصة للدراجات بالقرب من الأرصفة. كان يومًا من أيام الأسبوع. لم يكن هناك أحد، باستثناء عدد قليل من جرسونات المقهى الذين كانوا يصفون الكراسي. كانت وحدها في العالم. رفعت الرياح شعرها وألهبت خديها. كانت تغلق عينيها في بعض الأحيان لتشم على نحو أفضل رائحة اليود والطين التي تصعد من النهر. كانت تلقي نظرة سريعة على المباني ذات الطوابق المشيدة بالحجر الأبيض التي كانت تتزوج منحنى "جيروند". هي لم تجرؤ على الاستمرار. كانت خائفة من السقوط إذا أدارت رأسها. انزلقت بسبب انعدام الوزن، مثل سحابة. حرة وسعيدة. هو كذلك، سعيدة. كانت تعرف الآن.

في النهاية عادت إلى المتزل. انهارت على الأريكة ترتدي ملابسها كاملة. حدقت للحظة في الوردة عبر السقف. نامت ببساطة. تطفو ابتسامة على وجهها.

كانت قد قرأته في جريدة "Sud -Ouest"، كما كانوا يطلقون هنا. الإعلان.

تركت لها إليزابيث الصحيفة على ممسحة الأرجل، حيث عادت في ساعة متأخرة من الليل، حتى لا توقظها. وكانت قد رصدته على الفور، عبارة صغيرة: "مطلوب بائعة شابة لإدارة مكتبة CAPC"، متحف الفن المعاصر في "بوردو". مستودع "أنتربو لينيه". ٦، شارع "فيرير" في "بوردو". كانت تحب الإعلانات المبوبة، تقرأها كل يوم من البداية إلى النهاية، من صفحة السيارات المستعملة إلى قسم الوفيات. وأكثر ما يعجبها عندما يضع المؤلفون صورًا لمرحلة شبابهم. كانت، في معظم الأحيان، كليشيهات بالية لم يكن يفضلها الناس بالضرورة، ولكن الكلمات الحلوة الصغيرة التي يصرح بها أسرهم كانت مليئة بالحب، قد يكون تمنيًا بعيد ميلاد سعيد، وهناك الولد البالغ من العمر عشرون سنة يكتشف نفسه في عمر الثلاثة أشهر، نائمًا على جسم شخص متوفى، أو أن نتذكر أنه بعد مرور عشر سنوات، أننا لا نزال نفكر في هذا الابن الذي قتل على الطريق، مساء سبت، كان لديه وجه

طفلٍ حكيم. من المستحيل تصور أن سيارة سحقته. وأخيرًا، كانت الصحيفة بمثابة صلاة مشتركة تعطيها انطباعًا بأنها تنتمي إلى عائلة تتلقى أخبارها. ثم بعض الأسماء تعجبها، تنطقها همسًا وتحب موسيقاها.

تتابع أيضًا إعلانات العمل. تقرأ بالتفصيل المؤهلات المطلوبة. لا شيء أبدًا بالنسبة لها. لم يحدث ذلك. لن تبيع معدات صناعية أو مجموعة من البكرات والحبال. هذا الإعلان عن وجود فتاة في مكتبة المتحف كان بمثابة نقطة تحول غير متوقعة، حلم. وفي شارعها فضلاً عن ذلك!

كانت تنتظر طوال اليوم حتى تعود كلودي إلى البيت. تتحرك ذهابًا وإيابًا في شقتها. بمجرد أن تسمع خطاها تطأ المدخل، كانت تهرع إلى الباب وتضع الصحيفة أمام وجهها.

"مهلاً! الهدوء يا كتكوتة.. ما هذه الجريدة التي تلصقينها بأنفي؟ اسمحى لي أن أتنفس حتى!"

"يجب عليكِ مساعدتي، لن أذهب إلى هناك بدونك".

"لكن فيم أساعدك؟"

"للنجاح في هذه المقابلة. إنهم يبحثون عن شخص ما للمتجر المقابل.. في الـ CAP".

"ألم تعثري على مدفن آخر من الدرجة الأولى لتحبسي نفسك فيه طوال اليوم غير هذا المبنى المظلم؟ يبدو مثل الكاتدرائية. يشعرني مجرد التفكير في ذلك بالقشعريرة. كي تكوني بائعة، لا تزالين في حاجة إلى

معرفة أكثر من ذلك بكثير، ألا تعتقدين؟ وأنا لا أعرف شيئًا عن المثقفين، تعرفين ذلك جيدًا. في المرة الأخيرة التي دخلت فيها هذا المكان مع رجل كان يشتغل بها "الثقافة"، رأيت أكوامًا من البطاطس ملقاة على الأرض، نوافذ مكسورة تبرز من سيارة مع أضواء نيون في كل مكان وقطع قطن متعفنة مع مياه مخضرة حول... أف! "إن العمل مستمر"، ما كانت تقوله المرأة الحمقاء في مكبر الصوت. لم أفهم شيئًا من حديثها الخلاب".

""لآرتيه بوفيرا"!"

"ماذا؟ "لآرتيه" ماذا؟ وهذا العجوز الأحمق الذي كان يهذي بها مع حفنة عجائز آخرين. كانوا جميعًا ملتصقين بالبوفيه كما لو أنهم لم يأكلوا منذ دهور. وكانوا يحكون هراءهم ويحشون أفواههم بـ"التوست" الطري. في هذه السن، تظنين أنهم مهذبون وراقون.. أتصدقين! وضع يدي في السروال، كما لو أنه يظهر للنساء اللطيفات أنه لا يزال يُحَب. كان افتتاحًا منتقى. تعرفين ما أقصد. وبينما كنت أداعَب من قبل الآخر، مر العمدة ورمقني بنظرة غريبة، وكأنه يخبرني ألا أفعل ذلك، وأنني أستحق الشفقة".

"لا، يا كلودي.. أنت فتاة رائعة، وأنت تعرفين ذلك".

"نعم، حسنًا، هذا فيما مضى. لكن في الحاضر، كيف تريدينني أن أساعدك يا عزيزتي؟ لا أدري أي شيء هناك. مرة أخرى، إذا كان

العمل في محلات "H & M"، أنا أعرف جميع البائعين، ولكن هناك.. أنا لا أعرف أي بائعة. فضلاً عن ذلك، ما الذي يبيعونه في الكاتدرائية؟"

"كتب لتعميق المعرفة بعد الزيارة، كتالوجات للمعارض، وكتب الفنانين لتقديم الهدايا الأصلية، أتفهمين؟"

"و…؟"

"وليس لدي سوى تلك القبَّعة وذلك الجينز الرث و... وحتى لو كان لديَّ بعض المعرفة في هذا الجال، لا أحد يريدني مع هذه الهيئة غير المصقولة.. و..."

"آه! اهدئي! هذا ما أجيده. لكن وظيفتي ستنتهي أمام الباب العملاق لهذا الشيء الخانق. لن أضع قدمي هناك. لقد أقسمت على ذلك بالفعل. أوكيه؟"

أخذت كلودي مهمتها الجديدة على محمل الجد. لا شيء يمكنه أن يوقفها. تدافعات طويلة في المدينة في قلب الحشد. ذهبتا إلى شارع "سانت كاترين". زعمت كلودي أنه يمكن العثور على كل شيء هناك، إنه "مغارة على بابا". حاولا الدخول إلى الشارع التجاري، لكن الازدحام على مدِّ البصر. ينطلق آلاف البشر في حركة آلية: هؤلاء الذين يطأون الشارع يسارًا وأولئك الذين يخرجون يمينًا. إذا تم إبعادهما بشكل طفيف، فقد كان الأمر بمثابة دوامة، ووجدا نفسيهما يصدمهما البعض، ويدفعهما آخرون. طاحونة حقيقية. مجموعات من المراهقين

كانوا يثرثرون ويسبرون بخطوة سريعة متخلصين من أعقاب السجائر التي تطايرت بين الناس. لا عجائز، لا عائلة، ولا عربة أطفال. خليط من شباب يرتدون سراويل ضيقة وخصل شعر على العين وسترات جلدية ناعمة تُرتدى على سترة جينز تقولب الجسم وتكشف السُّرَّة. من وقت لآخر، أمهات وبنات منزعجات. على كلا الجانبين، أكوام من الملابس. لم نكن نعرف من أين نبدأ. من صُنع في "الصين" بالأطنان. موجات من القمصان "الكارو"، وسترات الجلد المقلدة والاتي شيرتات" الملونة. تهاجمك ألوان فاقعة. في كل مكان. الرأس منخفض، دخلت كلودى المحلات بخطوة حازمة. حشد كثيف يبتعد على نحو صعب. كانت رشيقة المشية، مع كعب اثني عشر سنتيمترًا، وهذه الطريقة الشخصية جدًّا للنظر بعيون الأبقار التي كانت تشق بشكل عام مسارًا تتسلل من خلاله كلوتيلد. إنها تتحسس، تُنزل الشماعات، تُقيّم، تشد الياقات. دائمًا ما كان ينتهي بها الأمر إلى استخراج لُقية من هذه الكتلة التي لا يُسبر غورها. وكانت تطلب المساعدة من بائعة في صنف تشك في مقاسه، والتي تصيح بغطرسة:

"سأرى في المخزن إذا كان لدي مقاسات كبيرة!"

كانت كلوتيلد هادئة، مختبئة وراء صديقتها. في مكان آخر. مر وقت طويل منذ أن تجاوزت مرحلة الغثيان من التدافع من جميع الجهات. ضربات صغيرة تُفقِد التوازن. ما من صدمات عنيفة، اتصالات دائمة مع الغرباء الذين تابعوا جميعًا بعناد سعيهم غير المحتمل. أرادت أن تختفي. كلودي، شعثاء، وبخدين حمراوين، واصلت سعيها.

ولاحظت بدهشة أن في عالم نتحدث فيه فقط عن السمنة، ليس هناك زي يتجاوز مقاس ٤٢. ومع ذلك، فقد وجدت "تونيك" واسعًا، منفوخًا قليلاً، ارتدته كلوتيلد بصعوبة، الملبس كاملاً غير مضبوط المقاس وبدون بطانة، ويصل إلى منتصف الفخذ، ويلتصق بإحكام على بقية الجسم. كارثة حقيقية. ويتنهد هذا الصوت اللطيف خلف الستارة:

"مناسب يا سيدتي؟ هل جربت؟ هذا يأخذ، هاه، شكل الجسم.. أستطيع أن أدخل؟"

كافحت كلوتيلد بينما كانت تحاول التنفس لتخلع طرفًا من الثوب دون تمزيقه. ترتجف من التفكير في أنها يمكن أن تُشاهَد. كلودي، التي انزعجت، ارتفع صوتها:

"لا، ليس مناسبًا. هذا لا يعجبني".

"آه! شيء غريب"، أجابت البائعة. "نبيع منه بشكل جيد. إنه مطلوب جدًّا. لقد طلبنا منه حتى الأسبوع الماضي. قد أحصل على مقاس أكبر في الطلبية التالية.. هل يمكنني أن أخلصك منه؟" كان ذراعها قد توغل بالفعل كصنارة في المقصورة المليئة بالملابس، مما تسبب في عدم صبرها على فكرة إعادة وضع كل هذه القطع على الشماعة. ثم اختفت بينما تتمتم بقية البائعات بين الرفوف، في محاولة للهروب من هذه الفتاة السمينة التي تدعمها صديقتها الهيستيرية.

كلودي، التي كل قطعة أهديت لها من القماش أو الجلد صنعت في العالم أو في بيوت الأزياء الراقية الفاخرة من عاشق ولهان كانت ممتازة، لاحظت مندهشة أنه لا شيء في شارع "سانت كاترين"، بل وخارجه، في "المثلث"، كما يطلق على الشوارع الثلاثة الأنيقة في قلب المدينة، تناسب صديقتها. كانتا في مجتمع موحد حيث كانت كل الأرداف والأفخاذ تلبس نفس الجيز. مع أو بدون أرداف، كان ينبغي ارتداء ملابس منخفضة الخصر والسماح للحم بالخروج بعد إغلاق السوستة تحت البطن أو التخلي عن البنطلون. كان هذا الزي يتوافق في معظم الوقت مع قميص قصير جدًا الذي يكمل هذا الشكل الجديد من معرض المنحنيات الأنثوية.

انتهيتا من هذه الظهيرة المحمومة بالانتظار أربعين دقيقة أمام "ماكدونالد"، في طابور واحد طويل امتد إلى الشارع، لتناول مشروب؛ لأن جميع مقاهي المدينة تعرضت للهجوم. كانت صناديق التدفئة الجديدة تحقق نجاحًا. يمكنك شرب القهوة دون الارتعاش من البرد تحت هذه المظلات الساخنة، وحتى تحت المطر الغزير. كان تأثير الاحتباس الحراري الشخصي هذا يجعل المدخنين يريدون الاستقرار في الخارج. وقد تم إفراغ الأجزاء الداخلية للبارات تمامًا حيث لم يعد بإمكاننا التدخين هناك. كانتا ستعودان لتعزلا نفسيهما عن الحمام الجماعي، لكن كل المقاعد كانت مصفوفة على الأرصفة.

لحسن الحظ، لم تستسلم كلودي بسهولة شديدة. كانت قد توقفت في مكتب للتبغ والصحف، وفي حين كانت تستمتع بالـ"مارلبورو الأحمر"

وتمضغ علكتها المفضلة، فقد اشترت جميع كتالوجات البيع بالمراسلة لهذا الموسم. وهكذا كانت تستعد لحفلة شاي المساء، ترقد على السرير، لتتصفح أوراق كنوز الاستهلاك عن بعد هذه. "وهناك،" أكدت، "سنحد سعادتك!"

كان ذلك يملأ كل أحد. تتصفحان، تحلمان، تطويان الصفحات. تختاران الملابس التي تُباع، بالتأكيد بأغلى سعر، ولكن حتى مقاس ٥٦. وكان هناك أيضًا فصل المرأة الحامل الذي لم تجدا فيه سعادتهما.

"انظري، هذا، إنه لك، أعشقه. إنه مصاغ وتقريبًا صيني. هذا الأزرق الداكن على الأقل، ليس مثل كل العالم، ثم إنه سوف يمنحك أسلوبًا خاصًا بك. مع قلادة متميزة كبيرة، ليس ذلك سيئًا. أو وشاح "كيتزو" جميل النقش، ماذا! وسنأخذ معطفًا كبيرًا يلمس الأرض. إنه طويل. يمكنك أن ترتدي حذاءً عاليًا. هذه ليست رخيصة جدًّا. إنها تبدو كأنها حقيقية. وهي مفتوحة من الجزء العلوي، لذا فإن ساقك ستدخل بدون غصب. ما رأيك؟ وترتدينه أيضًا على نحو رائع، مع أحذية الباليه.. لديك منها؟ لا بأس. هناك الكثير منها. إنها ليست أحذية "ريبيتو"، ولكنها رائعة. وسوف نفعل ذلك أيضًا. نحاول أن نعثر لك على حقيبة كبيرة. انتهى الزي، أليس كذلك؟"

لم تنتظر كلودي جوابًا، كانت متأكدة من حُسن اختيارها. كانت تعلم أنه سيناسبها. ثم مع هذه الكتالوجات، ثمة انطباع بأن العالم ملكنا،

أننا يمكن أن نهدي كل شيء. إنه إحساس مُسكِر. ولم يكن يوجد حتى وزن للحقائب لنضع في الاعتبار أننا سننفق مالاً أكثر.

وصلت اللفات الصغيرة واحدة تلو الأخرى، يومًا بعد يوم. لبعض الإكسسوارات، كان الانتظار ثمانية أسابيع، وهو زمن الشحن عبر الحيطات. ولكن بشكل عام، كانت حسابات كلودي جيدة وكانت قد تهندمت لموعدها.

ساعدتها إليزابيث في تصميم أول سيرة ذاتية في حياتها. ليست شيئًا عظيمًا، لكنه كاف. لم يكن ينبغي التخويف. لقد كانت بطاقة عمل. الأمر الرئيس هو الحصول على مقابلة. وشرحت إليزابيث أن غزو صاحب العمل سيتم خلال المقابلة. لقد خرجتا. أسهبتا بعض الشيء، ولكن ليس كثرًا. قامتا بتزيين دراسات تاريخ الفن. ثم أجرت رئيسة تحرير صحيفة "سود ـ أوست" مكالمة هاتفية لدعم ترشيحها، ووجدت على ما يبدو الكلمات، كانت وظيفتها العثور على الكلمات. وحصلت كلوتيلد على موعد. بكت من الفرح عندما رن جرس هاتفها. كانت قد طلبت من عمتها السماح لها بتركيب خطِّ على وجه السرعة في شقتها، فقط لتلقى هذا الاتصال. في وقت لاحق، عندما تكسب لقمة العيش، ستشترى هاتفًا خلويًّا. وصل المختص من "فرانس تليكوم" في الساعة الثامنة صباحًا. كان قد حفر العديد من الثقوب في الجدران التي أعيد بناؤها حديثًا وقام بمد كابل أبيض على طول غرفة المعيشة والباب. في نهاية هذا السلك، الذي ربطها بالعالم الخارجي، كان جهازًا جميلاً بلون الألمنيوم وضعته مباشرة على الأرض. كانت قد

اختارت رنة حادة تبدو كأنها إنذار حريق. وهكذا، لا يمكنها تفويت هذه المكالمة.

كان المبنى بأكمله على وعي بهذا الأمل في اللقاء. هذه المعلومات الرئيسة أدت إلى جلسة إعداد مكثف عند لاڤيلين لتعميق المعرفة. جميع ربات البيوت كن حاضرات. حتى أنهن أجرين مقابلة مع أزواجهن قبل جلسة "التدريب" هذه كما أطلقت عليها كلودي، ساخرة من هذا البرنامج التليفزيوني الجديد الذي يقدم نصائح في كل شيء والذي رأته منذ قليل اليوم على جدول برامجها.

نصحتها صوفي: "استمعي.. ستقفين مستقيمة تمامًا وأنت تنظرين في عيني الرجل. لكن مهلاً، ليس كثيرًا على أي حال، لأنه لا ينبغي أن تسمحي له بأن يفكر في أنك تغازلينه!"

وأضافت تيريز: "نعم، ومن ثم انتبهي لأن تصافحيه بقوة إلى حد ما، إنه ليس من النوع الناعم الذي ينزلق مثل ثعبان السمك. أكره ذلك. هذا يفضح نقصًا حقيقيًّا في الشخصية. فأن تكون لينًا بعض الشيء، فإنه سيثر الاشمئزاز!"

أكدت سارة: "لقد أخبرني زوجي أن الأمر الحاسم، هو إقناع الرجل بأن هذا العمل هو حلم حياتك. أنكِ تريدينه بشكل جوهري. أنك الشخص المناسب له تمامًا. من المؤكد أنك لن تعبِّري عن الأمر بهذه الطريقة، ولكن سيبدو ذلك إذا كنت مقتنعة بعمق، حسنًا! سيشعر

بذلك. إنه مثل الكلاب، والرجال الذين يستوظفون، يشعرون بأشياء من الداخل".

وضعت كلوتيلد كل شيء في دفتر ملاحظات صغير. للتدريب. وضعت نسخة من السيرة الذاتية ودونت ملاحظات لكسب نقاط التوظيف. كانت تدون على مدار اليوم، لكنها أعدت دفترًا فارغًا لليوم الكبير. ومر الأسبوع في مراجعات وتوضيحات واختبارات واستجوابات، حتى بدا المبنى بأكمله كأنه سيمتحن البكالوريا.

رافقتها جميع الصديقات إلى الباب ووضعن قبلة على خدها قبل أن تدخل. ضغطت كلودي أيضًا على الأرداف. علامة التوتر الكاسح.

"تحدثي بما يكفي، ولكن ليس كثيرًا، يا حبيبتي. اتفقنا؟ ولا تقلقي إذا لم يكونوا لطفاء. الأمر هكذا في الثقافة، إنهم ليسوا لطفاء. ثم، إذا لم ينجح هذا، فسوف أساعدك في العثور على عمل آخر. أوكيه؟ اتصلي بي عندما تخرجين. لقد دونت بالفعل رقم المحمول، أوكيه؟ هيا.. اذهبي إلى سجنك. على الأقل ستستخدمين عضلاتك وأنت تدفعين "pousser" هذا الباب الكبير كل صباح! أقول لك "تدبعين "bouser"... كما تعلمين، لا يمكننا نطق الكلمة".

غادرت وهي تشبك أصابعها خلف ظهرها وتقرقع بعلكتها. كانت تلبس حذاءها ذا السلاسل الذي يصلصل عندما كانت تمشي. لم يجرؤ الآخرون على العودة إلى المبنى. لوحن بإشارات صغيرة، خفية باليد مثل تلك التي توجه إلى الأطفال أمام المدرسة.

٤ ـ النطق الأول هو النطق السليم ويدل على معنى الكلمة.

تدفع كلوتيلد الباب أخيرًا. ثم انتظرت، حقًا لفترة طويلة. وتساءلت عما إذا لم تكن مخطئة في اليوم. تنتظر في المكان المناسب. سيدة المدخل فهمت ما أخبرتها به. تراجعت في مقعدها. لم تجرؤ على التحرك بضع خطوات. أرادت الذهاب إلى الحمام. كانت تقريبًا في ذروة القلق عندما دعتها فتاة رشيقة القوام وشاحبة لمتابعتها. انزلقت إلى حافة الكرسي لإيجاد القوة على النهوض. تقدمتا في ممر مظلم طويل. كانت السيدة تسير صامتة تمامًا. متاهة من الحجارة الداكنة عبر غرف ضخمة بلا نوافذ حيث ظهرت الأعمال الفنية وقطع الأثاث كما قطار الأشباح. مجرد بقع حياة في مكان بدا فيه الوقت معلقًا.

فتحت بابًا على اتساعه واختفت.

وضعت كلوتيلد قدمها على سجادة سيكة وشاذة. شرائط من أنسجة متشابكة متعددة الألوان، وأوشحة ممزقة ومتكومة. كانت الغرفة كبيرة جدًّا. يتوه السقف عبر دعامات ارتفاعها أكثر من عشرة أمتار. كانت شابة تعمل، رأسها لأسفل، على مكتب كبير. شرائح ناعمة من الخشب الأبيض على الحواف. مشغولات Oï. مصباح واحد يضيء شعرها الأحر. أباجورة كبيرة معلقة منخفضة جدًّا، منحوتة كليًّا، تشبه عملاً من الدانتيلا البيضاء، تنشر ضوءًا ذهبيًّا يتراقص على الأرض والجدران.

هـ منظمة أوكسفام هي اتحاد دولي للمنظمات الخيرية التي تركز على تخفيف حدة الفقر في العالم.
 تأسست أوكسفام في ١٧ شارع برود في أكسفورد، أوكسفوردشاير، في عام ١٩٤٢ على يد مجموعة من الكويكرز، والناشطين الاجتماعيين، وأكاديميي أكسفورد.

"إذًا، ما هذا؟" سألت دون أن ترفع رأسها.

"ربما الممثلة "كيلي فريمان" أو المهندسة المعمارية "باتريشيا أوركويولا"..." تلعثمت كلوتيلد، بالأحرى منزعجة بعد أن وقعت في جُرم الفضول.

"أنتِ على حق. إنها أنثى. هذه الأولى. "برنابي وفريمان"، على وجه الدقة. هما اثنتان تعملان على هذه المجموعات. لذلك فأنت مثقفة حقًا. اعتقدت أنها كانت مجرد إخفاء لشكل من أشكال الضغط التي تقدمت بها صديقتك إليزابيث بوست ـ بروسيه بهذا الالتماس... النفوذ!" أضافت، وهي تمسح المرشحة بنظرة مدققة.

خفضت كلوتيلد رأسها. "اعتقدت هنا أن القضية انتهت". كل هذه الإثارة انطلقت في أقل من دقيقة لأنها كانت كافية للنظر إليها للتخلى عنها.

"أوه، لا تغضبي. أنا لست "بوردوية" وبالتالي أحرى بي الغضب من أساليب النفوذ الإقليمي هذه، كما يقال. إنني أتساءل عما إذا كنت سأتمكن في النهاية من اختيار معاونة بحُرية! ثمة شخص هنا دائمًا ما يشير لي بما ينبغي أن أفعله!"

انزعجت الشابة بشكل خاص، أشعلت سيجارة طويلة ورفيعة. سحبت أنفاسًا قصيرة بصوت عال.

"أعلم، ممنوع التدخين في مكان عام. إنها واحدة. أنا لا أبالي!"

علقت بصوت غريب مبتهج. مثل الأطفال.

نهضت وأخذت تروح وتجيء.

كان لدى كلوتيلد إحساسٌ مدهش بوجودها مع فتاة صغيرة. بدت "بلاندين دو بيلين" هذه كفتاة تبلغ من العمر اثني عشر عامًا. تتزين بحذاء عالي الكعب جدًّا وبأحمر شفاه قرمزي، تصرخ كفتاة مُعاقبة. لكن وراء تلك الهيئة النحيلة كانت تهدر حساسيةً بالغةً بالفعل. لديها شخصية حازمة وغاضبة لأولئك الذين عليهم أن يثبتوا يوميًّا أنهم كبروا وأن خياراتهم مدروسة بنضج.

"الكرسي خلفك".

"نعم؟"

"ما هذا؟"

"الشعرية، التقليد، الرسم.. أود أن أقول المصمم "كريس كابيل"".

"ىنجو! وستارك؟"

"شائع..."

"المصمم "رون أراد"؟"

"يرى كثيرًا جدًّا. لكنه جوهرى".

"جيد! المصمم "أندريه كلاوسر"؟"

"لا أعرفه... آسفة يا سيدتى".

"هذا مثالي. سوف تتعلمين إذًا. لقد قمتُ بتوظيفك، أنا معجبة بكِ. وبالمناسبة، متى نُفَعِّل هذا النجاح؟"

"متى تحبين؟"

"نبدأ يوم الاثنين الساعة ٩!"

"جيد جدًّا. شكرًا جزيلاً لك. أنا.. سعي... يوم رائع يا سيدتي".

خرجت كلوتيلد سيرًا إلى الوراء خوفًا من إفساد كل شيء من خلال الدوران. وقد استأنفت الشابة تدوين ملاحظاتها بالفعل، كانت تكتب بحمية بقلم رصاص خشبي. كانت قد اختارت واحدًا من وعاء كبير على الأرض حيث يمكن أن نحصي مئة أخرى، مشذّبة تمامًا. نفس اللون، نفس الطول.

عبرت كلوتيلد الشارع. ذاهلة. تُكرر أن الأمر جيد، لو أنها بدأت يوم الاثنين، وأن ذلك سيسير على ما يرام، وأنها تبدأ حياة جديدة. لم تستطع تصديق ذلك. بدا وكأنه صدى في رأسها. قرصت ذراعها. قفزت على السلم الخارجي لمدخل المبنى. دون الوقوع، دون تردد. فتحت باب المدخل. كان ليو ينتظرها عند الدرجة السابعة.

"ثم، لن تحضريني ثانية من المدرسة؟" كان ينظر إلى قدميه. متجهم الهيئة. يتظاهر بقيادة سيارة.

"حسنًا، يا قلبي. من الواضح، نعم! لماذا تقول ذلك؟ أخبرتك أن اليوم استثنائي وأن بابا سيكون هنا"، قالت كلوتيلد، وهي تجلس إلى جواره. ببطء.

"نعم، ولكن أبي، لم يأتِ أيضًا!"

"كيف؟ ولكن من ذهب ليحضرك إذًا؟"

"إنها صوفي. لا أحبها تمامًا، كما تعلمين. قالت إنها ستعود الاحقًا، لكنني أعرف أنها كذابة وأن بابا برنار لن يأتي".

"لكن يا ليو، ماذا تقول؟ ليس جذه الطريقة يرحل، بابا!"

"نعم، نعم، قال ذلك الليلة الماضية. كان يصرخ فقط بعد أمي. قال إنه سيأخذ الكبار ويغادر. وعندما عدت للمتزل، حسنًا! كان جميعهم قد غادروا مع أغراضهم. إنه بسبي، أليس كذلك؟"

"لا، الآباء لا يرحلون أبدًا بسبب الأطفال. لا شأن لك. الحياة ليست بسيطة. العشاق، عندما يتقابلون، دائمًا ما يكون ذلك رائعًا، وبعد ذلك، كل شيء يتعقّد. لديهم الكثير من المتاعب. أشياء كثيرة جدًّا للتفكير فيها. إنهم متعبون. ما عادوا يتحدثون مع بعضهم بعضًا. ما عادوا ينامون، ثم في يوم ما، عندما لا يكون لديهم المزيد من الشجاعة، يذهبون بعيدًا..."

"هل تعتقدين أن والدي ليس شجاعًا؟ أنا لا أجده كذلك. إنه يوقظني مثل المدمر وأحيانًا، منذ وقت طويل، أراد أن يأتي معي لقتال التنانين. أترين شجاعته! ومن ثم، إذا كان حقًا متعبًا، لما ذهب مع الكبار. إنهم قساة جدًّا، فهما، كما تعلمين، لا يتوقفان عن النزاع، لوسيان وليوني. ربما لم تريهما لأنهما ألثغان ويلدغان سرًّا، لكنهما ليسا دائمًا لطيفين. حسنًا، بالنسبة لي، هما أخي وأختي، لذلك أنا أحبهما!

وحتى أمي أخبرتنا بأننا كنا ملتحمين طوال حياتنا، وأنه بعد نهاية العالم، لن يبقى سوى ثلاثتنا، وينبغي علينا أن نتكاتف. إذًا، هل تفهمين ماذا يحدث؟ ربما أجبرهما، أبي، على الرحيل معه لأنه لم يعد يريد الركض بمفرده وليوني، كما تعرفين تذهب بسرعة عندما تريد. حتى أسرع من لوسيان. وهو غاضب، يحمرُ وجهه تمامًا ثم يتحدث بلثغة.. ويقول له: "أنت مجرد فتاة وسأقرص ثدييك لأظهر لك أنك لست فتى. لا، "garchon" لا يمكنه أن يلفظ الا"se" منذ أن وضع جهازً في أسنانه.. تضحك، ليوني. حتى في المدرسة، تسخر منه مع صديقاتها. "لوسيان المسكي". هذا هو السبب في أنه ينتقم مني... يقول لي أنني "chuis" خنث. إنني أمسك في تنانير والدي، إنني حبيبها. أعلم جيدًا أنه غير سعيد مع كل هذا. ولهذا السبب لا ألومه.. ولكنه أبي، على أي حال! بالفعل كانت تبكي طوال الوقت، أمي.. أنا لا أعرف كيف تفعل ذلك! فضلاً عن ذلك، إنها لا تستطيع أن تأكل..."

"فهمت كل شيء، ليو. أعتقد أنه يمكنك التوقف عن الحديث الآن. سنذهب للطهو وباقي الأمور. سننتظر أمك معًا. سترى، سيكون كل شيء على ما يرام".

وكان ليو قد نام على الأريكة. لم تكن كلوتيلد تملك الشجاعة لتخبره بكل شيء. أخذت إليزابيث الطفل بين ذراعيها مثل الليالي

٦ الكتابة السليمة هي "garçon" وتعني "ولد".

الكتابة السليمة هي "suis" وتعني "أكون".

الأخرى. صعدت السلالم بصعوبة. تعلق بها ليو في نومه مثل قرد صغير. أغلقت كلوتيلد الباب بلطف. القلب يخفق.

## الانتجاع

احتفلت كلودي وكلوتيلد بهذا بمشروب الاشامبومي".

قالت كلودي: "هذا يزيد الحرية، حتى الجلوس على كومة من الذهب!"

"ماذا تعنين؟ هذا شنيع"، دافعت عن صديقتها.

"حسنًا، فلنكن واقعيتين: إذا انتهت لاڤيلين، تهدئين بقية أيامك ولا تحتاجين إلى عبور الشارع للذهاب إلى البيض، عارضي أقزام الحدائق والحيوانات المحنطة مقطوعة الرأس".

"لكني أحب ذلك وأجد أنه من المثير للاهتمام أن المدينة تحتفظ بمكان لبعض الفنانين للتعبير المفتوح على الأفكار الجديدة!"

"نعم.. ولهذا السبب تنظرين خلسة إلى إصدارات متحف "جوجنهايم" أو "الجران باليه".. لرؤية أشياء ألذ من إطاراتك الذهبية، أليس كذلك؟"

"اسمعي، كلودي، فلتعتبري أنه ذنبي المحبب، بذرة جنوني، الحكاية الخرافية الخاصة بي.. حسنًا؟ ثم لا تخافي، أعتقد أنني أستطيع العمل مع

"بلاندين دو بلين". لا تقلقي. كل شيء سيكون على ما يرام. وإذا لم يكن الأمر كذلك، فسوف تساعديني في العثور على وظيفة بائعة في علات "H&M". أوكى؟"

"نعم، أنتِ على حق، يا حبيبتي! سأسمح لك بمشاهدة قناة "أرتيو"، لأن لدي موعدًا الليلة مع جاري الحبيب الصغير. تخيلي، جدته لديها لقاء مع أولياء أمور الطلاب. أليس هذا رائعًا؟ المساء لنا. آمل ألا تنامى. أتطلع إلى تلطيف الجو في المبنى. تعرفين ما أقصد..."

فقاعة علكة بنكهة الفراولة. كما في كل مرة تحدثت فيها عن مغامراتها العاطفية.

جرت كلودي بمجرد سماعها باب المدخل يصفق. الخطوة المزعجة للجارة. متشنجة. عارية الخيال. كان الطريق خاليًا. عندما فتح لها، كان ستانيسلاس عاريًا، منشفة صغيرة حول الحوض. لم يضيع الوقت الحيوان، كانت قد قالت. لم تخش حتى نسيانها الدفتر! متوقع جدًّا. ما لم يكن يحتفظ أيضًا لزوجته بهذا النوع من وجهة النظر. لم تكن كلودي لتدخل لو أنه خلع ملابسه بالفعل. همس في أذنها "أنا مغرم بك". إلى ما لا نهاية. الجسد في الجسد. الفم في الفم. يتدحرجان. يسقط كل شيء. يجب ستانيسلاس اللعب بالنار، تحطيم الأشياء، الهدم، تمزيق أشيائه الصغيرة. يمحو مظاهر الدمية. ينتزع بحركة وحشية ملاءات السرير. يسحب قميصها. سروالها. يعجن جسمها. يداعبها بشكل محموم، مثل صلاة طويلة. يفقد عقله. يضع رأسه بين ساقيها.

"أنتِ مانجايتي". عُلِقت هذه الجملة بين صرخات كلودي التي جابتها النشوة العنيفة. الكلمات الملونة. الفواحة. التي صفقت الغرفة بينما تطرح مدام كوفاريك بصوت صاخب العبء الثقيل عن عقلي طفليها.

"كيف استطعت؟ كيف استطعت... كيف استطعت..."

كررت السيدة. اعتدل ستانيسلاس وهو يمسح فمه بشكل محموم. وكأنه يطارد رائحة الحلوى أو السجائر المستغربة. يمحو الوقت، يستجمعه. يسترجع السهرة. تجنب هذه الملحمة. كان يثرثر بالأعذار. يبحث بعين عن سرواله، وبالأخرى يحاول أن يوجه إلى مكان آخر أنظار زوجته التي تراقب أعضاءه الفاحشة بشكل نخز. وكلما كررت "كيف استطعت..."، تساءل كيف سيهرب من ذلك! بقيت كلودي على السرير، صامتة. تشعر بالحصار. قلقة بعض الشيء. ساقاها الطويلتان مفتوحتان على اتساعهما و"المانجو" فاغرة. غير قادرة على التحرك. على ترتيب نفسها.

"يا للقرف..." أخيرًا همست، محاولة تحديد موقع ملابسها المتناثرة في الشقة.

"أتوسل إليكِ..." قال ستانيسلاس لزوجته. "سوف أشرح لكِ..."

الكلمة السحرية. الكلمة المفرطة. مثل صفعة. غادرت الغرفة. لا يوجد تفسير. ليس هنا. لا. مع الأطفال. الذين يبكون الآن، معًا.

بانتظام، مثل دقات قلب واحد. شرح ماذا؟ ماذا يمكن أن يعلمها، هو من كان دائمًا بجانب أفكارها؟ أمام هذه الفتاة أيضًا! كيف تقر بضيقه؟ حزنه؟ غيابه؟ هذه العزلة التي على كتفيه مع هذين الصغيرين المتعلقين بثدييها؟ إدراك أنها لم تعد أي شيء منذ شهور وأنها كانت ترعي رضيعيها. أنها أرادت المغادرة. أنه لم يفهم أي شيء. كيف يكون حقًا بعيدًا عن هذا الجسم الجميل؟ كانا بالفعل سيئين للغاية. لا حاجة لإضافة المزيد. للإذلال. عرفت منذ فترة طويلة أنها لم تعد موجودة في عينيه. لا. لا يوجد تفسير. ولا كلمة حول هذا الخطأ الأخير. فجأة صرخت، لتقيؤ هذه الأفكار القاسية التي عذبت قلبها، لتدفعه خارجها. لتمزق قصتهما. اهتزت منتحبة، تجشأت وهي تتجه إلى منزل والدتها. من غير هذه الأم ليلتقط هذه الكومة الصغيرة؟ ساخرة. خجلي. تخفض رأسها لتتبع قدميها. لم تعد ترى أي شيء في هذه الفوضي في منزلها، حياتها البائسة. البعيدة عن أحلامها، عن رغبانها.

أمسكت كلودي حقيبتها وأشعلت سيجارة. حدقت في السقف، متسائلة عما تفعله في هذه القصة. جرى ستانيسلاس نحوها وسحب نفسًا من السيجارة، بشكل محموم. سعل. لا يُدخن. صمت ثقيل مثل استراحة. للاستعادة، لمنح معنى. العثور على وقت السر.

ثم، رغم كل الصعاب، قال لها:

"هكذا إذًا! القرف من أجل القرف، فلنرجع حيث كنا..."

بقيت كلودي صامتة أمام هذه الشرارة التي لمعت في عينيه. "لوسيفير"، قالت، "إنه الشيطان." لقد امتطاها بشراسة. كانت الليلة لهما.

في تلك الليلة نفسها، وجد ريشار، زوج صوفي، على محسحة الأرجل، رسالة موجهة إليه. كان عائدًا إلى البيت متأخرًا. العقل غائم بغشاء لا نهاية له. كان يشرب ويدخن السيجار الطويل الذي لم يعد يصله. كانت الساعة الرابعة صباحًا. كان ذلك دائمًا مع الروس. كانت الأمسيات متأخرة، والنساء فاحشات، والفرنسيون سرعان ما يخرجون من السباق. وقف ثابتًا. شرب كأس فودكا واحدة بعد وجبة مسقاة بالنبيذ الفاخر. هذه الشقراء الضخمة ذات البشرة الحليبية كانت مقدرة له. تسللت تحت الطاولة مثل النسيج الذي ينزلق على الأرض ويلامس البشرة. كانت تتحرك بسرعة بدون خجل. في ومضة من الشفافية، كان يفكر في نظرة رئيسه في الأيام التالية. في كثير من الأحيان أنهيا المساء معًا. دمرهما الكحول. كانت الاعترافات ثملة. لكن التمتع بالنسبة له، كان آخر حاجز تمنحه كرامته. كان جيرانهم في الطاولة أقل اكتراثًا. بدأ البعض في الزمجرة. لقد هرب. كان يقود سيارته بوترة سريعة. في النهاية، لم يخرج بشكل سيئ. سيقرأ بريده غدًا. لكن من ناحية أخرى. كان هناك هذا الخطاب. السميك قليلاً. عدة أوراق. لقد أحب تلك الكتابة المستقيمة الموجهة له. جلس في كرسيه البالي. الوحيد الذي قبلت صوفى الحفاظ على ماضيه. "لم يكن اللون المناسب تمامًا، لكنه من نوعية جيدة"، أقرت هامسة. أمتعته هذه الطريقة في ضغط الجمل عندما كانت

تريد الاعتذار عن قرار أحادي الجانب. تظهر أن لديها "أسلوبًا". كرهت تلك الكلمة. تلومه عليها. كان قد توقف عن الاستجابة. أضاء مصباحًا واحدًا. فتح المغلف الكبير. بدا ذلك وكأنه رسالة مع "عزيزي السيد ريشار ديلويت" في الأعلى. ثم، بالنظر له عن قرب، قائمة التسوق:

"عزيزى السيد ريشار ديلويت، إيف، معلم التربية الرياضية ليونيل، المدرب رومان، الممثل الذي يمر عبر "بوردو" رولان، النادل داميان، جامع المحار ريشار، الساعي بييو، صانع البيتزا أرمان، تاجر التحف جوستاف، أستاذ ابنك في الرياضيات هرمان، المهندس المعماري جان، الكاتب سيلفان، مدرس التنس، وخاصةً له ستانيسلاس، المضيف أرنو، الممرض برتران، وكيل السيارات

باتريس، بيدق الكلية برونو، المصرفي فابریس، زمیلك دانييل، الفنان التشكيلي ريمي، الفارس إيمانويل، الخباز رينيه، بائع الملابس جان میشیل، النادل باتريك، خبير صناعة الخمور بينوا، خبير زراعة الغابات مارسيل، التاجر خوليو، الموسيقار فابريزيو، الإيطالي أرمان، المانيكان إيفون، المصور إيلى، عالم الكمبيوتر، زوج أفضل صديقاتها باستيان، صانع الكمان آلان، الصحفي لوك، عضو مجلس المدينة كليمنت، حاجب الحكمة

جان دومينيك، النحات".

وهكذا ولخمس صفحات طويلة من الأسماء والمهن.

في الصفحة الأخيرة، فقرة صغيرة بكتابة أخف، كما لو أنها تعتذر:

"هؤلاء الرجال يعرفون زوجتك عن قرب وذلك منذ عدة أشهر. أحببتها بغباء وشاهدتها تبيع روحها إلى الشيطان كل يوم من خلال التمرغ مع هؤلاء الذكور المنحطين. أنا لا أشك في التزامك. ضد من غيرك ستفعل هي ذلك؟ أنا راحل. حافظ عليها. إنها ضائعة.

"ب"

كان ريشار يعيد قراءة القائمة، مصابًا بالغثيان، الغضب. أراد أن يحسب. وجد ذلك سخيفًا. ثم تعب، بكى. مخادعة. لقد جعلها مخادعة. غياباته، خياناته، تنازلاته دمرتها. فتاة صغيرة بائسة مهجورة، تتجول من ذراع إلى ذراع، بحثًا عن الحب. لم يستطع ابتكار مستقبله. طمأنة الطفل. مساعدة المرأة الشابة على النضوج. لتكون حبيبته. بلطف. لإشباع هذا الجسد المتعطش للرجال، ليثبت لنفسه أنه لا يزال على قيد الحياة. تعب من عزف هذه القطعة الموسيقة المكتوبة للآخرين. لقد حاول كل شيء لمنحها الثقة. لم يكن هناك أي شيء كافيًا أبدًا. لقد استسلم، لقد فقد نفسه بين أذرع سهلة لنسيان ألمه. هذا العجز جعلها سعيدة. كان في نهاية الطريق. أعد حقيبته بملئها ببعض الأشياء التي لا قيمة لها.

كانت الساعة الخامسة عندما غادر شقته. اعتنى بأن يلقي الرسالة على محسحة سارة وهو يغادر البسطة.

كانت سارة تذهب إلى المخبز كل صباح من أجل الأسرة. حتى يتمكنوا من تناول وجبة الإفطار مع منتجات جيدة: خبز مقرمش وعصير الفواكه الطازج والمربي منزلية الصنع، بدون سكر. شرحت صوفى له كل ما يجب أن يُلتهم ليبقى شابًا وبخير. أوميجا ٣، المغذيات الدقيقة، والفيتامينات المختلفة والمتنوعة، ومضادة الجذور الحرة. لم تعد تجهل شيئًا عن علاجات مكافحة الشيخوخة. لقد وضعت كل هذا موضع التنفيذ لقبيلتها الصغيرة: مع كوكتيلات الطاقة هذه، فإنهم سيصبحون الأفضل. لينجحوا، مثل والدهم، الأفضل بالتأكيد. بمجرد أن تنهض، تفكرت في النجاح الذي يجب عليهم تحقيقه، من خلال مهن جميلة. أكثر أناقة من مهنة أبيهم. سيكونون أطباء أو محامين. شيء جيد في المجتمع. كانوا في حاجة إلى وقود جيد لذلك. داست على المظروف وهي تغادر. التقطته، دسته في جيبها واستمرت في طريقها. كان لديها شعور سيئ، دون سبب واضح. نقرت عليه على السلم. أثناء الانتظار في طابور عملاء المخبز. في وقت مبكر من الصباح، كان ينبغي الانتظار في مكان ما. قد تفتحه في مطبخها. عندما يكون كل شيء جاهزًا للعائلة.

سحبت كرسيها برفق حتى لا توقظ أحدًا. سحبت الأوراق. بدا ذلك وكأنه رسالة مع "عزيزي السيد ريشار". تنهدت. خطأ، هذا البريد لم يكن لها. كانت ستضعها على ممسحة صديقتها. لكن انجذبت عيناها

لقائمة التسوق الغريبة هذه، كل أسماء الرجال هذه. لم تفهم. حلقت فوق الباقي. ثبت اهتمامها فجأة على "إيلى، عالم الكمبيوتر، زوج أفضل صديقاتها". وأدركت، بسرعة. جزء من الثانية يرفع الحجاب. شك خفى يدفعه المرء. آلام شديدة تنمو أسفل البطن. متى حدث ذلك؟ الدماغ الذي عمل ثم يعمل طوال الأسبوع. يتحرك في كل ركن كما لو أن رصاصة طائشة تضربه باستمرار. تذكرت ذلك اليوم عندما وجدت زوجها في المنزل عند عودتها من المدرسة. لم تفهم تفسيراته ولم تحاول أن تذهب أبعد من ذلك. كانت مُعقّدة في كثير من الأحيان الطريقة التي يحكى بها أمور الحياة، وطويلة. لم تستغرق وقتًا للاستماع. كانت سعيدة فقط لأنه كان هناك، سرعان ما عاد. كانا يتناولان طعام العشاء مع الأطفال. لن تضطر إلى الانتظار حتى تأتى الساعة التاسعة مساءً لتأكل معه. جعله تناول الطعام في ساعة متأخرة يشعر بحرقان في المعدة، ويجب عليك عدم تناول وجبات خفيفة حتى ننتظر النتائج. للحفاظ على القوام والحركة. أمضت أمسية سعيدة مع العائلة. كان ذلك نادرًا جدًّا. كذلك كان الأطفال سعداء. احتضنته فيما بعد، وقالت إنه يجب أن يحدث ذلك في كثير من الأحيان. كان قد قبل، بدا سعيدًا. لقد نام.

أعادت قراءة القائمة. سالت دمعة طويلة على الورقة. دمعة طويلة وحيدة، مسحتها بظهر يدها. انتحبت مثل فتاة صغيرة. طوت الرسالة في جيبها. حان الوقت لإيقاظ أولادها. عدلت من وضع شعرها. مسحت على تنورتها.

كان القمر مكتملاً تلك الليلة، كاملاً وأحمر. لم تكن كلوتيلد نائمة. كانت تفكر في عملها. متعجلة وجودها أمام مدخل المتحف. نامت على قناة "أرتيو"، في الظلام، على شاشتها المصغرة. نامت على الأريكة. سمعت خطوات، أبوابًا تُصفق. ظنت أنها تحلم. كانت غالبًا وبشكل استثنائي أصوات المباني القديمة التي تصر في ليالي اكتمال القمر.



#### ثلاثمائة يوم منذ وصولى إلى "بوردو"

إنه لأمر سخيف. أتساءل من أين أبدأ. بلا انقطاع تعهدت لنفسي أنه ذات يوم، قد أستطيع الكتابة لها. أنني قد أجد الرغبة في الاعتراف لنفسي. ها هو ما يقرب من ثلاثين عامًا وأنا أقرأ، ملتهمةً حياة الآخرين، دون أن تكون قد نامت كلمة على الورق. أجد صعوبة في الإمساك بالقلم الجاف. ولذلك أهديت نفسي قلم حبر، مع حبر أرجواني. مثلما كنت صغيرة. كي يكون الخط بديعًا. كان لهذه الكراسة درع جلدي. لقد وددتها بالضبط لي. إنها هديتي الأولى من نقودي، إنها تشبهني. لقد وجدتها صلبة ولينة في آن. مثلي. خشنة وبلا شكل من الخارج. كتلة، صخرة. وريقات ناعمة وملتصقة بالداخل. ننفخ برقةٍ على الصفحات فتنفتح. كأبوابٍ سرية. وملتصقة بالداخل. ننفخ برقةٍ على الصفحات فتنفتح. كأبوابٍ سرية. أنا، كلوتيلد، سبعة وعشرون عامًا، منها ستة وعشرون متحجرة في صخرة، لدي، للمرة الأولى من حياتي، اشتياق للعيش. ذلك بلا شك لئنني أستطيع أن أسأل نفسي عما سأفعله غدًا. لم يكن قد حدث لي ذلك بتاتًا. دومًا اعتقدت أنني ربما لن أُنهي اليوم، إن لم يكن لن ينتهى مطلقًا. الزمن عنصر أفكر فيه دائمًا، كعدو يطاردنى. وكما لو

ساعة رملية لا نهائية تتدفق بداخلي، لتجعلني ثقيلة. لتجعل أطرافي سميكة، حركاتي مؤلمة، وجودي ثقيلاً.

لقد أتيت إلى الأرض قبيحة. ليس ذلك القبح الذي بمثابة ورقة رابحة، لأن المرء يكتسب بفضله، شخصية قوية. ليست هذه البدانة التي يشار لها بالجمال أو الروعة، المُحدثة رغبة لا تُردع، عليها بصماتها. ليست هذه المخازي المؤثرة جدًّا التي يمكن للمرء تحويل اتجاهها، ترميمها، إخفاءها، ترشيحها. لا، جسم ووجه محفوران في كتلة لحم بينما عملية الصياغة لم تكن قد انتهت. بالتأكيد لا أعرف إذا ما كان لا يزال جزء من وجودي بمنأى عن هذه المصيبة. آخر مرة نظرت لنفسي في المرآة كانت في عمر السادسة. كنت ألاحظ هذا الآخر بفضول، دون تخوُّف أو غضب حقيقي. كنت أظن أنني مثل بقية الناس. ثم كان لدى فستان حميل في ذلك اليوم، يكشكشات وردية كنت أجعلها تلف حول ساقسُّ. لقد كنت سعيدة على الرغم من كل هذه الحوادث اليومية التي كانت تؤثر سلبًا عليَّ. كنت أشعر بأنني خفيفة الحركة على الرغم من غوصي في كتلة خرسانة. ليس لدى عنق. كان كتفاي سميكتين لدرجة أنه لا يمكن التخمين أن لدى جسم امرأة. جسمي عريض. أعضائي بلا شكل. قدماي لم أعد أراهما منذ سنوات. يداي تشبه المضارب. وجهري؟ لا أعرف صدقًا. إنه مبهم بالنسبة لي منذ فترة طويلة. في المدرسة، في الممرات، كانوا ينادونني التخينة، السمينة، الكرش، السجق، القبيحة، جلد الخنزير، دهن الخنزير، القنطار، البرميل، الطُن. عندما تكون سمينًا، يعتقدون أنك أهبل حقًّا. كعقاب مزدوج من السماء. مثل سنام الجمل. ومن ثم، كان لدى الحق أيضًا

في الفاشلة، الضائعة، المعتوهة، البائسة، غريبة الأطوار، الحمقاء، السخيفة. هنالك، كان الترابط الجسدي والمعنوي لمن كانت تبدو لهم حقيقتي. كان يوجد أيضًا الهجين، إهانة عالية تقذف لتختم مسبحة الشتائم التى كنتُ قد غُطيت بها.

لم يكن لدى سوى رغبة واحدة، الاختفاء. ذوبانى فى الفضاء، العودة إلى الأرض. حشرت رأسي في قبعة من اللباد سوداء حتى لا يعود بالإمكان سوى رؤية الذقن، في الأعلى بالتأكيد، على ما أعتقد. هكذا يكون الأمر عندما نكون ممتلئي الجسم، نسير الخطوة في عام. يرتبط ذلك بالجسم وبالأماكن البعيدة. أجزاء من البشرة لم نظن أبدًا إمكانية ارتخائها. الرقية، الوجه المستدير، الحلق، طبات البطن، باطن الفخذين، الذراعين، النهدين. يبدو أن كل شيء يسترخي إلى ما لا نهاية. يعود إلى الأرض في جاذبية غريبة. مع مرور الوقت، لن يعود ذلك مدرَكًا. لن نعود نرى أنفسنا. من المفارقات العجيبة ألا نشعر بالسمنة. يمكن للمرء أن يتضخم إلى ما لا نهاية دون وعي بما يحدث بالفعل. نعرف بالحدس، ولكن من دون فكرة حقيقية عن الأبعاد. كما لو كان الدماغ يتكيف مع انتفاخ الجسم. ثم في يوم من الأيام، نجد أنفسنا محشورين في مقعد، باب، لم يعد بإمكاننا الاستدارة أو لمس القدمين. لذا، نتلوى للمضى قدمًا، مثل بندول الساعة. كما لو أن الوقت الذي كان علينا أن نعيشه ينفد. نحن نتحدث بحق عن السمنة المرضية، ليس لأننا زومبي متجولين، لا، ولكن لأنها لا تُحتمل. يثير السُّمان الاشمئزاز، يغيظون الآخرين. إنه أمر غريب. ليس حالة النحفاء، العرجاء، الحدباء. لا، فقط السُّمان. تأكدت من ذلك منذ سنوات. لا احترام لهؤلاء. إلى جانب ذلك، وأنا أصغر بكثير، كنت أتلقى الكثير من الضربات. على رأسى في كثير من الأحيان. كانوا يقرصونني أيضًا. يعضونني في المراحيض. لطالما خرجت محشورة ينفسي ويأمتعتي حيث كنت أدخل ليس بدون صعوبة من هذا الفضاء الضيق حيث كانت ركبتيَّ تلمسان الباب. كنت أحاول عدم كسر أو تلويث أي شيء. كانوا أُخِسُّاء معى، الأطفال العاديون. انتهى بي الأمر إلى الاعتقاد بأنهم كانوا يتطلعون إلى هذه اللحظة بفارغ الصبر. كما لو كان صوت السيفون حررهم تمامًا. يلوون ذراعيَّ، يرمون حقيبتي المدرسية في المرحاض، يطيحون بالأشياء في وجهي. يكونون كثيرين في بعض الأحيان. أكون خائفة جدًّا. وتزيدهم غضبًا رائحة العرق الكريهة التي تفوح منى. يصرخون مثل صفارات الإنذار. لا يزالون يضربون بقوة أكثر. انتزعوا بلوزتي، سترتى، معطفى. كانوا يشدون ملابسي حتى يسمعوا الخياطة تفرقع. جعلونى ألف بينما أمسك بملابسى كأنهم يحولونني إلى نحلة. وضعوا رملاً في سروالي لخدش جلدي. عندما رن الجرس، لم أعد أعرف أين كنت. وصلتُ متأخرة، وقت محاولة إعادة إصلاح ملابسي بعض الشيء. كان معلمي ينظر إليُّ، ذاهلاً. يبدو أنه يتساءل عمًّا قد قُمتُ به في دقائق الفسحة القليلة هذه. الآخرون سخروا. لقد جعلت الكثير من الناس يضحكون دون الرغبة فى ذلك. ثم، مع كل هذه المخاوف والسقطات اليومية، بدأت لا أرى بشكل صحيح. أنا لم أعترف بذلك لأحد. لم أعد أريد معرفة من كان يفعل بي كل هذا. أغلق أذنسُّ حتى لا أسمعهم. خفضت رأسي، وكأني نائمة. ثم توجهت نحو السماء، التي أصبحت غير واضحة منذ فترة. الجانب السلبي الوحيد هو أنني لم أعد قادرة على القراءة، لذلك وضعت

الكتب بالقرب من أنفي تمامًا، حتى يلمس الورقة. لم يهتم بي بقية العالم. ثم أطلقوا عليَّ اسم حيوان الخلد، قصيرة النظر، الحولاء، المُختلة، المُهانة. لم أستطع التحدث مع أمي. كانت تصرخ كثيرًا عندما أعود إلى المنزل. كنت قذرة، يؤنّف منها، بوهيمية، خرقة. كانت تعتقد دائمًا أنني كنت أتدحرج على أرض الفناء للجعل أمتعتي في هذه الحالة، أنني كنت أحاول تدمير كل ما قدموه لي. كانت تصرخ بأنني جاحدة، فتاة بائسة. أنني أسعى لكسر كل شيء. أنني كنت طفلة غير طبيعية.

تمر دون أن يلحظها أحد، لا تزعج عيون الآخرين. هذا ما كان ينبغي أن أتدرب عليه. الوجود، كان يكفي بالفعل. كنت سأجعلها تنفجر. لقد قالت هذه الكلمة التي لا تزال تصفق في أذني. "الانفجار". تخيلت إطارًا قديمًا فارغًا من الهواء عائمًا على الماء. هي، مقلوبة، متباعدة الذراعين. لا، لم أتمكن من فعل ذلك لها. أحببتها كثيرًا، حتى عندما كانت تصرخ. كانت طبلة أذنى تهتز لفترة طويلة.

في الفناء، هدأ الأمر مع مرور الوقت. يجب أن أعترف أنني لم أعد أتحرك. كنت أظل جالسة على الأرض، مُطأطئة الرأس. حينئذ، قاموا بفركي بالرمال. الوجه والشعر شبعا بصاقًا. بكيت في صمت. في أحد الأيام خشخش صوت من خلفي، صوت رجل، مشرف. لقد فقد صوابه. لم يصدق ذلك. صرخ لدرجة أنهم هربوا. أعتقد أنه أخافهم حقًّا. رافقني إلى المستوصف. كان يرتعش، وهو يمسك ذراعي. برْطم: "أطفال وسخون، طغاة لعناء، إرهابيون محتملون، برابرة! لا تقلقي، صغيرتي، سأرعاكي... باسم المسيح".

كان الرمل يملأ عينيَّ. شعرت بالخجل. لم أجرؤ على مشاهدته بينما كان يساعد الممرضة وهي تضع لي القطرة وتنظف وجهي. وأنا أعلم أنه اعتنى بي. ما عادوا يقتربون مني، لم يعودوا أبدًا. كنت جزيرة ضائعة بالنسبة للجميع، منسية.

بعد هذا المشهد، لم أعد أنظر إلى نفسي مجددًا. ولا حتى في فتارين المحلات، أثناء السير. بل وكذلك النظر من أعلى لجسدي لرؤية الجزء السفلي. ليس أكثر من تأمل الماء على الصنابير، تحت الدُش. كان الأمر كما لو أن كياني قد محاه الرمل الذي أحرق الجلد. ثم، مع مرور الوقت، بدأت أعيش في وفاق مع كل هذه القطع مني. أنا لا ألومهم. فنحن بمثابة شركاء ممتازين في الغرفة، نتفادى طرح الأسئلة على بعضنا بعضًا، وأحيانًا نلعب مع هذا الظل العملاق الذي يشبه صخرة كبيرة تعلوها قبعة واسعة الحواف.

ظننت أنه في هذا الإهاب، قد لا أستطيع فعل أي شيء في حياتي. فهمت أن عالمنا ينتمي إلى الرشاقة. علاوة على ذلك، من النادر تراكم الكثير من العيوب. وأن نكون محبوبين بعض الشيء، استفزاز حقيقي. وكأنه انتقام من السماء. يتساءل المرء كل يوم ما الهدف... إنه مصير صعب، لكن فلأفكر فيه بصبر، بدون أمل. علاوة على ذلك، بما أن الفراغ احتل مكان الأمل، أنا سعيدة. وربما لهذا السبب، لأنني شعرت بهذا الخدر الغريب الذي تركني مسترخية بمتعة كؤنى على قيد الحياة، وحدثت المعجزة.

وجدت عملاً. أعني بذلك وظيفة غير مهينة، أو بالأحرى دور صغير يُلعب في حياة الناس. ليس دور جامع الفوضى والقذارة والبؤس. فهذا، فعلته لبضع سنوات من أجل البقاء. لا. وظيفة حقيقية، رسالة، مسؤولية، وقائع يومية مفيدة تملأ أيامى.

# اليـوم 323

أنا بائعة في مكتبة. أخيرًا، أعتقد أنه يمكننا الآن أن نمنحها هذا "libre" "و"حر" "libre" و"حر" ضياك "كتاب" "livre" و"حر" ضياف في هذه الكلمة. وبالنسبة لي، إنه الفرار.

كان رواقًا مظلمًا في بهو متحف الفن المعاصر. مخزنًا، مصدر إزعاج. لا أحد يريد ذلك. إلى جانب ذلك، إنه بالأحرى بقعة سوداء وراء الباب حيث تتكدس الأشياء. كان كل صندوق مدفوع للداخل يطمر السابق أكثر قليلاً. كان هناك ظلام، أنسجة العنكبوت، روائح آسنة وبعض الحيوانات الزاحفة. مكان مهجور. أوضح رئيس المتحف أنه ينبغي كسب المزيد من المال. في أثناء هذه الأزمة الرهيبة التي كنا نمر بها، يجب أن تنخفض راية الثقافة لصالح العاطلين عن العمل والمدارس والإسكان وعدد كبير من حالات الطوارئ الأكثر خطورة. ولقد وعدت الحكومة. مزيد من الضمان الاجتماعي وقليل من الضرائب. المؤسسات الثقافية سوف تدفع الثمن! علاوة على ذلك، في هذا الموضوع، أسمح لنفسى برأى آخر، لأننى، شخصيًّا، أنقذنى الفن.

بفضل كل هذه الكتب والمنحوتات المحافَظ عليها في المتاحف وجدت الأمل. يمكن أن أعيش، ببساطة. أقول لنفسي إنه كان من حسن حظي أن ألتقي بأعمال فنية وأنه خلال هذه المواجهات ١٦١

الفريدة، صار لوجودي معنى كامل. أن أتيحت لي الفرصة لتلقي هذه الهدية الرائعة التي جعلتني فنانة. شعرت بهذه الرعشات. أيضًا، عندما تكون الأمور سيئة، أتصور الإبداع بمثابة مأوى. إذا فكرت في جسدي الكارثي، سأنقل نفسي على الفور إلى جسد الفنانة التشكيلية الفرنسية "المُزَّة" "نيكي دو سان فال". كان ذلك يضيء يومي. وأتهادى أكثر قليلاً. إذا ما آذتني والدتي، على الفور أتوجه إلى الرسام "بولوك". ومع كل كلمة مؤذية، ثمة دفقة من الألوان تسقط على القماش حروفًا لتخرج حروفًا تفقد معناها. إذا استيقظت مع سماء ملبدة بالغيوم، بينما أرسم دائرة حمراء على طريقة الرسام "ميرو"، وأحدق فيها وفجأة أشعر بالدفء. طوال حياتي، دعوت الفن لإنقاذي. منذ ذلك الحين، أجد السعادة دائمًا هناك حيث تحط عيناي. لابتقاذي. منذ ذلك الحين، أجد السعادة دائمًا هناك حيث تحط عيناي.

تحدث الرئيس لفترة طويلة. ثار وكرر نفس الجمل بعدة معانٍ حتى تستوعبها رؤوسنا. كان علينا التوقف عن التفكير في أننا سوف نستمر في تلقي الدعم من المدينة والمجتمعات الأخرى، ذهب وقت الدعم المالي. كان علينا أن نتعلم أن ننتصر وحدنا، القتال أو الاستسلام. كان الأمر كما لو كنا ذاهبين للحرب، وفق ما قيل لي.

كان موظفو المتحف خائفين للغاية؛ بعضهم مِن فقْد وظائفهم، وبعضهم الآخر مِن أن يتركهم الرئيس هناك. لذلك، توصلوا إلى أفكار لزيادة الأرباح. ترددوا ما بين الكافيتريا والمكتبة. عارضت المديرة مكان "الملذات الجسدية الغامضة تحت ستار ثقافة الترفيه". لا أعرف حقًّا ما الذي قصدته، لكنهم في النهاية أنشأوا

هذا المكان، وأعملُ فيه. أنا محظوظة لأنه تم اختياري لهذه الرسالة، أحب هذه الكلمة. يبدو أمرًا دينيًّا تقريبًا أن أتحدث عن رسالتي، على الأرض، في متحفي. نعم، غالبًا في الخفاء، أعتقد أنه متحفي. أنا شبح هذا المتحف. تظل روحي هناك في المساء، حتى عندما أعبر الشارع، لأنني أعيش أمامه مباشرة، تمامًا. خط مستقيم مقسم بواسطة طلاء أبيض منقوش على الطريق.

في عملي، نحن نشتري! وهكذا، ذلك لا يهم أي شخص! يبدو أنه من المبتذل الشراء للعالم الثقافي. رد فعل شعبي. الفن، يتنفس، ينسلُّ إلى ألياف الجلد وإلى القلب والدماغ. نرِثه، مع العقار والأثاث. لا نتعلمه هكذا، بسهولة. بل تتقنه تباعًا أجيال من أناس على دراية، مدربون. لا مكان للجاهلين. الفن ليس فعلاً، إنه فكر، وميض. مفهوم بعيد عن اهتماماتي. لأنه بالنسبة لي، الشراء، أجد أنه مبهج ومخيف في نفس الوقت. لا أريد أن أتجاوز مهمتي، فأنا أتحمل مسؤوليةً هنا، دون أن أعرف ما إذا كنت أستحق ذلك. لديَّ تفويض مطلق، كما يحبون أن يقولوا في هذه المؤسسة. على الرغم من أنني لم أقم أبدًا بأي مشتريات، باستثناء ملابسي التي أطلبها بالبريد، إلا أنها لم تكن عملات معدنية أو نقود ورقية حصلت عليها فجأة، لكنها أرصدة ائتمانية، التزامات، أوامر شراء. وهذا جيد أيضًا.

أُولاً، كان هناك المكان. أسميه هكذا، لأنني قبلت تحمل مسؤولية مكان غير موجود. إنه أكثر إثارة. هذا هو المشروع الذي استودعوه إياي. القيام بكل شيء. بطاقة بيضاء. تدبَّري أمرك. اخترت كل شيء، لون الرفوف، أشكالها الغامضة مثل تصميمات

"رون آراد" الصلبة للغابة، دكك القراءة الصغيرة، أشكال مكعبة من ارتفاعات مختلفة لوضع الأعمال عليها. وبما أنه لم يكن هناك بالفعل مخصصات في الميزانية، فقد سمحوا لي بالتعامل مع الورشة. مكان بيدو أشيه يهنجر. ثلاثون شخصًا يعملون هناك طوال العام. عالم من الغبار ونشارة الخشب مع رائحة الكدم التي تهيمن. الجو فيه بارد جدًّا، ثم حار جدًّا. راديو رمادي يُبرز أصواتًا حادة وأنفية. إنه يستحق نظافة رائعة. حافظت على هوس النظافة والتبييض. النجارون كانوا عظماء. يجب أن يقال إننى قضيت ليالى كاملة لرسم الأثاث. لم تكن أعمالاً فنية، بل رسوماتي الكروكي، لكنهم كانوا يرونني بالفعل أبدو متعبة في الصباح وهذا ما أريده حقًّا. لم يكن هذا من أجلى، كان هذا من أجل الآخرين. للمشاركة، لمنح المتحف روحًا. لذا، عملوا حقًّا من أجل الأفضل. ثم إنهم أحبوا النقاش معى حول الأشكال والمقاسات ووسائل الإغلاق، الفنيّات، والملصقات، والأدراج، المخازن، طاولات صغيرة قابلة للطي. وجدوا ذلك مسلبًا، فكرة القراءة نصف واقفين أو نصف جالسين. وقالوا إنهم، عادة، يدفعون لطلاء اللوحات باللون الأبيض لتسليط الضوء على الأعمال. إنهم يصبون اللعنات! هناك أيضًا عامل المخازن، جيل، الذي يذهب إلى المدرسة بول. لا أحد يعرف ذلك. ما عدا في ورشة العمل بالطبع! أخبرني بسرِّه ذات مساء عندما كان المبنى مغلقًا. لم تكن زوجته تريد مغادرة "بوردو". لذا، فقد تخلى عن وظيفته الرائعة. على الرغم من يديه الذهبيتين. لقد ثبَّت كيلومترات من الفواصل الخشبية على مدار السنة، لكنه لم يشعر باليأس. يبدو الأمر كما لو أنه نسى كل شيء كان يستطع القيام به. كان يفكر في شيء آخر بينما كان يكشط. في أطفاله. في صندوق اللعب الذي كان يصنعه للصغير. بما أنه كان ذكيًّا، أصبح قائدًا. بالطبع، عندما كان يحدث ضغط في الورشة وكنا نتحدث عن إضراب، كان هو من يقود المجموعات. شعرنا أنه مسعور، أنه يمكن أن يعض بسهولة. وبالتأكيد، كان خلفه ثلاثون من الرجال يتبعونه. لكنه دائمًا ما ينتهي الأمر بالحوار مع رئيسة العمل. كان ذلك يؤلمها لكونه باردًا معها. أعتقد أنه يحبها.

تمكّن حيل من شراء بالبتة ألوان. شرحت له أنني أريد أن بأتي الأطفال بأعداد كبيرة. أنه ينبغى تشجيعهم على القراءة، وعلى العودة كثيرًا. أنه كان ينبغى أن يشعروا بالراحة في هذا المكان. لذلك اختار كل الباليتة ألوان قوس قزح. تفاوض مع صاحب المتجر. بينما كانوا يرسمون، كنت أنظف. لقد استهلكوا الكثير من لترات المنظفات. بعد شهر، كانت يدى ما زالت محترقة من الداخل. أقسمت عليُّ عمتي بعدم العمل في أي منزل آخر أبدًا. ولكن هنا كان لسبب وجيه. في صباح أحد الأيام، فاجأوني. كانوا ينتظرونني أمام الباب. سلطوا الضوء فجأة. وكأن قلبى توقف فجأة عن الخفقان. "أليس" في بلاد العجائب. يجب أن يحدُث هذا الأثر عندما يكون المرء حميلاً للغابة ويكتشف نفسه في المرآة. أنا متأكدة من ذلك. مفاجأة قوية. احمرت وجنتاي وتحسست عنقى. ظننت أننى سأبكى. لكن لا. من ناحية أخرى، لم أستطع الكلام. لدى دائمًا ردود أفعال في الاتجاه المعاكس. هذا قاسٍ. بقيتُ متحجرة والناس لا يعرفون ماذا يفعلون. تبخروا بعد الرقص في كل مكان. كانوا غير مريحين للغاية. وكنت أبحث عن الهواء مثل الديك الرومي. منذ ذلك الحين، يخافونني بعض الشيء. لوحوا لي بإشارة صغيرة من بعيد، في الصباح. أتساءل هل سأنجح في الاتصال مجددًا. ما إن فتحت المكتبة، تسلَّم كل واحد مكانه.

حصلت على ميزانية للمضى قدمًا في شراء الكتب. اخترت منها الأرخص، مع أغلفة رشيقة بحيث يمكن للجميع أن يغادر مع القليل من الفن تحت ذراعه. كتاب في سبل المعيشة في حقيبة اليد أو السيارة. ليس للعرض على طاولة منخفضة. كتاب شعري يروى ببساطة موهبة الفنانين، هذا السحر الخلاق. عمل ببضعة "أوروهات"، مثل ذلك، ألا يُشترى بدلاً من... لقد اخترت بعضها بجودة لا يمكن إنكارها لإرضاء رئيستى، "بلاندين دى بلين". زارتنى بعد شهر من بدء العمل. قامت بجولة في المكتبة وقالت لي دون النظر في وجهي إننا لسنا "مكتبة فنية متجولة" وإن دراستي كانت كافية بالتأكيد للاعترف بأننى يمكن أن أتحدث أيضًا إلى كائنات متفوقة. "بالثقافة والقدرات، أعنى، يا صغيرتي... حسنًا، إذا أراد المرء..." إنها دائمًا ما تنهى كلامها بـ"إذا أراد المرء..." إنها كما لو كانت تريد أن تكون لطيفة معى وإنه، فجأة، قفز حجمى أمام عينيها. حينئذ، تجهمت. ابتعدت عنها، عن حياتها اليومية. ومع ذلك، فإنها تؤثر فَيُّ بِلا حدود. إنها فظة ومتباهية. فخورة بالخطيئة الأولى. ومع ذلك، أشعر أنها هشة، جريحة، ذليلة. هي أيضًا، جميلة على الرغم من ذلك. كما لو كان جمالها لا يكفى لسعادتها. امرأة غريبة مشهورة ورشيقة منطوية على نفسها. وفي كل مرة أسمع فيها حذاءها العالى ينقر على الحجر الأسود للمبنى، أرتعش. أغمض عيني وأمسك أنفاسي. في كثير من الأحيان لا تتوقف. أشعر أن عينها الخزفية تبحث عني في الغرفة للتأكد من أنني في موقعي. ميزة على زملائى: أنها لا يمكن أن تفوتنى!

## اليوم 338

في الأسبوع الماضي، تحرأت. منذ عدة أيام أفكر في ذلك. وضعتُ ملفًّا على مكتبها. كتبته كاملاً بقلم حبر مع رسومات ورسوم توضيحية في كل صفحة عندما أكدت كلودي أن العرض الذي قدمته كان "حشوًا مُملاً". في العصر الرقمي، أود أن أفرغ رأسي تمامًا، وكان علىَّ أن أنتظر حتى أكون مشهورة ليُسمَح لي بيوميات رحلتي! لذلك، بدأت ثانية كل شيء على جهاز الكمبيوتر الخاص بها. لديها جهاز حميل جدًّا، وردى. كنز خالص للتصميم. نرى المحرك في الداخل. مثل حلوى شفافة. يشبهها. تستخدمه لـ"كتابة أوراقها"، كما تقول وهي تتحدث عن عملها كمذيعة، وبعد ذلك أيضًا لأنها على "الماسنچر". إنها ترسل رسائل طوال اليوم إلى "رجال". موضوع شخصي. أنا أمتنع. الحقيقة، دائمًا سوف أعيد إعداد ملفي بفضلها. حقًّا لم أستخدم جهاز كمبيوتر قط. لذلك استغرق الأمر منى ليال كاملة لأكتب بأصبعين. عندما تعمل، أسمعها تنقر تنقر تنقر بأظافرها الجميلة المطلية على المفاتيح. تكتب بسرعة كبيرة. تصحح ورائس "لتجعل الأمر مثيرًا نوعًا ما". بعد نهایة ساعتین، بدا وکأنه عرض بدیع لتقدیمی بکلمات مشبعة وبطلاقة. كتابة فنية كما لو كنت قد كتبتها بنفسى. ألوان وإشارات بأسهمِ وإطارات. أمر لا يصدق. كل مساء منذ ذلك الحين،

تعلمني ترويض آلتها وإتقان الـ"باور بوينت" لأدهش زملائي. إنها مضحكة يا "كلاو". إنها تعتقد دائمًا أنني، لأنني أعرف القليل عن الفن والكتب، سأصبح رئيسًا للجمهورية! لم يحدث أن وضعتْ في اعتبارها أنني لا شيء تقريبًا وأن هذا يناسبني.

أخيرًا، وبعد كل هذه الجهود والمناقشات مع كلودي، كنت أريد أن أضعه سرًّا، قبل أن أغادر، على طاولة عمل "ب. ب". لقد صنعت أيضًا غلافًا من الورق الملون. تفصيلة غير مجدية، ولكن لم أستطع المقاومة. عندما دخلت عرينها، كان هناك القليل من الضوء لدرجة أنني ظننت أنها لم تعد هناك. إنها دائمًا تترك لمبة سِهراية كما لو كانت على وشك العودة. تطقطق بقوة الشرائح اللامعة السوداء تحت وزني عبر صمت الكاتدرائية. كان مرعبًا. تسمرت للحظة. ومن ثم، عدثتُ نفسي أن الأمر مهم وأنه ينبغي عليَّ المضي قدمًا. تمايلت مليئة بالأمل ويائسة من عبور الفضاء مرة أخرى. كانت هناك. لم ترفع مليئة بالأمل ويائسة من عبور الفضاء مرة أخرى. كانت هناك. لم ترفع رأسها أبدًا. ولا العينين. كانت تقرأ وهي تدخن. حافية القدمين، المتقاطعين على طاولة العمل. كانتا صغيرتين ومستديرتين في نفس الوقت. الوجه شاحب في ضوء هذا المساء. شفاه أرجوانية. يبدو الأمر كما لو كنت قد قضيت بضع دقائق منقطعة النفس. معلقة في صمت رهماني. تشمه الرسام "فيرمير".

في هذا الصباح، سمعت حذاءها يتوقف أمام المكتبة، تنفُّسي أيضًا. فتحت الباب الزجاجي قليلاً وألقت الملف على طاولة التصنيف. رحلت دون كلمة واحدة. دون تعبير. انسحبت. انتظرت وقتًا طويلاً. لم أعد أشعر بضربات قلبي. تنفست بعمق. ليس جميلاً مثل هذا الشعور في وقت مبكر من اليوم. شعرت بالاستياء حتى المساء. ارتعشت قليلاً، غير قادرة على احتواء نفسي. انحنيت لآخذ الأوراق التي انزلقت. وقرأت: "موافقة وبرافو. انظري الحسابات ب. دي. ب" كتابة رائعة طويلة ودقيقة معًا. توقيع مثل الأرابيسك. معجزة! لقد حصلت عليه، العمل في ورش الأطفال.

كنت سأجرى تقريبًا خلفها لتقبيل قدميها المستديرتين الصغيرتين. لكنى سيطرت على نفسى جيدًا. عندما تصل في وقت مبكر، لا ينبغي إزعاجها. تعمل على مجموعاتها، من أجل معارضها. تجرى آلافًا من المكالمات الهاتفية. إنها تكره الإلحام. مزاجها سيئ للغاية. تقضَى يومًا كاملاً، من السابعة صباحًا حتى الثامنة مساءً، وبعد ذلك تحرر رسائل البريد الإلكتروني. إنه إيقاع مجنون. علاوة على ذلك، يبدو العمل بالنسبة لها تعذيبًا تحب أن تتكبده. تعمل بمعنى الكلمة. بدون راحة. حتى الإجهاد. أعتقد أنها لا تتعجل العودة إلى المنزل. ليس لديها عائلة. لقد فكرت طويلاً إنها لم تجد رجلاً أهلاً لها. قاسية تمامًا بالنسبة للفنان، مبدعة للغاية بالنسبة للمصرفى. ومن ثم لا تسمح لنفسها بالرحيل. لم أرها تضحك أبدًا. ولا تنظر إلى أي شخص بتساهل. أو بهزل. فقط الأعمال توقظ ضوءًا غريبًا في عينيها. يتغير لونهما وتصبحان سوداوين كالحبر. لأنها تركز. إنها كما لو كانت تتوحد مع الموضوع. تهضمه. في بعض الأحيان تتحدث مع الفنانين لفترة طويلة. وكأنها تمتصهم، هم أيضًا. الفن فقط يتفوق عليها. لكنها لا تسمح لنفسها بالتأثر، لا بالقلب ولا بالجسد.

علمت بخبر سخيف. كشف لي عنه رجل من الورشة. في الواقع، لم يكشف لي شيء. هو فقط عبَّر بإشارة قذرة عندما كانت تغلق الهاتف في وجهه. كانت "ب. دي. ب" تريد التحدث إلى رئيسه. ليس إليه. تتوجه فقط إلى المسؤولين. إنها تشعر بالملل الشديد معي، لأنني ليس لدي رئيس، غيرها. لذلك، تتجاهلني. أو بالأحرى تفوض مساعدتها، في وجودي، لتعطيني التعليمات: "سوف تخبرين الفتاة كلوتيلد أنه يجب أن... حسنًا، إذا صح التعبير". لذلك اعتدت على خفض رأسي والانتظار. الوجه يغوص في الأرض، مثل "أنّا ليونونز" الجاثية أمام ملك "سيام". التأثير مهدئ. وأنا أنتظر بينما أركز على أشياء أخرى. ذلك يهدئني.

أطلق إذًا رجل الورشة هذا جهالات على حسابه. نظرت إليه بعيون محدقة، مستفهمة. مشدوهة أيضًا. "أنتِ حقًّا الشخص الوحيد الذي لا يعرف أن "ب. دي. ب." تنام مع الرئيس. ورغم ذلك في النهاية، عندما يسمح وقته لأن لديه قططًا أخرى يدللها!" قهقهة، قوية. أنا أحب العمال. في هذه اللحظة، أكرهه! أجده بائسًا. فهم ذلك وانطلق إلى داخل متجره. وأنا بقيت متسمرة هناك. مكتوفة الأيدي. الرئيس؟ الرئيس! يجب القول إنه جذاب بشكل رهيب، رائع. مختلف عن بقية العالم. أولاً، إنه أسود. لقد خاطرت "بوردو" باختيار رجل ملون لرئاسة مقدرات مستودع السلع الستعمارية هذا، والذي أصبح مكانًا أساسيًّا للفن المعاصر في أوروبا. انتقام. توبة. انعكاس غريب للزمن. للساعة الرملية. هو

نفسه بسخر من كل ذلك. دون تجاهل دوافع هؤلاء وأولئك. إنه على بعد سنوات ضوئية من هذه الشريحة من التاريخ. إلى جانب ذلك، لم يكن أسلافه عبيدًا. لم يعرف أبدًا إفريقيا. لقد عاش في "سوبسرا" فترة أطول من تلك الفترة التي عاشها في يلده الأصلى "إندونيسيا". كانت جدته "كريولية". جده "سنغالى". بالتأكيد، ابن ديلوماسي، حصل على تعليم يضعه في مرتبة أعلى من المستوى المحيط. إنه من هذا الجنس المتفوق، المختلط والمتحرر. إنه لا يحلس أبدًا إلى جانب الضعفاء، فقط يمد لهم يد العون. الصغار، كما يقول. هو في معارك أخرى. يعتبر أن التوبة تسمية تجاوزها الزمن. أن الشباب في عصره لم يعد في حاجة إلى ذاكرة الزنوج الثقيلة. أن الماضى يتم استيعابه وراثيًّا من قبل الأجيال الجديدة. من خلال المجتمع المعاصر. الذي لم يعد يطرح هذه النُسئلة. الذي يتعلم التاريخ دون الشعور بالمساءلة. من يتساءل عن البربرية أكثر من تساؤله عن أسسها. الذي تخلى عن المناقشة لساعات وإنشاء اللجان، مفضلاً العمل بدلاً من التعاطف. البناء. هذه المدينة المتناقضة، بدون معالم. تلك التي يعلن عنها المرء باستمرار، ولكن بدون مستقبل. معركته، إنها الثقافة. التعليم. المعرفة. تلك التي تسمح بالعثور على الكلمات بدلاً من الانتقال إلى العمل. الآن أنا أتقن تعبيراته: التنوع الثقافي، بناء أرضية مشتركة، برج بابل الحديث، المواجهة، تشجيع الإبداع، حق المواهب الجديدة، وهذا نموذج للمدن الأخرى. ولهذا السبب وافق على أن يصبح الرئيس. هذا كل ما يطالب به. ليس أسود. هو ببساطة. علاوة على ذلك، ما نلاحظه في المقام الأول ليس بشرته السوداء،

بل رقة ملامحه، جماله الخارق للطبيعة، مما يثير الصمت عندما يدخل في مكان ما. إيماءات ذكية. أناقة. سيقان ضخمة. زي مهندم، قميص نظيف، أزرار الأكمام من الذهب الأبيض. ماء تواليت فاتن يتطاير في الغرفة لفترة طويلة بعد رحيله. ابتسامة رائعة. كلمة لطيفة للجميع. هيئة مهذبة مهما حدث. متفتح العقل، أيًّا كان الموضوع. "تحياتي، آنستي". بلسم يومي على روحي. يحتفظ بهذه الصيغة الرقيقة لجميع النساء. تحفر زياراته أثرًا يدهش الموظفين. متدليًا من شفاه "كار برونسكي". اسم يحمل إفريقيا واسم متشبع بالحنين للرقيق. لهذه "العبودية" لديه نظرة واضحة. ثاقبة، حادة. مثل النسر. لم أتجرأ أبدًا على دعمه.

ها هو الحزن الذي يخطف قلب "بلاندين دي لابلين". الرجل الذي تحبه، ولكنه لا يحبها. عاشق يزين خاتم الزواج يديه الطويلتين واللطيفتين. الحاضر، ولكن في كثير من الأحيان في مكان آخر. إنها تعشقه في سرية، دون القدرة على الإعلان. التعلق بذراعه. الأمل في ليلة. طفل. حياة. لا أعرف أي شيء عن هذا الشعور، لكنني أخمن ذلك. هذا الحب الممنوع لأولئك الذين يتآكلون ببطء. الذين يدمرون المعتقدات. يطمحون في الشباب. يدوسون الشرف ويدمرون الأمل.

أُدرك فجأة حذاءها العالي جدًّا، أحمر شفاهها القرمزي. إنها تود أن تكون امرأة. هي فقط الحاضر. دون الماضي، لا مستقبل. ثمرة شغف ليلي في قبو مقوس من الأحجار الداكنة، من أعمال غير مجسَّمة، من نجارين حزاني. مستهلكة. تصبح طفلة مهملة، دمية مبعدة. هي التي لم ترفض الحياة لها أي شيء تود أن تأتي النزوات. تنقر على الطاولة. ترمي الأشياء، تنظمها. تعاقب. ذاك لا يعمل. لا شيء يعمل في مكان آخر. لا يزال مرغوبًا فيها، ولكن يمكن استبدالها. واحدة، من بين أخريات.

أود أن آخذها بين ذراعي. أمحو حزنها. هذه النظرة الحزينة. هذا اليأس. أخبرها أن كل شىء يمكن أن يتغير. هى. وهو.

### اليوم 354

"ب. دو. ب" محبوسة في مكتبها منذ يومين وتبكي. أعرف ذلك، لأنني التقيت بعينيها الحمراوين، المتورمتين. تقول مساعدتها في الممرات إنها تصرخ على الهاتف، إنها ترمي، تكسر. جنون الألم. يجب أن يكون ذلك.

### اليوم 360

وجد جيل ما كنتُ قد طلبتُه منه منذ فترة طويلة. كان بإمكاني تدبر أمري بنفسي، لكني لا أزال خرقاء. أتنقل بالدراجة، ولكن فقط على الضفاف. ذلك أعطاني حرية حقيقية. أتنزه لساعات، في المساء، حتى غروب الشمس وفي الصباح الباكر جدًّا، في بعض الأيام. أضغط على البدال وهكذا وكأنني أطير. يتموج شعري وفق إرادة الريح وأنا أتنفس الرذاذ. إنها رائحة البحر، النهر المتألق كبساط

پرونزی طویل پفتتنی. پهیچ بأشكال غربیة. هناك موجات تقریبًا. في بعض الأحيان جذوع أشجار. أخشاب طافية. أسير على طول مبناء القمر. السماء تلمع. يبسط الضوء أشعته على الواحهات ذات اللون العسلى. إنه عرض لا أضجر منه. أتجول حتى بركة (ميروار حولو) "مرآة الماء"، إنها تعكس مدينتي. تجعل تاريخ مباني القرن الثامن عشر يرقص. يعبرها الأطفال قفزًا سعداء. وأنتظر الساعة السحرية عندما يظهر انعكاس برج كنيسة "سان ميشيل" على الأرض الجرانيتية. سراب. ثم يكون جسدى أفضل. أتحرك الآن دون إبذاء. أقل ضررًا. أبدِّل وأشعر أن شيئًا ما يتشكل تحت جسدي. حتى ثيابي تطفو حول خصري. يمكنني الدخول إلى الحمام بدون ارتطام. أستطيع أن أنحدر دون السقوط. نجحت في أن أجلس القرفصاء والبقاء في هذا الوضع غير العادي بضع ثوان، دون أن أسقط على جانبس. وأخيرًا، أختبر الجاذبية. أخرج من سجنس واقفة، جالسة، مستلقية. ألفُّ، أتأرجح. أتلوى، أتملَّص، أنحنى. فقط أصل إلى فخذي. أعطيت نفسي مهلة ستة أشهر للغوص إلى الأمام ولمس الأرض. أيدى مسطحة. الدراجة، أنا لا أتعب منها. إنها مثل المخدرات. إذا لم أفعل، سأعانى. في الداخل، الخارج. أبدل، ولكن للأسف، ما زلت لا أعرف حقًّا كيف ألف! لقد حاولت، لكنه أمر مرعب إلى حدٍّ ما. لقد جُرحت فعلاً وأنا أسقط. الناس يصرخون لأننى أتعرج بشكل غريب بدايةً، ثم لا أسيطر على أي شيء. أُبعد ساقيٌّ بغباء وأخيرًا أنهار. أحاول مد ذراعيَّ. أن أقاوم الأرض التي تصطدم بجسدي. أن أبعد الصدمة، لكنني أرى فقط الذِّردة المعدنية والخرسانة. عندما نسقط، نشعر دائمًا بأن الأرض تدور بنا، كما لو أنها تفتك بنا. يظل مشاهدو هذه السقطات مشدوهين. لا يضحكون. يحرصون على رفعي. لا يعرفون كيف يفعلون ذلك، أنا لست قابلة للرفع. ارتميت مثل كتلة. ضخمة، ثقيلة، بدون مقابض، ممددة. في كثير من الأحيان فاقدة الوعي جزئيًّا. أولئك الذين غامروا هناك شعروا بضربات في ظهورهم لدرجة انسحابهم. لذلك، لا بد من أتدحرج، لأقف على ركبتيَّ. أرفع نفسي مثل سيد قشطة، بفرد يديَّ واستقامة جسدي تدريجيًّا. الظهر عاليًا، ثم أتوجه إلى الأمام. عرض مزعج وبطيء لا بد من مشاركته مُنقذيَّ. أنزف في بعض الأحيان من وجهي. من الأنف، بوفرة. كثيرًا ما يشوهني ذلك لبضعة أيام. في بعض الأحيان من بعض الأحيان يخاف الأطفال. أرفع يديَّ لأشير لهم، لتهدئتهم. تكونان مغطاتين بالدم. يصرخون من الرعب. إنهم يحبون أفلام الرعب، ولكنهم يخافون الدم.

لذلك قررت أن أذهب بعيدًا جدًّا، تقريبًا في أحواض السفن. أبتعد عن مسارات راكبي الدراجات. حيث تُعلَّق القوارب. تمتد أحواض الأنهار بين مساحات كبيرة من الأرض. يجبرني ذلك على الذهاب 300 متر أكثر، أخيرًا أصل إلى هناك. مرتجفة، ولكن فخورة.

لم أتمكن من الذهاب إلى متجر الحيوانات حيث كنت أرغب في شراء قط لليو. "مياو" كما يقول. طلبت من جيل أن يجد لي واحدًا يشبه دبدوبًا. إنه صغير جدًّا. كرة صغيرة من الشعر، رمادية كلها. العيون زرقاء ومستديرة. مسطح الأنف. يموء بمجرد أن تقترب منه بد.

كنت قد وضعته في سلته الصغيرة على درجة السلم السابعة. كنت أريد أن يكتشفه عندما يعود إلى المنزل من المدرسة. جُن ليو من السعادة، حتى إنني فكرت أنه سيبكي. قفز على رقبتي وترك رأسه لفترة طويلة، طويلة على كتفي. أنا أحب رائحته. يفوح منه العسل والزنجبيل. يبدو دائمًا وكأنه كان يأكل الكعك.

# اليوم 364

لم يعد يتركه. يضع القط على كتفه أو تحت قميصه "البولو". كان يلزمه مقاتل صلب كي لا يأخذه إلى المدرسة. النهاية، يبقى في غرفة معيشتي في انتظار عودته. وفي بعض الأحيان عند عمتي. لا يريد أن يتركه وحيدًا. يكرر بلا كلل أن التعاسة الحقيقية هي أن يكون وحيدًا وحزينًا طوال حياته. لم أرد عليه. أنا أعلم أنه يتحدث عن نفسه، حزنه. لكنه لم يعد على السلم. منذ أن أصبح لديه قطٌّ، عاد ليعيش مرة أخرى في الشقق. شقتي، شقته، شقة عمتي. لقد مرت ثلاثة أشهر منذ اختفاء عائلته. لم يبعث أبوه وأخوه وأخته أي أخبار. لقد غيروا المدارس. اعتقدت أن إليزابيث لن تتعافى وأخته أي أخبار. لقد غيروا المدارس. اعتقدت أن إليزابيث لن تتعافى ظل نفسها. وليو دائمًا أكثر وحدة.

ثم، منذ بضعة أيام، قلبت تمامًا عاداتها. بدأت في أخذ إجازة. كانت تود أن ترافقني إلى الحديقة مع ليو. تقريبًا كما لو أنها كانت تخاف من الخطأ. جلست على مقعد، هشة مثل ورقة، وشاهدتنا نلعب. وفي النهاية ابتسمت بوهن عندما دفعتُ ليو على الأرجوحة وصرخ: "تاني، يا كلو، تاني، قريبًا سألمس السماء!" وقهقه. كانت هذه الضحكة البلورية، التي تدحرجت كشلال، وأثرت فينا. ضحك بحرارة. لقد أنهى مونولوجه الأبدي. في كثير من الأحيان كان يتوقف الناس للنظر إليه، الرأس إلى الوراء، والفم مفتوح على اتساعه، يبدو أنه كان يتوق إلى السحاب. أود أن أسحقه بالقبلات. لا أجرؤ على اتخاذ الخطوة الأولى، إنه دائمًا من يقفز بين ذراعي. أخشى إيذاءه، أن يدفعني بعيدًا. إنه الشخص الوحيد في العالم الذي لا أطيق الابتعاد عنه. أنا محظوظة، إنه يحب عناقي. لم أكن أعتقد أنني سأتمكن من فهمه، ترويضه. معه، بالفطرة أعرف.

اليوم، نهضت. أخذت مكاني خلف الأرجوحة. توقف عن الضحك. أغلق العينين. تشمم ببهجة رائحة والدته. النشوة. السعادة الكاملة. وجدت نفسي سخيفة بعض الشيء، مكتوفة الأيدي، لا أعرف ما يجب فعله مع جسمي الذي أصبح مثقلاً. جلست على المقعد الحجري. قرأت بتمعن. كنت أستمع إلى صرير الحبل. نسيم خفيف يهب. انقضضت على القراءة كما على الحلوي، كتاب الجيب الموضوع على ذقنى.

### اليوم 365

ها أنا. أنا هنا منذ عام. في "بوردو". اعتقدت أنني الوحيدة التي كانت تحتفل بهذا العيد الميلاد. حتى أنني اشتريت شمعة معطرة. حسنًا! عمتي، حوريتي الرائعة، دائمًا غاضبة ومتجهمة. ومع ذلك لها قلب من الذهب. حساسة للغاية وحادة في نفس الوقت. لقد أعدت شرابًا مُسكرًا للصداقة في شقتها. الترجمة: مشروب لقد أعدت شرابًا مُسكرًا للصداقة في شقتها. الترجمة: مشروب "دystal Roedere"، والخبز المحمص الرائع وحلوى "الماكارون" متعددة الألوان، ومعجنات "الكانليه" من محل "باريدرون"، فضيات لامعة على الصواني الثقيلة. الخدمة بالملابس الرسمية. مثل دائرة حول سريرها وبأقصى سرية. كان المبنى كله هناك. أخيرًا، أولئك الذين ما زالوا يعيشون هناك. انهرت أمام البلونات والجاتوه. عدم الاتزام بقواعد حياتي الجديدة، المفروضة طوعًا أو بالقوة من قبل طوفي وسارة. لكن كان ذلك رائعًا تمامًا! لقد جعلني سعيدة للغاية. فقدتُ خجلي أيضًا. استطعت أن أوجه بضع كلمات للجميع. كان هناك الطبيب الوسيم. وجدني في حالة جيدة. مجاملة حقيقية. كانت تيريز سعيدة للغاية، متألقة في سريرها المرمري. أعتقد أن ذلك أعاد الحياة لمحتمعنا الصغير.

### اليوم 377

جاءت إليزابيث تبحث عني للذهاب إلى المدينة. قررت بأنه ينبغي أن أشتري نظارة. إنها تحب القراءة. لدينا هذا الشغف المشترك. وقررت أنني يجب أن أحافظ على عيني حتى أتمكن من القراءة لوقت طويل. إنه أمر مخيف أن تراني مع هذا الكتاب ملتصقًا بأنفي. نحن في العصور الحديثة. بدت غاضبة، أعتقد أنها غاضبة من والديّ. إنها لا تقول ذلك، ليس أسلوبها، لكنها تتمتم بموضوع بصرى، وضرورة تصحيحه، وحيويته... بكل هذا الاهتمام الذي أفتقده... يبدو الأمر كما لو أننا نتشارك نفس القصة، هذه العزلة نفسها.

أعتقد أن الأمر مختلف. على العكس تمامًا، في الواقع. عندما نفكر في الأمر، أنا التي تخليت عن والديّ. تركتهم هناك، مع شكوكهما وتعنيفاتهما، بينما أنا، رحلتُ أتنفس في مكان آخر. صحيح أننا لم نفهم بعضنا بعضًا. مثل خطين متوازيين، لم نعد نستطيع الالتقاء. مجرد رؤيتي تجعلهما غير سعيدين، خاصة أمي. لقد عذبت نفسى بتساؤلي لماذا هذا الاشمئزاز الدائم. نعم، أنا سمينة وقبيحة. نعم! لقد فعلت مثل جميع الأمهات، وأفضل لها أن تتصور طفلاً مثاليًّا. نعم! لقد كنتُ مُحبطة في هذا الصدد. وهذا غير عادل، لأنها نفسها لم تكن سبئة للغاية. بالأحرى فاتنة حدًّا. أس أيضًا بالتأكيد. على الرغم من ذلك، جئت إلى الأرض مثل سلحفاة، مثقلة بدرع. التي تُدخل رأسها عندما يكون العالم الخارجي شديد الإيلام. حاولت أن أجعلهما يفهمان أنه ليس بوسعهما فعل أي شيء. إنني خرقاء وقبيحة على الرغم منهما، على الرغم منى. إنني لم ألُّمهما. إن الشيء الرئيس كان حبى لهما. حناني جعلهما أكثر جنونًا بالألم. كانا يفضلانني شريرة، عدوانية، حادة. لم أستطع أبدًا. أي طفل لا يحب والديه؟ الجميع يتكيف. سعيدان للغاية لعدم كونهما وحيدين على الأرض. ظلا صامتين، معتقدين أننى لم أكن أفهم. من المدهش أن نتخيل أن الناس غير الجذابين لا يدركون قبحهم. كنت أعرف ذلك دائمًا، بالطبع. على الرغم من أننى فضلت النظر لهذا الأمر من خلال التسامح. كيف البقاء على قيد الحياة على خلاف ذلك؟ وأخيرًا هذه الرحمة التي ألقيت بها في وجهيهما عند الرحيل. فكرت في إطلاق سراحهما، إعفائهما، منحهما الرغبة في المشاركة مرة أخرى. للعيش. لقد جعلتهما مجنونين بالألم في وجه مصيبة جديدة، وهى فقدان طفل. الصمت. الندم.

كلما أفكر في الأمر، كنت أعلم أن هذه هي الحقيقة. ربما كانت مغادرتي عنيفة للغاية، حيث حظرت لمَّ الشمل. كل هذه السنوات أتساءل لو أنهما لم يدفناني على قيد الحياة. أود أن أخبرهما أن الوقت لا يمحو أي شيء، لكن يمكننا العودة إلى قصتنا. كنت في حاجة لهذه الوحدة لأمنح معنًى لحياتي. أفكر في بعض الأحيان في التحدث معهما، دون العثور على الكلمات الصحيحة. أعتقد أنهما مجروحان للغاية.

اتصلت بهما عمتي لتخبرهما أنني في "بوردو". هي، الراديكالية للغاية، التي طالما كرهتهما، اتصلت بهما لطمأنتهما. هذا ما جعلني أفكر. هذه اللفتة الكريمة. فقط لتقول لهما "هي هنا"، تم العثور على الطفل المفقود. كنت مشلولة. غير قادرة على الشعور بأي شيء، لا مبالية. في مكان آخر. سينبغي بالفعل رؤيتهما مرة أخرى... ذات يوم.

رافقتني إذًا إليزابيث لم تُسأل عمَّا تريد أبدًا. يبدو ذلك واضحًا، غريبًا. بدت لي لطيفة جدًّا. كنت لا أزال أحسب أين أضع قدمي حتى لا أقلب أي شيء كان بالفعل على الطاولة. أدركت، في تلك اللحظة، أنه بلا شك كانت عيناي التي تُخل توازني، وليس قدميَّ

الكبيرتين. هذه الاكتشافات تسعدني دائمًا. كما لو أنه قد كُشف لى عن سر الكون!

كانت إليزابيث متهيجة، وأظهرت نماذج بقدر لا يستهان به من الإيماءات المزعجة. أعتقد أنها كانت تحاول حمايتي. الدفاع بالنقد، الالتزام بتحقيق الغاية! اخترت أخيرًا زوجًا من النظارات المستديرة والقرمزية. ثم بنفسجية بزيادة "أورو". أعترف أن التأثير كان يتجاوز توقعاتي. يجب أن يقال إنني ارتديت سترتي "الكيمونو" الصينية الزرقاء الداكنة وأن كل شيء كان متوافقًا. صار لدي "إستيّل"! اكتشفت الشعر الطويل، الأشعث والأسود، والأعين النيلية. وهكذا ورم دموي كبير على خدي الذي امتد في خطوط سوداء نحو الجفن، بقايا سقوطي الأخير والمؤلم بالدراجة. عبست أمام المرآة، متناسية أنني لم أكن وحدي. لم يكن أنفي رائعًا جدًّا، كانت شفتاي سمينتين وأسناني بيضاء ومصفوفة. معجزة لفتاة لم يتح لها الوقت لتأطيرها.

أوضحت لي الشابة أن النظارات لم تكن ملائمة بالفعل لنظري، ولكنها كانت قريبة جدًّا، وسرعان ما كنت سأحصل على نظارتي النهائية. لم يكن خطيرًا. استطعت أن أرى أن معالمي أقل كارثية من بقية كياني. من المؤكد أن أنفي يشبه إلى حدٍّ ما نتوءًا، وأن هيكل وجهي يفتقر إلى الانسجام. تجويفات ومطبات لم يكن ينبغي أن تكون. لكن قصر نظري كان غامضًا. وبفضل هذه النظارات الجديدة، للحظت وجود جانب إيجابي في جسدي. لم يُثُور ذلك حياتي، لكنه لم يجعلها ميئوسًا منها إلى حد ما. ستكون المشكلة برمتها هي مقاومة فضول مراقبة جسدي ككل. لقد رفضت حتى الآن وضع يدى

عليه لعدم معرفة أي شيء. لكن النظرة، من الصعب الفرار منها. إنها في بعض الأحيان سريعة للغاية. نحن نمر أمام المرآة أو الفاترينة دون تدقيق أو تركيز، ولكن يسجل الدماغ الصور التى تعود إلينا بالتسلسل.

من ناحية أخرى، سوف أتمكن من القراءة ليالي كاملة. أتوه في القراءة حتى تغلق عيناي وينهي العقل طريق الكتابة. إنه السحر عندما يتحرر الجسم ويستمر الرأس على درب الخيال. أغذي هذا الشعور حتى لو كانت قلة النوم تجعلني غير منضبطة في النهار. لذا قد يحدث أن أعبر الشارع عند الاستراحة وأذهب للنوم بضع دقائق في المنزل. ما كان يقلقني، في الآونة الأخيرة، هو أن نظري كان ينطفئ قبل الضوء. كل شيء أصبح ضبابيًّا ثم لا شيء. كنت أضغط متحسسة أمان الكهرباء.

#### اليوم 387

منذ أن صار لدي نظارة، تنوح تيريز. إنها غاضبة لأنني لم أعد أزورها. لقد اشتركت في مكتبة البلدية وأقرأ المؤلفين عبر الأقسام، الرفوف. على طريق خطي حتى لا أفوت أي شيء. لقد بدأت بالروايات. الحرف "أ". جميع الروائيين الذين تبدأ أسماؤهم بـ"أ"، جميع أعمالهم. قرأت بعضهم ثانية، لا يهم. أنا في بعض الأحيان ألتهم العديد منها، ليل نهار. في بعض الأحيان أهرع في المساء، عند إغلاق متحف الفن المعاصر بـ"بوردو". كاتدرائية الكتاب. المكان ضخم ورمادي. كله خرسانة. من ناحية، عدد الطلاب كبير. من

ناحية أخرى، كبار السن يراقبون الشباب بعيون محبة تقريبًا. كثير من الضجيج. بدأت أتهاون إزاء هدير آلية السلالم الكهربائية. سفينة الأشباح. أتسكع في الطوابق. أعرف كل الجنبات. السيدة المجنونة التي تستقر عند المدخل كل يوم وتتمتم بصلواتها، وضعت أكياسًا ضخمة حول قدميها. القيّمون المتعجلون الذين ينشطون عبر الأقسام. الطلاب المجتهدون. أحيانًا أتسلل إلى المدرج، في الطابق الأرضي، دون السؤال عن شخصية اليوم. فقط لحضور محاضرة. إنها حرية هائلة للاستماع إلى هذا الغريب بورع، دون معرفة أي شيء عنه، في وسط المعجبين المنتبهين. هذا المكان يستهويني. كما لو أنني أستعيد هناك دراستي المجهضة. هذا الوقت الثمين الذي كان يجب أن أكرسه لها.

فقط ليو من يجعلني أتوقف. اخترت مجموعة من الكتب لقراءة القصص له. يتكور حول قطه وأعتقد أنني أسمع مواءهما هما الدثنين.

# اليوم 389

ذهبت لأحصل على نظارتي النهائية مع إليزابيث. تأخرت يوم الأربعاء لمرافقتي ولقضاء بعض الوقت مع ابنها. طلبت مني أن أرعاه في المساء. أحب النوم في شقتي الصغيرة. لا أجرؤ على العودة إلى منازل الناس. ينزل في بيجامته، مثل شخص كبير. نعد لحفلة شاى. تتشكل معارك على مرتبتي الموضوعة على الأرض

مباشرة. تُحكى قصص في الظلام. جاء ليلتصق بي. الرأس على باطن مرفقي. أنا لم أعد وحيدة أبدًا. هذا الطفل على ذراعيَّ يمنحنى ساعات من الحياة. الخلود.

أرادت إليزابيث الذهاب إلى السينما. لقد ذُهلت. يبدو أنه لم يتح لها فرصة الترفيه. إنها متفائلة بثقتها بي. شعرت أنها تريد أن تحكى لى أكثر، تجعلنى حليفتها. إنها تفضفض بحرية.

أُولاً، عثرت أُخيرًا على برنار وتحدثت معه. استقر في منطقة "لاند" حيث ورث منزل العائلة. في منطقة "هاجتماو". كانت تعرف أنه سيعود ذات يوم إلى قريته الأم. كان سعيدًا هناك، في سلام. كان يحب الأماكن النائية، الصمت العميق، رائحة الأرض، البطء. كانت قد عدَّلته إلى المدينة. كانت حضرية حتى أطراف أظافرها. تكره هذه الحياة، تتنفس بصعوبة. تجرى بين السيارات. الاضطراب. كانت تلف حول الحديقة العامة مثل سمكة في حوضها الزجاجي. لقد دارت مناقشة طويلة بينه وبين الشقيقين الأكبر سنًّا قبل اتخاذ قراره. كان يفكر في الرحيل وحده. بدأ ينبههما لهذا الاحتمال. لقد فهم الطفلين، لا يريدان أن يجدا نفسيهما هما وشأنهما. لقد توسلا إليه، تبعاه. كانا دائمًا يفعلان كل شيء معًا. يريدان أن يستمر هذا. أحبا أمهما، لكنها كانت غائبة عن حياتهما اليومية. لن تتمكن من العثور على عمل في الريف، ستكون غير سعيدة. لم يستطع بيرنار التحدث مع ليو. كان يركض على السلم. يشعر باقتراب الاختيار، يفر من المناقشة. لم يرغب ليو في النضوج. ثم ابتعد برنار بدوره على مدار الأشهر، لقد استسلم. كان يحب امرأة أخرى في الخفاء. يرغب في العيش. بدون التزام.

أخبرتني إليزابيث بكل هذا بسرعة وبفتور. مثل إملاء مقال صحفي، مخطط عام، حقائق، مجرد حقائق. لقد شعرتْ بالارتياح. حرة في أن تتنفس مرة أخرى. بالتأكيد، هذه الحرية المستعادة حولتها. التقت بشخص ما، إنها بشوشة. سوف أقابلها قريبًا. اسمها ياسمين. همست بكل هذا في نَفس.

هناك، انشقت الأرض تحت قدمي. لا أستطيع سوى التفكير في ذلك. لا أعرف ما إذا كان هذا صادمًا أم لا. إذا كان ليو سيكون سعيدًا أم لا. إليزابيث هي امرأة حرة في المظاهر التقليدية. يبدو أن لا شيء سيجعلها تتخلى عن هذه السعادة الجديدة. أنا أدرك تمامًا أن هذا الخبر مدوِّ. أتساءل كيف التصرف. لذلك بقيت كالعادة صامتة، مُتسَمِّرة. لُذتُ بجمجمتى، لعدم وجود درع.

لا تنتظر إليزابيث أي شيء مني. لا نصيحة أو رأي. فقط حب صغيرها، الأولوية. بعض الرعاية للطفل التي أوافق على القيام بها حتى الثمالة. بسعادة.

## اليوم 395

تعلم عمتي بأمر ياسمين. قدمت إليزابيث رفيقتها الجديدة، تفضل أن تفعل ذلك بكلماتها. كانت تعيش بالفعل جزئيًّا في الشقة. حتى لا تضيِّع الوقت عندما يكون هناك القليل من السعادة لاغتنامه، كانت قد اعترفت لها إليزابيث. تيريز مسرورة. أي قصة

نُسجت تحت سقفها كانت تجعلها مجنونة من السعادة. تبلغ ياسمين من العمر ثمانية وعشرين عامًا. شعر أسود كثيف يمس كليتيها. قوام متقن ومخنث. مظهر خجول ولكن حازم. إنها محامية. ذكاء مبهر. شغف حقيقي للعمل الجاد والطبخ. أطباقها الصغيرة بهجة خالصة. انتقلت إلى المبنى بكل سهولة. كلنا نشعر أننا عرفناها منذ الأزل. وصلت دون ضجيج. أتخيلها وهي تغادر في نفس الصمت. حرة. جادة، في الوقت المناسب.

الوحيدة كلودي التي أشارت لبعض الملاحظات الجنسية. لا تحب سوى الأولاد. جنسيًّا، أفهم. إنها في النهاية متحفظة للغاية، على الرغم من مظهرها الجموح، لتقرَّ بأن فتاة ذكية وحساسة يمكن أن تقع في غرام أخرى! ليس لدى رأى. لا أعرف شيئًا عن الحب.

### اليوم 398

مع نظارتي، أعيش من جديد. لم أعد أقع تقريبًا، والأهم من ذلك، أستطيع القراءة إلى ما لا نهاية. ما زلت مع حرف "أ" في المكتبة. ولمدة عام آخر، لا شك. لكن يا للسعادة! عند قراءة الأعمال الكاملة، اكتشفت الموضوعات المستحوذة على المؤلفين. لا يمكنهم إخفاؤها. هذا يشتبك مع كل عمل. نلمس بالأصبع معاناتهم، العصاب، المخاوف.

منذ نظارتي، أنظر إلى نفسي. هناك مرآة في حمام المتحف. أميز جذعي ووجهي. يديَّ، شعري. أعتاد نفسي. من الأفضل أن أدير ظهرى حتى لو كان ما ألمحه ليس ممتعًا دائمًا. أكتشف أيضًا الآخرين.

لا تزال "بلاندين دي بيلين" أجمل مما كنت أعتقد. ملامح مرسومة بفرشاة صينية. أجدها ألطف. تقريبًا طفلة.

صديقتى كلودي، أيضًا. بشرتها ناعمة للغاية، مثل بشرة مولود. شفتاها مقببتان. لم ألاحظ هذه الثنية اللذيذة على حافة فمها. إنها نادرة ولا تقاوَم في نفس الوقت. أفهم هذا الانجذاب القاتل للذكور. بشرتها مزينة بالمساحيق. مستديرة الثديين. شامة الحمال على صدرها، بالضبط عند فتحة القميص. ملاك. ملاكى. استقرت في شقة ستانيسلاس منذ رحيل السيدة والأطفال. يبدو أنهما في سن الخامسة عشر ويعيشان حبهما الأول، العاطفي والجسدى. يبدو متحررًا الآن، غريبًا. كما لو أنه حاول أن يكون أبًا جيدًا وزوجًا جيدًا. دون نجاح. تساءلت إذا لم يفعل كل شيء للهروب من وضعه. سجن بالنسبة له. إذا لم يكن قد وعم به. تحرر مهين ولكن واضح، بدون رجوع. لم ير أولاده ثانية منذ ذلك الحين. لا يرغب في ذلك. لا تريد كلودي ذلك أيضًا. التقت وحدتهما. الآن يتشاركان نفس السرير والدولاب. نفس أسطونات DVD. لم يتخليا عن حريتهما. هو، في أسفاره. هي، في غيابه، تحافظ على شقته عندما يغادر. إنها لا تحبه بما يكفى لتكتفى بروائحه، قالت لى. ليس اغترابًا، فسرت لى. ذلك يقتل الشباب. بقيت متأملة عندما عرضت نظرياتها. داعبت وجنتي بلطف. "أنا أعرف، يا كلو، أنك مختلفة وأنك لا تدينيني. أنا كذلك لا أستطيع أن أكون أي شخص".

تأتي دائمًا لتشاركني شاي الخوخ في المساء، وإن بقيت قليلاً. أحب الاستماع إليها. إنها "على قيد الحياة". ثم أقرأ حتى وقت متأخر من الليل. أفتقدها، لكنني سعيدة. أجدها وديعة. أعطتني الكثير. الأمل، الفرح، النسيان. وما يكفي من الحب ليوقظنى. لأسمح لنفسى بالمضى قدمًا بدونها.

### اليوم 401

بدأت ورشة الأربعاء. أربعة عشر من استمارات التسجيل. يأتي الآباء للتحدث معي، يحكون لي عن أولادهم. يبتسمون لي. حبوبين. يبدو أن بعضهم مرتاح بأن يسلمهم لي ويفر. وكأنهم يستردون أنفسهم. كما لو كانوا يتخلون عن ثقل، قيد. أمهات بعيون متعبة. بعض الآباء النادرين المتعجلين، في بعض الأحيان أخشى أن لا يعودوا. أفكر في الأمر، بما يشبه وميضًا يعبر ذهني. لكن لا يستقر آخرون ويتحدثون مع بعضهم بعضًا، لا يريدون الرحيل. يسعون للمعرفة، للفهم، للاحتواء. ثم يهرب الأطفال إلى الغرفة المقابلة، بلطف. لنقل إن الوقت قد حان لتركهم ينضجون. بدأنا بعد ظهر اليوم بقراءة. ثم، ابتكرت مباريات من الأحاجي وأنشطة عن الرسم والتلوين، والكولاج. نعمل كما في ورشة فنية. كما لو كان السيد يراقبنا. لقد بدأت مع "ماتيس". إنه مبهج، مفهوم، متوازن.

لا أريد وجوهًا مشوهة ومخيفة. أكتفي بذلك. الأطفال مندهشون. يبدو أنهم متأثرون بالأناقة، لكن بدون إدانة التشوه. "حسنًا، إنها سمينة وهكذا..."، يبدو أنهم يقولون بأعينهم الواسعة. لقد تحكموا بالفعل في خلافاتهم من خلال ارتباطهم بالفن المعاصر، بدلاً من التنافس في حمام السباحة أو كرة القدم. الباقي لا يعوَّل عليه. من ناحية أخرى يجب أن يتمتعوا بالمرح. إنهم مفعمون بالحيوية، مشبعون بالرشاقة. أتابع الأنشطة، بسرعة. إنهم يحبون الاستماع إلى الموسيقي والقصص والعبث بالأشياء... حتى إنني نقلت جهاز كمبيوتر كلودي في انتظار جهازي. وبالتالي، فإنهم يتصفحون مواقع الفنانين. بعضهم مرح للغاية. وآخرون طنانون ومملون. ينجزون. أحيانًا يكون لدي انطباع بأن لدي أجهزة روبوتات ضوئية أمامي. يضحكون بهدوء فيما ينظرون إلى الأرداف. يتحركون على مقاعدهم أمام النساء العاريات. إنهم لا يحبون الصور القديمة والجامدة. يستوحون من خيال "دوانييه روسو". يفسدون الألوان.

كنا نركز على اكتشافاتنا عندما دخل الرئيسُ المكتبة. جاء ليجلس متربعًا إلى جانبي. "كار برونسكي"، يرتدي بدلة كحلي ماركة "بول سميث" من القطن الناعم، قميص أبيض ناصع، منشى. زر مفتوح. بشرة أبنوسية، ناعمة كالرخام. جوارب سوداء من غزل "إسكتلندي" وأخفاف تلمع مثل المرايا. "كار. ب.." وإحدى يديه الطويلتين موضوعة على كتفي، والأخرى تستريح تمامًا على رأس طفل ويقول: "استمري، يا عزيزتي، لا تغيري شيئًا من أجلي". مجرد قصبة الأصبع تلمس بشرتى. أصبع مقوس ووردى. درجة حرارة فوق

الطبيعية. وأنا مشلولة بدون تنفس أو ربق. مبتة تقربيًا. ولا حتى قوة لتحيته. هذا الكف المتحمس يثقل على كم بدلتي الصينية الزرقاء. عطره نجيل الهند. طريقته في تشبثه بيدي ودحرجة الكتاب إليه لمواصلة هذه القصة بدلاً مني. وقت استعادة أنفاسي. قلبي يبطئ. خفقات ناقصة، مذعورة. صوته جذاب، عميق، رنان تحت الأقبية بيضاء الأحجار. ساقاه الرشيقتان متربعتان، وموضوعتان على سحادة بأطراف جلدية مزينة. لا تلبق به. يحكى. لم بعد في النص، لقد انطلق. يتابعه الأطفال، مشرقو العبون. مثل إقلاع الطبور. كحارس، ألهث أمام هذه الحكاية الغربية. ثم أفقد السيطرة. لا أستطيع النهوض بسهولة. حتى من مربعي الصغير. يمكن أن أتمايل وأسقط. لذلك، أبقي هناك. في انتظار توقف هذه القصة. ثم توقف كل شيء فجأة. خمسة أشخاص، كاميرات في اليد، دخلوا الغرفة يسبقهم "بلاندين دي بلين". فستان حسى. حريري كريمي راقص على كاحليها الرقيقين والشفافين. حذاءين مدوخين. ملمع أظافر أحمر دموى. شفاه متجانسة، بل قرمزية. نظرة زائغة تجتام المشهد. غرامية، ذاهلة. استداروا حولنا. تابع "كار" قراءته، المتزنة. ابتسامة خفيفة خفية، تُصَرِّح بانفعاله. إنها قناة LaCinqArte، تقوم بعمل "ثقافة تربوية" خاصة، تعميم التعليم، تعلم موضوعات جديدة خارج سياق المدرسة، مجانية المتاحف... إلخ. همست له. داعبت خده، على ما أعتقد. شممت رائحة مسحوق الوجه الوردي. في وقت آخر. استقروا بصخب بكل معداتهم. الكراسي، الكاميرات، الإضاءة، كابلات التيار. كان الأطفال مثل الطيور، مثارين. كانوا يصرخون، أرادوا أن يعلنوا رأيهم. تبخرت القصة. أصبحت المكتبة قفص طيور. حينئذ،

ناقشوا الأطفال، المبتهجين بجنون. سعداء لهذه الدرجة بظهورهم على شاشة التليفزيون. فخورون بالفعل. ثم تحدث الرئيس والمدير بالتناوب، بهذه السهولة التي يعتقدان في قدرتهما على تكرارها. تحدث عن السياسة، وهي عن الثقافة. قال إنه بفضلها. هي، ما حدث بفضله. لقد تحدثا بحماسة عن هذا البرنامج التعليمي الجديد، مسلطين الضوء على الرغبة الهائلة في مشاركة الجماهير المحرومة اجتماعيًّا، في مزجها. تحدثا عن التنوع وكلمات أخرى هربت مني. "الباب المفتوح"، كررت مؤكدة (ب. دو. ب).

اختبأت بين الأرفف. كنت أعرف أن لديهما ما يكفي من الإجابات. إنه الرئيس الذي أصرَّ على ذلك. وأكد من خلال رفع صوته أنني كنت المحرِّض على هذا المشروع. وجدت نفسي مع ميكروفون أسفل أنفي، ملتصقًا بذقني. "اسمك ولقبك، لو سمحتِ، آنستي"، سألت الصحفية بصراحة. اسمي، كنت أعرفه. لقبي؟ ليس لدي. بائعة. بائعة الكتب، لا أستطيع زعم ذلك. مشرفة المسابقات. ليس لدي الشهادات. عصامية، إنها موهبتي الوحيدة. لا التي يمكنني المطالبة بها وتأكيدها. لكنها ليست وظيفة. لا بطاقة توصيف. أنا لست شيئًا عظيمًا في هذا المحيط المهني ذي الألقاب المتألقة. أنا أعرف فقط أين هو الخير وما يتطلبه الأمر طريق التقليب في الكتب الفنية. من خلال الغوص في حياة طريق التقليب في الكتب الفنية. من خلال الغوص في حياة التخرين. من هؤلاء الرسامين والنحاتين. نابضة بالحياة. حية. أمسكت مشاكلهم، معاناتهم. أسمع أصواتهم. هذا ما أريد. أن يسمع مشاكلهم، معاناتهم. أسمع أصواتهم. هذا ما أريد. أن يسمع

الأطفال اللوحة بدورهم. احتكاك الفرشاة والوعي الذي يرسم الخط. الكولاج. التمزق. القطيعة. التعجب. الجرح. الهشاشة. الضجر. السبات. الدموع والقهقهة. الإلهام. الجاذبية. الجنون. الفن يقول كل ذلك. لا تهم الأسماء، والقرون، والألقاب، والمعارض، والقومسير، والقيّمين. الأمر يتعلق حول وضع الألوان على المشاعر ومن ثم سيكون العالم على ما يرام.

هذا بالضبط ما أوضحته لهذه المرأة الشابة المتعجلة، ذات الشعر الشقر وعصابة الرأس المضحكة لكبح جماحه. صمتت بعد ذلك. لقد سحبت الميكروفون تمامًا وكأنها تفصلني. أوقفني ذلك بوضوح. تساءلتُ عما قد أخبرتها به حقًّا. إذا كانت كلماتي متماسكة. لو كان هذا حقًّا ما ينبغي أن أقوله. لو لم أكن قد ذهبت بعيدًا جدًّا. لو لم أكن خِفتُ من ذلك. بحت متحجرة. أعلم أنني أستطيع أن أخيف. لا أتحدث كثيرًا بشكل عام ولدي الكثير من الصعوبات لشق طريق عاطفتي. كانت مثل الطوفان، كل هذه الكلمات. ما كنت قد احتفظت به بداخلي لأيام، عندما كنت أنظف الأرضيات، وأنا أكتب ملفي على جهاز كمبيوتر كلودي الأنيق ليالي كاملة كي أظهر براجماتية وواضحة. وهناك، ذهب كل شيء. أحلامي، ماضيَّ، ذكرياتي عندما كنت أمرر بسرعة صفحات كتب الفن الناعمة. أفقت ببطء، أصابعي ممسكة برف معدني. لأستعيد الفضاء. ألمس الأرض. رأيتهما جنبًا إلى جنب. يستندان على بعضهما بعضًا. مثل الوالدين. يحدقني الرئيس

لم يحادثاني. اندفعا بعيدًا.

استؤنفت الحياة مثل فيلم بعد حركة بطيئة. جاء الكبار لأخذ أطفالهم، المنفعلين. يحكون قصص التصوير وأبطال الفيلم. سوف نراهم على شاشة التليفزيون. يجب أن يخبروا الأصدقاء بذلك، العائلة. طرحوا عليَّ بعض الأسئلة عن صغارهم. سألوني عن رأيي. بالنسبة لي. لقد اجتزت ما يقرب من ثلاثين عامًا بأقصى درجات الشفافية. على الرغم من هذه الهيئة المسترجلة. فجأة كان الناس يسألونني ويهتمون بإجاباتي. حفَّزني ذلك، هدأني. منحني سعادة ونوستالجيا في نفس الوقت. كما لو أن هذه الوحدة التي سُجلت في جسدي ذكَّرتني بالأمر. كان هذا الحزن وافرًا بداخلي. ينبغي عليَّ أن أتخلص منه. أن أنسى هذه الفترة. هذا الاعتقاد الذي ما زال عهدني. هذه القناعة العميقة التي وفقًا لها لن أرتقي أبدًا.

رحلوا جميعًا. الغرفة كانت مدمَّرة، كما بعد إعصار. أنا أحب ترتيب هذه الفوضى. إنها بهجة الفوضى.

# اليوم 413

هذا الصباح، وجدت أربع علب مربعة على مكتبي، شفافة. بطاقات صغيرة بالداخل، بطاقات زيارة مزينة بشعار CAPC الجميل الذي طُبع عليه:

> "كلوتيلد داكوين دارساك مسؤول الترويج والرسوم المتحركة "clodarsac@gmail.com

لديَّ اسم ولقب وعنوان. كنت شخصية ووظيفة في وقت واحد. كنت شخصًا ما أيضًا. لقد تأثرت، منفعلة أكثر مني فخورة. اندهشت بدرجة كبيرة لأن حياتي تُبنى. تصبح مفيدة، منتجة. عندي مكان. أنني لم أعد مجرد حادث يُرثى له بالنسبة للآخرين. لقد تم اختياري، أخيرًا. وبواسطة أفضل الأشخاص. لقد رأوا فيَّ أملاً، أهمية. كنت سعيدة على عكس عاداتي الانعزالية في العرين الأدبي، هرعت كي أذهب لأشكر مديرتي. أعتقد أنه ينبغي القيام بذلك في مثل هذه الظروف. كان اعترافًا، كان عليَّ أن أؤكد ذلك. تمكنت من صعود السلم دون ضجيج. بدأت أعرف كيف أتحرك بسلاسة. ليس ضد الأجسام. أتقنت حركاتي بشكل أفضل ويمكن أن أمر دون أن ألحظ على الرغم من حجمي. رأيت قدميَّ مؤخرًا، مما ساعدني في تنقلاتي. بما أنني كنت أمارس بانتظام تمارين بدنية، توقفت عن الاختناق مثل كلب يلهث. أحيانًا أصعد السلم دون أن يضيق قلبي بشكل مؤلم. لم يسمعوني، عرفت على الفور الذين يضيق قلبي بشكل مؤلم. لم يسمعوني، عرفت على الفور الذين كانوا يتحدثون عنى.

"ألا تعتقد أنك تُعلى من شأنها بعض الشيء، أليس كذلك؟ بالتأكيد، لديها مميزات، ولهذا السبب قمت بتوظيفها. ولكن بيني وبينك، لا جدوى من مديح الكريه!"

همست المديرة.

ساد صمت طويل ثم تحدث الرئيس مرة أخرى.

أتذكر كل واحد بكلماته. إنها محفورة بداخلي مثل هذه الصور الجميلة لكتب الفن. "روت لي جدتي قصة، طفلاً، عند ذهابي

للنوم. لقد أخبرتني عن قرية في إفريقيا مرض فيها المعالج "مابالا". وهو ما لم يحدث قط، وغادر أهل القرية عاجزين تمامًا. حينما مات "مابالا"، بدأوا الاقتتال. لأمور تافهة. سمكة ليست كبيرة بما فيه الكفاية، مطر استمر لفترة طويلة جدًّا، جد كان في حالة سكر أكثر من اللازم. أصبحت جميع تفاصيل الحياة اليومية مصدرًا للنزاع في العائلات، وبين الجيران، حتى بين الأطفال، الذين كانوا في السابق على مسافة من مماحكات الآباء. انتقلت حياة المجتمع إلى المناطق المحيطة به، وأصبح جميع المسافرين العظماء الآن ينعطفون لتجنب الصراخ، الجرار التي حطمت الأشجار، والكلاب لناهشة. كانت القرية مشتعلة، والعنف يكتسب أرضًا كل يوم. عندما جاء عجوز ليمر بالقرية يحمل أخبارًا عن المدينة. القرويون، الغريبون، جعلوا مكانه حول النار. تذكر العاصمة والصراعات التي ولدت بين مجموعتين عرقيتين، على جانبي النهر. لقد تجاهل طواعية ذِكر الخلاف الذي ساد في هذه القرية منذ مرض المعالج.

قال الحكيم العجوز: "لحسن الحظ، لقد أنقَذَنا درع السلحفاة. بدونه، ربما كان تمزَّق شعبنا حتى آخر واحد منا".

"درع السلحفاة؟" هتف القرويون. في شكل كورس. "لكن ما هذا؟" قال الحكيم العجوز: "إنه مغارة".

"طيب! تتحدث. تستمع إلى الشكاوى وتقترح مخرجًا. يكفي أن تقضي ليلة هناك وتعلن عن الكرب بصوت عالٍ وصباح اليوم التالي، عند الاستيقاظ، تجد تمائم تقدم الحل لجميع المصائب".

<sup>&</sup>quot;مغارة؟ وماذا بعد؟"

"آه! آه!" اندهش القرويون، "ولكن ماذا فعلت على وجه الخصوص، هذه المغارة؟"

"لا قصة لها".

"كيف هذا، لا توجد قصة؟"

"إنها ناعمة جدًّا ونقية جدًّا من الداخل لدرجة أن تلك الشرور والنقائص لا يمكن أن تعلق بجدرانها. خشنة ومنفِّرة من الخارج، ولطيفة ورقيقة مثل الحجر الأملس، من الداخل. لم يعد يمر شيء من المصائب السابقة. ظهرت هذه المغارة خلال الإعصار الأخير، ومنذ ذلك الحين، القرية كلها في سلام".

"ولكن من الذي يقبع هناك؟"

"البعض يقول إنها كاهنة عجوز تقبع هناك منذ أن قام الزمن بعمله على وجهها، وأن حكمتها تعرف كيف ترضي أقرانها. يعتقد البعض. أن الأمر، في الواقع، يتعلق بجميع نساء القبيلة. تقبعن بالتناوب. وبما أن كلاً منهن تأذن للتالية بمعرفة أسرارها، فهن مرتبطات إلى الأبد. منذ ذلك الحين، يسود السلام والإحسان في أكواخنا".

وهكذا أنهى قصته. ثم أضافت المديرة: "حسنًا! أيها الراوي العزيز جدًّا، ما الرسالة التي تود أن تمررها لي؟ أهناك الكثير من الطهارة في درع السلحفاة هذا لدرجة أن هذه فرصة لأولئك الذين يقتربون منه؟ الباقي لا يعول عليه؟"

عند هذه الجملة الأخبرة كنت قد غادرت. بعد ذلك، كنت أعرف أنه سيكون هناك شيء حول الإغواء مثل "يا مرآة، مرآتي الرائعة..." ولم أكن أود سماع ذلك. كنت قد تلقيت للتو أول محاملة في حياتى. من المؤكد، أن جسمى يقدم غطاءً مخيبًا للآمال، لكن هذا الرجل النادر قرأ بداخلي عمقًا مشرقًا. كنت، في رأيه، على عكس معظم الناس. خشنة من الخارج وجذابة من الداخل. قادرة على التوفيق بين الكائنات وخلق الانسجام من حولي. هذا ما أدهشني. لقد أطلقت العنان لكثير من الكراهية خلال طفولتي! كثيرًا ما كنت أسأل نفسي عن هذا الشر، هذه القسوة! اعتقدت أنه يجب أن يكون قد نبع منى. مما يخرج من جسدى. وهذه الرائحة التي تنضح أحيانًا من بشرتي يجب أن تكون ثمرة أفكاري العميقة. هاويات شكُّلها الظلام وخيبة الأمل التي تسكنني. كل هذه العلامات جعلتني أعتقد أنني لا أساوي شيئًا. وفي النهاية، كان هذا القبح الرهبب ليس سوى انعكاس لروحي المظلمة. هذا الرحل الحكيم قال للتو عكس ذلك. قدُّم لي المفتاح. عالم جديد كان يفتح لي. بدأت أبكس. بكيت ثلاثين عامًا من المخاوف والشكوك. من المشاعر المضطربة. من يقين أن نورًا يشرق بداخلي، ولكن لا أحد يراه على الإطلاق. أننى لن أملك القوة لتأكيد ذلك، لأصرخ به. كنت أفتقد من أجل ذلك النظرة الخيرة لآخَر يساعدني في الوقوف ويقبلني في النهاية. دموع الطفولة، وفيرة وصاخبة. لكن ليس أبعد من البوابة الحديدية لمدرسة ليو. لأننى عرضت على نفسى ترف الذهاب للبحث عنه. منذ أيام كنت قد تأخرت في المكتبة. انتهى بي الحال إلى الخروج بعد مغادرة الفصول. حتى إنه سألني إن كنت أعمل حتى الآن، وإنني أعود في وقت متأخر مثل والدته. شعرت بالذنب. لا تستسلمي لذلك. مرة أخرى. كنت قد ذهبت. تاركة الفوضى لليوم التالى.

على حافة البوابة الرئيسة، وقفت إلى الوراء قليلاً لعدم مضايقة الناس. ولا ليو، بالتأكيد. وفي المقدمة، تصل الأمهات الجميلات بانتظام عشر دقائق مبكرًا للقاء صديقاتهن اللاتي يثرثرن معهن طويلاً. حتى يقوم الأطفال بسحبهن من الكم للذهاب إلى الحديقة أو لتناول الشاي مع أصدقائهم. كما هو الحال في الحياة، أمام المدارس، هناك نظام محترم. وأولئك اللاتي تأتين من وقت لآخر تعرفن ذلك جيدًا. إن المخلصات هن أول من يكنَّ عند البوابة، واللاتي يحيين المعلمين. إنهن من ينشطن الحفل الخيري والنزهات المدرسية. "لا تملك الأخريات الوقت"، كما يقلن بسخرية، في بعض الأحيان يظهر الآباء. تجدهم رائعين، تتحدث معهم في دائرة مبهجة. هناك صداقات مذهلة جلبها الفخر المشترك حول الأطفال. وراء الأمهات الملتزمات والآباء العابرين، الطاقم المختلف والمتنوع من المربيات، ومدبرات المنازل، والخادمات والجليسات ينتظر في بعرفها الحميع دون أن بحددوها أبدًا.

لست أمَّا. دائمًا أبقى بعيدًا عن هذا التجمع الصغير لأنني أعرف أن الناس يجدونني غريبة. لا يجرؤون على تحيتي، ناهيك عمَّن هن بجواري. أنا لا أريد هذه النظرة على ليو. مثل كل الأطفال الذين نادرًا ما ينتظرهم أحد أمام البوابات، خرج ببطء شديد، يجر قدميه. حسنًا بعد الآخرين. يجر حقيبته الضخمة بتثاقل. يتغير وجهه لرؤيتي، ابتسامة مشرقة مع مساحة رقيقة بين الأسنان لتمرير السعادة. احتضنني بقوة ولفترة طويلة يمسك بساقي ويلف ذراعيه حولي، مثل قرد صغير. وكرر "عظيم، لقد جئت ِ". عيون مغلقة، وكأنه يستطعم على نحو أفضل. ذهبنا إلى الحديقة لتناول الشاي. جلست وقفز إلى الملعب، هذا ما يحبه. الشعور بأنني هنا، وأنني أنظر إليه، ويظهر لي كل شيء يستطيع عمله. رجل حقيقي.

### اليوم 460

استُدعيت إلى دار البلدية. أنا خائفة. إنه كما عندما ينظر لنا رجل شرطة. نقوم بمسح عقلي لكل ما فعلناه متسائلين عن مكان الخطأ. نشعر بالذنب. ثم نهدأ، نثير السخرية. أعرف. "إنه اجتماع عمل بسيط"، أرادت أن تطمئني مساعدة المديرة. مفترق طرق. لم أتحدث أبدًا علانية. لم يسبق لي أن جلست مع الناس حول الطاولة. لم اعتبر أبدًا ندًّا للآخرين. لم يُطلب مني رأيي أبدًا وليس عندي ما أقوله. لذا، في الليلة الماضية، ذهبت لرؤية مدربيَّ! كنت مشلولة.

أرادت عمتي أولاً معرفة من كان يستدعيني. المسؤول المنتخب في الثقافة. لماذا ليس رؤسائي؟ لأنهم ليس لديهم الوقت، وأكدوا لي أن هذا هو مجال مسؤولة الترويج والرسوم المتحركة. لأن نعم، يا عمتي، لم أعد خادمة أو كاشيرة في مكتبتي. الآن، لديَّ لقب وجدته غريبًا، لكن لا يزال له تأثير. لا أعتقد أن أي

شخص يعرف حقًّا ما يمثله، لكنه يثير الإعجاب. وهنأتني باقتناع. مما يعنى أنها كانت فخورة بى بشكل خاص.

"ما الغرض من هذا الاجتماع؟" سألتني. "الوساطة الثقافية فيما يخص جمهور الشباب"، حددت لها.

"يا للهراء! دائمًا ملتوون للغاية، هؤلاء المثقفون!" إنها عبارة كلودي. ألاحظ عباراتها، لأننى لا أريد نسيانها. تبدو إنها لـ"بانيول"! للـ تستطيع كبح نفسها. بمجرد أن نتحدث عن الثقافة، تصر أسنانها غضبًا. إنها أبعد ما تكون عن الحماقة ولا تكره الفنانين أيضًا، لكن الأمر أقوى منها. لا أعرف ما إذا كان عالم والديها الراقص الذي أرعبها أو بعض الوقائع المحرجة التي ورطها فيها محبوها القدامي. ربما خليط من الاثنين، مما جعلها تعتقد أنه عالم قاسٍ، وغير مرغوب فيه، وسطحى تمامًا! أخبرتنى أنهم كل هذه الزخارف الذهبية والرسومات التى تحيط بأشياء بسيطة. هذا الحماس "الفني"، هذه الأماكن المخيفة التي نشعر فيها بالرفض، بالإدانة، بالتصنيف. الفظاظة. "الفتيات المشوشات اللاتي يعتقدن أنهن تجسيد للموناليزا بمناظر عفنة وسحنة عكرة، الرجال الذين يسمعون أنفسهم يتحدثون أمام الكثير من الناس الذين يتظاهرون بأنهم يفهمون شيئًا ما. العينات التي، عندما تنظر إليها، لا تستطيع أن تأكل، تنام، وتتبرز، مثل أي شخص آخر.. ليس ممكنًا.. وأكثر من ذلك بكثير.. الحقائق الوجودية البائسة لحبواتنا النتنة. إنها مثل الله. أحب الصلاة، ولكن أكره كل النساء البلهاوات اللاتى يخبطنك بحقيبة يد ليدخلن من على طرف مقعد الكنيسة ثم يتصنَّعن لـ"مريم" بالجثوِّ على ركبهن البالية. لا عجب أنهن

لا ينتبهن بعد ذلك. حتى التقطت منهن واحدة تسرق ورقة نقدية أثناء جمع التبرعات ووضعتها بهدوء في الجيب.. لا، لكنني أقسم لك.. وبعد ذلك ألقت علي فلرات كما لو كنت "مريم المجدلية" وأنني سرقت الهواء الذي كانت تتنفس. عجوز شمطاء، مفعمة بالخبث والتزمتات اللاهوتية. البشعات. الشيء نفسه بالنسبة للأشخاص المتعلمين. الذين يأتون لتعبئة رأسك بـ"معنى" هذه اللوحة فيما أرى تمامًا أنها علكة مضغت وألصقت على قماش قذر! وبعد ذلك، فلتشرح لي لماذا، في البيت، على شاشة التليفزيون، الرجل فلتشرح لي لماذا، في البيت، على شاشة التليفزيون، الرجل الرياضي لطيف جدًّا وهادئ، وموزَّة السينما الوباء الحقيقي التي تؤيد الأفلام غير المفهومة، وتنتقد تلك التي تُضحك وتُبكي. ومتأكدة، عندما تتحدث عن مهرجان "كان"، أنها هي من سيحصل على جائزة "سيزار".

نظرت لها بأعين مغرمة بعد تلك الخطبة. وأعلم أن ذلك يعيدها إلى الأرض ومن ثم فهى ناصحة جيدة لأنها مدركة أننى يائسة.

"حسنًا، يا كتكوتة، سأرافقك إلى اجتماعك في دار البلدية. لكن فلنكن واضحتين، لن أضع قدميَّ في ساحة ملك فرنسا. أنزلك من الترام وتذهبين". وأنهت كلامها.

أرادت بالفعل اختيار ملابسي معي. سروال أسود، قميص أسود للركبة وسترة كتان سوداء كبيرة. حذاء باليه أسود. مجوهرات فضية بسيطة ورائعة.

مع "حجر الزاوية"، التعبير الذي تعشقه، قدمت لي خاتمًا معدنيًّا مربعًا كبيرًا حدًّا، مدعية أنه هكذا سأبدو مثل صاحبة "حالبري"! كانت "مزيفة"، أخبرتني، لكن من المستحيل اكتشاف ذلك. كانت أَنضًا "أَفضل" من برى نظرة اشتهاء الناس لشيء مزيف. إنها تغذي هذه الموهبة الثمينة بإيجاد الشيء النادر في أبسط الأشياء والعثور عن لؤلؤة راقبة في محلات سبئة ملبئة ــ"صُنع بعبدًا". هکذا هی کلودی. غریزیًّا، إنها تعرف. تخاف کل موقف. تحب الاستفزاز، لأنه ينعش حياتها، لكنها تعرف بالضبط ما ينتظره الآخرون، ما يطمئنهم. أمر بديهي. حرباء حقيقية. إنها تتكيف عندما تريد، كما تريد. تكره الأعراف. تتغذى على أخطاء المدُّعين وتغفر دائمًا للصغار. أوضحت لي. كيف أضع يدي. أجلس في وسط الغرفة إذا ما تم تنصبب منصة، ليس في المقدمة أبدًا أو في الخلف، قريبة بما يكفي من الطريق للمغادرة في حالة.. لا أُحشُر قدميٌّ في الكراسي. هي تعرفني. لا أتكلم إلا عندما يتحدثون واحدًا تلو الآخر، لا أنتقد، أوضح عندما أعبر عن رأيس. أفكر في الضوء كي يشع من حولى. أركِّز على كلماتي، لا أكررني، والجمل قصيرة. تتحدث ككتاب عن كل هذه النصائم، وتوقفت بشكل مفاجئ عن مضغ العلكة، وعن أخطاء الفرنسية والنميمة مثل طفل باريسي ماكر. كانت تعرف كل شيء عن التمثيلية الصامتة للسلطة. أما بالنسبة إلى الجوهر والحجج التي يجب عرضها، فإنها مشكلتي، كررت. وأضافت عمتي أننى سأكون بخير، وأننى بارعة، وأنها كانت واثقة.

كنت أفتقد توصيات الثنائي "S". جارتيَّ سارة وصوفي اللتان لم أعد أراهما كثيرًا بسبب عدم الامتثال إلى دروس التربية البدنية الإجبارية. يجب أن أعترف أنهما كانتا رائعتين جدًّا، لأنه كان يلزمهما الكثير من الطاقة لتحريكي. لقد كرهتهما حتى اليوم الذي أدركت فيه أنهما أنقذتا حياتي بالفعل! منذ ركوب الدراجة، توقفتا عن الإشراف عليَّ. لا تزال صوفي تحدق فيَّ بنظرتها الحادة. يبدو أنها راضية عن تطوري. إنها ترحب بي دائمًا بهيئة المحقق، وتقول بلهجة جافة: 45؟ تمكنت في النهاية من الرد عليها: "50، 52". تبتسم وتضيف: "لا يزال هناك عمل. لا ينبغي التراخي". في الآونة الأخيرة، لديَّ شعور غريب بأنها من يتراخى! منذ أن ترك زوجها المنزل، يبدو أنها تبنت أسلوب السير داخل الجدران. تتسكع في المبنى ركضًا طوال اليوم وفق كلام عمتي، نفس معذبة. لا أعتقد أنها كانت تحب ذلك كثيرًا.

أما سارة فكانت تتبعها في كل مكان بنظرة جريحة وحزينة. قد يعتقد المرء أنها فقدت أيضًا الحبيب، وهذا ليس هو الحال لأن حبيبها لا يزال هناك. ومع ذلك، فهي لم تعد تذكر انتقاله من المنزل. هي مثل تمثال. غير قادرة على استئناف حياتها، مشلولة من قصة صحيقتها. سألت عمتي. إنها لا تعرف أي شيء، وهذه هي المرة الأولى حقًّا! يذكرني الثنائي "S" بأنه ينبغي عليَّ الوقوف بشكل مستقيم، والتنفس قبل التحدث، وأقبض معدتي بعد القيام ببعض تمارين التنفس الهادئة.

أنا مستعدة لهذا الدجتماع. حتى لو كنت أرتجف لهذه الفكرة.

كل شيء سار بشكل جيد. كانت كلودي تنتظرني على باب متحف الفن المعاصر. ملتصقة بالحائط. ساق في الزاوية اليمنى مثل طائر "البشاورش" الوردي، يركل حذاؤها الحصى. ركبنا الترام، كنت مرتبكة. لم أغير أبدًا المنطقة. وكان هذا الترام يشبه لعبة تقعقع وتتلوَّى. كان يسير ببطء ويعرض لمنظر ضخم على ضفاف النهر، ثم يسير في الشوارع الضيقة بكل سهولة. لقد أجلستني. كنت غير مستقرة إلى حدٍّ ما. إنه أمر تقليدي بالنسبة لي، صحيح؟ أعيش بصعوبة على قدميَّ عندما تكون الأرض صلبة. عند الحركة، كل شيء معقد كما لو أن توربينًا داخليًّا كان يحرك الدماء بداخلي. أمسكت كلودي كتفي بثبات كي أبقى راسخة على مقعدي. كانت تربِّت على ظهري من وقت لآخر كي تهدئني. لم أكن لأستطيع ألقيام بهذه الرحلة وحدي. شعرت وكانني طفل ضائع مرة أخرى. أيضتُ من هذا الاجتماع الذي خفته، الذي جمَّد دمي. غادرتني، كما وعدت، في ميدان "بي - بيرلان" عند الخروج من الترام. شعرت بأنها قلقة النظرة.

ضابط شرطة أمام بوابات دار البلدية. اعترض طريقي، بدوت مترددة. الناس لا تحب ذلك. الفناء مرصوف ببلاطات منفصلة. فكرت في كلودي، التي تدعوه بلاط الملك، وعربات خيل الماضي. في الملكة "ألينور أكيتين". كانت مخيلتي تعمل. كنت خائفة. القاعة داكنة، مثيرة للشغف. ثقل التاريخ. وصلنا في نفس الوقت، في الميعاد. رحبوا ببعضهم بعضًا. كثيرون يعرفون بعضهم. لم ينظر

إِلَىَّ أَحِدٍ. لِم أَكِن أَحِدًا. كانت الطاولة على شكل حرف U. جلست على الحانب حتى لا أكون بارزة حدًّا. دخل المسؤول المنتخب. صمت وانضباط. مداخلة طويلة من نائب العمدة. تحدث عن سبب وطبيعة هذا الاجتماع. وتحدث عن الديمقراطية، والاهتمام بالشباب، والحاجة إلى أخذ أوروبا في الحسبان، وترابط البني الثقافية، والتنوع الحنساني، والتجديد الحضري، والتعليم، والحاجة إلى العيش بشكل مختلف، والانفتاح على الشعبية بدون الشعوبية... كلمات نقرأها كثيرًا في الصحافة. في البداية، كنت منتبهة، بالأحرى حاولت بإصرار ثم شردت. لست معتادة على كل هذه الخطب. إنها مملة جدًّا، أو لم أكن على المستوى. هذا صحيح، تساءلت لماذا كنت هناك. خدعة، خطأ في الدعوة، عدم تركيز. أواجه مشكلة مع كل هذه الكلمات العلمية. ثم هذا المكان عتبق الطراز: زخارف الجدران القديمة، التذهيبات الباهتة، المفروشات المبشورة، وهذا المزيج الغربب مع الأعمال الفنية المعاصرة. مسطحات كبيرة من الألوان الأساسية التي تأتي لتجعل الماضي يهتز. دون أن أدرك ذلك، تابعت السقف بعيني، وتهتُّ في جدائل الثريا الضخمة في وسط الغرفة. تخيلت تنظيف كل حبة كريستال بقطعة قماش مبللة.

كنتُ هناك مع أفكاري حتى شعرت أن الإيقاع تغير. ثم أطفئ نور الغرفة وعُرضت شاشة كبيرة. لم أستمع إلى شيء من خطبة خطيبنا، وتعرفت فجأة على صور مكتبتي. كان فيلم "الفن الخامس"، كما تنطقه "بلاندين دي بلين"، وهي تشبك المقاطع كما لو كانت كلمة واحدة فقط. وجدت كتبى وأرففى وأولادى. كانوا

أكثر حركة عما في ذاكرتي. ثم كانت هناك المقابلات التي انتهت إلى مناجاة للنفس! في البداية، لم أتعرف على نفسي. أنا، التي لم تنظر في المرآة، كان من الأسوأ أن يجدوني على التليفزيون! كان صدى الكلام بداخلي دون أن يكون كلامي أيضًا. حدقت في هذه الغريبة. نيكي الضخمة. لا أعرف ما الذي نحس به عند الاستيلاء علينا هكذا. كليًّا، طريقة الحركة. صوتنا أيضًا، لأنه يهتز بداخلنا. هذا الشعور الغريب والمألوف. فهمت أنه أنا. فارق رهيب بين تصوري وهذا الاكتشاف. كنت أرغب في إنقاذ نفسي. وجدت نفسي مشوهة ومع ذلك كنت منوَّمة مغناطيسيًّا من خلال خطاب هذه السيدة الضخمة. غريبتي. أعجبني ما كانت تقوله. ركزت على الكلمات لنسيان صورتي هذه، هذه المجهولة. لعدم العودة لرؤية الكلمات لنسيان صورتي هذه، هذه المجهولة. لعدم العودة لرؤية الكلمات النسيان طرتي هذه، هذه المجهولة الجامح، هذه النظرة الزائغة التي تشبه نظرة حيوان مطارّد، هذه الحركات الخرقاء لجسدي الغارق في الملابس.

وصلنا إلى طاقم الفيلم والنور بسرعة كبيرة. لقد أبهرني هذا البريق المفاجئ والناس الذين كانوا يحدقونني بابتسامة خفيفة بينما يصفقون لي. تحجرت وشعرت بحرارة رهيبة تجتاح وجهي ورقبتي. كنت أرتجف من فكرة الاضطرار إلى الكلام. كان الشخص المنتخب الذي تولَّى الأمر، مما أعطاني الوقت لاستعادة تنفسي والإيقاع الطبيعي لقلبي. انتهى الأمر بالسماح لفمي بمد ابتسامة خجولة. استدار الناس بعيونهم. وأخيرًا! كان البعض يهمس. آخرون رمقونى بنظرات مشدوهة، ودودة إلى حد ما. ظل رجل يحدق في

وجهي، مقطب الحاجبين. في الأربعين من عمره، يبدو أن نظرته الملحة تريد خرق سر. ليس لدي أي شيء، لذلك شعرت بعدم الارتياح الشديد لتفحصي بهذه الطريقة. قضيت حياتي من أجل ألا يُنظر إليَّ، فجأة يتآمر كل شيء ليجعلني أظهر على الملأ. لقد أحهشني هذا الربط بين العناصر المضيئة. لماذا هذا العرض المفاجئ؟ لماذا هذه النظرة من الناس إلى حياتي، هذا الدهتمام بأعمالي؟ هل أستحق ذلك؟ تذكرت يأسي في مترو باريس "حيث" هاجمتني عصابة من بلطجية الضواحي. كنت آمل أكثر من أي شيء أن أختفي وأن تستطيع السماء أن تسمعني. فلتأت ساعة الفداء، من الأفضل على الأرض. شعرت وكأنني أسير على سلك. أنا حيث يبدو كل شيء في حالة من عدم التوازن، كنت أعبر في هذه اللحظة مجموعة من المظاهر والأحداث المناسبة. يبدو أن الزمن المعلق هدأ كما لو كان يسمح لضوء الشمس بالمرور. هل كنت أمين الإعصار؟

انتظر الرجل الذي كان يحدق في وجهي حتى خلت الغرفة، وحتى جاء المسؤول المنتخب ليهنئني. لا أعرف كيف أرد على التهاني. ذلك يجعلني أشعر بعدم الارتياح. أنا متلعثمة، وخفيضة الرأس. كانت عيناي تستغيثان، أنا متأكدة. هرب، غير قادر على التعامل مع كل هذا الارتباك. بدا مشغولاً لدرجة كبيرة. في اللحظة التالية، اقترب مني هذا الغريب. جثة كبيرة بمشية ثقيلة مثل كل الناس الضخمة. كان يرتدي بدلة مخملية بنية اللون وقميصًا أبيض مفتوحًا. المجمل كان غير ذلك، شيئًا مهملاً، الجاكيت مشوه بكتابين عالقين

في حبوب بدلته. كان شعره الطويل الخفيف مصففًا واللحبة نابتة. صافحني، يدُ صادقة ودافئة. نظر إليُّ بعينيه الرقيقتين وقال: "نحن نعرف بعضنا بعضًا، أنا متأكد. أنا لا أنسى وحِهًا أبدًا!" لم أستطع أن أحبيه بأنني لم أكن أعرف أحدًا، ناهيك عنه، إن حميع الرحال الذين عبروا طريقي كانوا يستهزئون بي دائمًا وأنه كان مخطئًا بالتأكيد. طوال الوقت كل هذا واضح في ذهني، كنت قد قُيِّدت مرة أخرى بالكارثة: الوجه الأحمر ولغد حول رقبتي واضطرابات في البصر. شعرت بأني حيوان. لقد غضبت بشدة لعدم قدرتى على استعادة السيطرة. كنت أود أن أتوقف عن الخوف. هذا الإرهاب المستمر ضد إنسان. ند، كما يدعى البعض. هذه الندية التي جرَّتني إلى الهاوية. على عكس الآخرين من المغفلين الذين أرعبوني، انتظر هو تلاشي شعوري بالضيق. أمسك بكأس من الشمبانيا من على المائدة وأعطاني إياها، وقطع أي احتجاج من جانبي. "هذا سيجعلك تسترخين. هو جيد بما فيه الكفاية". كانت ابتسامته لطيفة، كان صبورًا. بدا لي أن خجلي المرَضي يروق له كثيرًا. للأسف كان لدى انطباع أنه كان مسلحًا بصبر لا نهائي وأنني لن أتمكن من التخلص منه. إنه المسؤول المنتخب الذي أنقذني من هذا الوضع. عاد ثانية على الرغم من الرغبة الشديدة في الهرب، طبطب بقوة على ظهر محاوري قائلاً: "مرحبًا ريشار، أي ريح طيبة أتت بك إلى أرضنا؟ يسعدني بالفعل. رؤيتك مجددًا". تعانق الرجلان ضاحكين. هربت. يا للراحة! كنت سعيدة جدًّا لتمكّني من الخروج من هذه الدوامة. شعرت أنه يستطيع الانتظار لفترة طويلة جدًّا. ولم يزعجه جمودي ولا صمتي. غادرت ممسكة بين أصابعي هذا الكوب من الشمبانيا. تردد. عودة للخلف؟ تركته في أصيص زهور. كان حارس المدخل يراقبنى. تمتم: "حسنًا! لا تقلقى، سيدتى الصغيرة!"

لن أتمكن أبدًا من العودة إلى هناك. من الواضح أنه لا يمكن ركوب المواصلات العامة. خائفة جدًّا وشربت قليلاً في نفس الوقت. سرت على الأقدام لأصل إلى منطقتي. نزهة طويلة حتى ضفاف النهر. اتبعت طرق المشاة. أحب التجول في الشوارع المرصوفة بالبلاط. الأرصفة ضبقة. لا تتسع لاثنين. ستائر ملونة سميكة معلقة خارج المنازل للحماية من الشمس ومن منظر الأبواب الضيقة. ثلاث درجات حجرية ترفع المداخل لتحمى التصميمات الداخلية الفخمة من الفيضانات. مطر "بوردو" الغزير عنيف مثل الريام الموسمية. السماء تنهار. يضرب المطر الجسم ويبللنا بالكامل في ثوان. رواسب استوائية مراوغة تتدفق علينا تبرد دمنا. مشيت بجوار فتارين متاجر الحرفيين الصغار ذات الواجهات الخشبية، المطلية مثل أكشاك قديمة، عميقة ومظلمة. ممرات طويلة تفضي إلى اثنين ضيقين وتتيح رؤية حديقة وافرة. جواهر قديمة، وأوشحة حريرية، وأشياء من أماكن أخرى، ومعارض فنية، وصانعو شوكولاتة، ومُصنَعو حلوى "الماكارون" متعددة الألوان. كل شيء يبدو فريدًا. كنت أرغب في كل شيء. لقد وقعت في متجر أزياء لطيف جدًّا وإكسسوارات من العالم. اخترت أساور جميلة بجميع ألوانها لكلودي. هذه هي المرة الأولى التي أشتري فيها هدية لصديقة. صديقتي المفضلة، أنا أحب هذا التعبير المتقادم والرقيق. غالبًا ما يقوله الأطفال. الكبار يبقون عليه في بعض الأحيان. هذه جواهر صنعت في أمريكا الجنوبية. بها شيء فريد. رحلت وأنا ألمسها. كانت البائعة برازيلية ولكنتها منعشة كشلال. أخبرتني أنها تريدني أن أحرب شبئًا، لقد حربت. وضعت معطفًا منقوشًا على كتفي. كان واسعًا وناعمًا، أحمر داكنًا، تفوح منه الرائحة النفاذة للصباغة الطبيعية، والتجفيف في الشمس. همست في أذني بأنه من الضروري دائمًا وضع بقعة لون في يومي وأنني ما زلت صغيرة جدًّا على ارتداء الغامق فقط. شددت هذا المعطف علىَّ حتى لا أتركه ورحلتُ إلى النور. "السيدة"، غنت بصوتها البلوري. كانت ابتسامة ذلك اليوم المخيف للغاية. كنت أتجول في الشوارع أسابقها وأشد ردفيُّ حتى لا يسقطان. فكرت في كاحليُّ وحاولت تقليص معدتي. ثم تخليت عن حركاتي البهلوانية، فقط لأتسكع قليلاً. ضوء متفجر مفاجئ. وجدتني أمام المسرح الكبير. تركض الشمس على ميدان "لا كوميدى". كراسٍ وطاولات الحانات تغزو المقاهى التى اجتاحت العالم. يتدفق نبيذ "بوردو". البعض يشرب ويتحدث واقفًا. فتيات وفتيان، في مجموعات، يقبلون بعضهم بعضًا ويتعانقون. كنا فجأة في الجنوب. كانت النساء ببشرتهن الكابية يرتدين فساتين أنيقة، والرجال ذوو الضفائر البنية المسدلة على القفا يرفعون كؤوسهم وهم يغنون والنبيذ الجيد وكوكتيل فواكه الزيتون تدور على صواني النَّدُل. حمى الدم الباسكي العروق ولمسة بأسلوب إنجليزي سيطرت على الجو. قمصان زرقاء فاتحة وسترات داكنة. استرخاء تام. خفة دون الفوضي التي تقرأ في الحركات والإيماءات. الدراجات متوقفة في كل مكان. في وقت لاحق، كانوا يركبونها ثانية لتغيير المنطقة، والإفاقة والانضمام إلى حفل آخر. شباب يحلسون على درجات سلم "المسرح الكبير"، ويشربون البيرة "كان" ويلقون بالبقايا في منتصف الطريق. أمامهم، فندق "الجراند أوتيل"، المهيب. فتح رجل يرتدي بدلة الأبواب النحاسية الضخمة لزوحين مسنين، يليه أسطول من الحمَّالين يرفعون حقائب ضخمة. هربت، مذعورة. اتخذت شارعًا واسعًا يؤدي إلى أحواض السفن. كل شيء يؤدي دائمًا بانحدار لطيف إلى نهر "الجارون". التقط النهر الهائج الضوء، بدأت في اتَباعه. كانت السفينة قد ألقت مرساها. شهد حشد صغير تركيب حسور للمشاة، كباري حديد متواضعة جاهزة لتفريغ جحافل السياح. كان هذا البناء العائم لا يزال يصرخ بمحركاته عند الدقتراب من الضفة التي غطاها بظله العملاق. مئات الكبائن. قوارب نجاة برتقالية صغيرة معلقة على جوانب السفينة، وكأنها ألعاب. مرساة هائلة. لا يوجد ركاب في الأفق، ولكن رجال بزى أبيض للقيادة. مع الاصطدام، يزفر النهر برائحة قوية من البود. استنشقت. شعور عميق بأنني آدمية. كانت قوته هي التي أعطتني هذا اليقين. أسرعت الخطي. مبتهجة بالنهار، عدت إلى الوراء ووصلت إلى بركة "ميروار دولو". بلاطة ضخمة من الجرانيت الأسود ينبعث منها ضباب كثيف اخترقتُه لأصل إلى مركز المكان. اجتاحني الضباب، غطاني، تجاوزتُه، لم أعد أستطيع رؤية المدينة. سمعت ضحك الأطفال، الناس الذين يركضون، يتململون، يحومون. فجأة توقف كل شيء. سقط. تلاشي البخار، ليبعث نظرة سامية وساحقة. من جانب، يقع ميدان "البورصة" مثل الماس في قوس من المباني يعكس ضوءًا ذهبيًّا. من ناحية أخرى، كان النهر ينشر عباءته الفضية. ثم سقطت دفقات صغيرة تحت قدمي. ارتفع

منسوب المياه بأعجوبة. كان الأطفال يلعبون ويصرخون من الفرح، ويخوضون في الماء بمرح. تابعت سيري. خفيفة. كان صندلي مبللاً. لم أكن أود السير بسرعة. مشيت "أضبِّش"، عبرت الحدائق المجاورة لرصيف السفن. بطاقة بريدية. في الأسفل، زلاجات ودراجات ومارة يلتقون في سباق التزحلق. ألوان وضحكات مبهجة. ترنيمة للحياة.

#### اليوم 478

رافق ابنه. تعرفت عليه. يأتي مع فصله مرة واحدة في الأسبوع. وكذلك يوم الأربعاء. اسمه توني. "فيما بيننا، أنا أنطوان"، قال لي: "لكن لا أحد يناديني هكذا". هذه عبارة لم أكن أستطيع نطقها في مثل سنه. قالها مع ثقة بالنفس وفكاهة. إنه طويل كالخيط ولطيف جدًّا. لديه شعر ملاك يصل إلى عنقه. ما جذبني إلى هذا الطفل هو أنه يراقب في صمت متأمل. وأحيانًا أيضًا يغلق عينيه عندما نحكي القصص. أندهش لوجهه المطمئن، جفونه المغلقة. مثل والده، بشرته شاحبة ونظرته متألقة، فاتحة اللون. لوح لي ووقف والده أمام مكتبي. شعور رهيب بالحصار عندما غمرني طوله البالغ حوالي مترين. ابتسامته رقيقة. وضع يدي في يده ولم يتركها لبضع لحظات. كنت أقل خجلاً من المعتاد. كان يبدو أنه يقول لي أن أهدأ، كما يفعل المرء لترويض حيوان. ولم تغادرني هذه النظرة الهادئة.

"لا أزال لا أعرف أين التقينا. لدي ذاكرة هائلة ولقد بحثت طوال عطلة نهاية الأسبوع. سوف أصل، أنا متأكد".

أخبرني بذلك قبل أن يصافحني، كما لو كنا نكمل حديثنا. فاجأنى تأكيده وهذه الرغبة في التحدث معى أيضًا.

"توني لا يتوقف عن مديح دروسك. هو متحمس للفن الحديث. والدته رسامة".

لم يتوقف عن الابتسام. "كانت، كانت، كانت..." لم أسمع أكثر من ذلك. شرد ذهني مع تلك الكلمة التي تقفز في عقلي مثل لعبة الكرة والدبابيس. وقف هناك، هادئًا، صبورًا، كان ينتظرني لأعود إليه.

"أستلم تونى حتى الساعة 5 مساءً".

ابتعد. جسده الكبير القوي. أمامه نتلاشى حتى يستطيع المرور. تقريبًا صدم الرئيس.

"مرحبًا، مرحبًا يا أخي القديم.. ريشار الملعون، أنا مسرور جدًّا لرؤيتك. أنت، في معبد الثقافة، ولكن أأنت في المؤسسة أم ماذا؟ تعال نشرب كأسًا!"

تعانقا. ثم رحلا وذراع كل منهما حول الآخر. لم أسمع بقية المحادثة. من هذا الرجل الذي يعرف كل "بوردو"، الذي يقابله الجميع بفرح؟ نظرت إلى الباب لفترة طويلة. بدأ حجم الصوت يتضخم بشكل خطير بين الكتب. انغمست في تاريخ "ليختنشتاين". كنت أفكر في لوحة، الشابة الجميلة الشقراء التي تبكي. الدموع معلقة

على جفنيها. فُرضت عليَّ هذه الصورة منذ أن قال إنها كانت رسامة. كنا نرسم برشاقة. مع بالونات كبيرة لكتابة الحوارات. لقد دعوت مؤلف "رسوم متحركة" للتدخل. لم أصدق ذلك. لم يكن لديَّ ميزانية للرسوم المتحركة، وقال نعم! كان الرئيس قد اقترح لي قائمة بأصدقائه من الفنون الجميلة الذين سيتكرمون بالحضور بحفاوة إلى جلساتي.

"كنت في مجموعة من هواة الرسم عندما كنت أصغر سنًّا واحتفظت ببعض الاتصالات!"

ضحك. أسنانه بيضاء، ابتسامة رائعة. لديه غمازة، لم أكن قد للحظت ذلك.

"أصبح الآخرون مشهورين، لذا سننتظر لدعوتهم حتى يزورنا وزير الثقافة! أليس صحيحًا، يا آنسة؟" وأضاف مع غمزة. "ليست سيئة.. النظارات!"

مجاملة عرضًا لمل، يومي بالنجوم. تواطؤ حقيقي. اهتمام صادق بهذه الاجتماعات الثقافية التي قمت بتطويرها. بقيت صامتة. أنا متأكدة أن الجميع سينتهي بهم الأمر باستمتاعهم بجعلي فاغرة الفم، شاردة، ذاهلة. سيصبح ذلك لعبة، نكتة. إلا إذا كانوا يأملون أن أتخطى هذه الخطوة!

يؤمن بس. هذا ما يهم.. ثقته.

اشترت كلودي سيارة. "ماميني"، كما تسميها. في كلمة واحدة. بلون الفراولة من الداخل وكريمي في الخارج. جوهرة تفوح برائحة الجلد. قالت لي إنه بصرف النظر عني وحقيبة يدها، لا أحد سيضع أردافه على المقعد الأمامي! ركنتها بفخر في شارعنا. كما هو الحال في العرض. فردنا عليها غطاء للحفاظ عليها. إنها نجمة، كلودي، ومع سيارتها المكشوفة عندما تفتح بابها وتظهر ساقها الطويلة المكشوفة وحذاؤها الطويل، نظن أننا في فيلم أمريكي. حتى ذلك الحبن، كانت تقودها فقط من المرآب إلى استودبوهات التلىفزيون، لكن اليوم ذهبنا الى الشاطئ. لقد حلمت بذلك لسنوات. اخترنا واحدًا منها أبقيته سرًّا. لقد فهمت أن ذلك أسعدنس حقًّا كلودي كانت تفضل الخليج. "أركاشون" أكثر "عصرية". إنه عرين الباريسيين. لكنها خمنت أنني لن أضع قدمًا في هذا الزحام الكبير. الكثير من النساء، فطائر برونزية على الوجهين، متزلجون مفتولو العضلات. هذه هي الطريقة التي تصفهم بها. كلماتها المصورة تسعدني، لها مفردات ملونة. الكثير جدًّا من النظرات، والسقوط الممكن مع هذه القلاع الرملية، هذه الجواريف والدلاء، هؤلاء النَّطفال الصغار. ثم إنها تعرف الكثير من الناس لدرجة أننى قد أقضى اليوم مختبئة خلف حقيبتي. لذلك، سمحت لي باختيار مكان برى، "البورجيه". كان يبدو عليها التجهم بعض الشيء، لأنه ليس مكانًا سياحيًّا "حقًّا"، لكنها عرفت أن هناك، سأكون على ما يرام.

على اتصال مباشر بالمحيط الأطلسي. كما لو كان المحيط تحت جلدى، يتدفق فى عروقى. لا ينسى.

منذ الطفولة، كان والدي يصطحبني للسير على الشريط الساحلي: منتجع "هوسجور"، فيو - بوكو، موليّتس، كونتي، ميميزان، وبيكاروس... ويختار المكان وفق مزاجه وتبعًا للون السماء. كان يجهزني ويهمس: "لقد حان وقت الذهاب إلى "ميميزان" اليوم!" وأوضح لم أن الكثبان الرملية بمثابة ضمادة للقلب وأن الأمواج تجلب الصفاء. لا شيء يمكن أن يمحو هذا الانجذاب لأرضى، الآن بعد أن كنت قد مشيت على هذه الشواطئ في فصل الشتاء. إنه كان إكسيرًا، وشمًا. أننى سأعود دائمًا إلى البلاد. أنني كنت أسيرتها. تلهب الريام وجهى وأتعلق بها حتى لا تحولني إلى طائرة ورقية. كانت ملابسى منتفخة، وشعرت أن يدًا سحرية كانت ترفعني. هذا يسرُّنا. كان أبي يرفع سروالي ونركض على الأمواج. الماء قارس البرودة. تصلبت ساقاي ولونت قدماي. في المساء، عند خلع ملابسي، انزلقت رمال ناعمة على الأرض. دفعتها تحت السرير حتى لا تتسبب في الشجار مع أمي. لم تكن تفهم هذا الجنون بـ"هذه الصحاري العاصفة". ثم بدوت مثل فتاة همجية في طريقي إلى المنزل. لم تكن أمي تحب الطبيعة، والريف، والمناظر الطبيعية "الموحِشة". تجعلها كئيبة وفزعة.

سرنا في البداية بمحاذاة أرصفة السفن لمغادرة "بوردو" وأكشاكها على التوالي، ثم عبرنا أحياء لم أكن أعرفها. أجنحة متراصة، وكلها متطابقة. إلا البوابات، وكلها مختلفة. كان بعضها حديثًا جدًّا وبعضها باليًا من الزمن وبعضها مغطى بمنحوتات ساذجة متزنة على دعامات: أسود، آلهة، أقزام حديقة. مروج مفتوحة في الشارع. دراجات نائمة على الرصيف. خيول خلف المنزل. عالم ريفي حضري متشابك. أخيرًا، ذات مرة بعد آخر المساحات الواسعة التي تغمر الريف، انفتح لنا طريق واسع. جرح عميق يحفر مساره بين الغابات الكثيفة. أشجار صنوبر طويلة القامة وخضراء في بعض المناطق التي تتعانق فيها الأشجار. فجأة، طبيعة مدمَّرة. الفوضى في هذا المشهد تسترعي انتباهك، بقايا عاصفة عنيفة. من تلك التي تدمر كل شيء في طريقها، مثل وحش يسوي الحياة في يديه. يصفع دون سابق إنذار، بلكمات كبيرة، هنا وهناك، لا نعرف السبب. حينئذ تسقط الأشجار، مثل أعواد الثقاب التي قد يكسرها المرء بين إصبعين. بعد سنوات، تُبقي الطبيعة على جروحها. أبعد قليلاً، تتراكم الجذوع في شكل هرم على حافة الطريق الكبير. نضال جديد للإنسان لإصلاح الفوضى. ثم، تستعاد الشبكة الطويلة الغابات حتى تحعل رأسك بدور.

سمحتُ لي كلودي بفتح النافذة ومددت يدي خارج النافذة لمقاومة الهواء. لقد أزاحت فتحة السقف وغنت بصوت عال، موجهة غمزات استفزازية لركاب السيارات المجاورة. هي لا تحب أن يحدِّق أحد فيها. كانت تصرخ بأغنية رتيبة، قصيدة حديثة بترديدة مملة: "هذا يعصبني". صاحبت هذا المقطع بنظرة عميقة وجذابة للمركبات القريبة. ثبتُّ جسدي على الكرسي ليختفي. ثم ضحكت بصوت عال. عندما أوقفت سيارتها الصغيرة، فقط خلف المطاعم، حتى لا يلمس

أحد لعبتها الحديدة، اكتشفتُ قرية سرية. كان يوجد بارات مقاهي على حانين الممشى الأوسط. يلعب مجموعة من الشياب الكرة الحديدية. متحر صغير للمستحمين يفيض يعوامات النيون، الأساور الهندية، أكسسوارات الشاطئ والكريمات الواقية من الشمس. تجذبهم روائح الفطائر بالسكر والآيس كريم الإيطالي، ينتظر صفوف من الأطفال الجيدين بصبر لتذوقها. في مواجهتنا، ممشى ضيق أبيض يعبر الكثبان الرملية ويؤدي إلى المحيط. يؤلم الصعود دائمًا سمانة الساق ويجعل القلب يخفق. اضطررت للتوقف في منتصف الطريق، وضبق في التنفس. لم أر البحر بعد، لكنني شعرت بالفعل بالرذاذ. يصعد المعتادون في صمت. مجموعات ثرثارة للغاية كانت تنزل المنحدر الحاد بسرعة، وتحت الذراع لوح تزلج. كانت الشمس تضرب على المظلة الحريرية الكبيرة التي قدمتها لي كلودي. ضغطت على قدمي، ضيق القلب، والتنفس المتوقف. في آخر نفس، لمحت الموجات الضخمة التي تتحطم على الشاطئ لتدفع السياحين الذين يبدون من بعيد كرات ملونة متناثرة على الأرض. على بعد أمتار قليلة، طنين الأمواج ورائحة البحر التي انبعثت لتهاجمنا. مزيج من رذاذ البحر والملح الذي ييبس الشعر والأنف. لا يُنسى.

انزرعنا في الرمال وغاصت القدمان في مسحوق ذهبي ناعم يداعب ويلسع الجلد. على كل جانب، الشاطئ على مدى البصر. في الوسط، تحيط مجموعة من العائلات بالمكان المرتفع المطل على المسبح الذي كان يقذف منه في مكبر الصوت: "تحذير! المد يعلو. يرجى العودة لحافة الشاطئ". المد. صدى هذه الكلمة في ذاكرتي. تيار قاتل يفاجئ السباحين. الناس هنا يعرفون. هؤلاء بالتأكيد يتراجعون.

"نستطيع أن نعود أيها العراة". أخبرتني كلودي، بدت مستاءة. ذلك يحدث لها دائمًا نفس التأثير عندما تكون في وسط الصبية. الفضائيون، كما تدعوهم. إنها تكرههم لا أدري حقًّا لماذا. لا شك يصيبونها بالخيبة. إنها تنبذهم بقدر ما أجتذبهم. أمر غريب. كلانا طفلان فريدان...

مشينا فترة طويلة. لم أجرؤ على إخبارها بأنني أعاني بشكل رهيب على الرغم من التدريب المكثف! لاحظت بالتناوب العضلة الانسيابية والبارزة التي تنتفض في باطن ركبتها والزبد القادم تحت تتورتينا. انسلت خطواتي في إثر أقدامها. لديها قدمان مدببتان وأنيقتان تطيلان صورتها الظلية. كنت مبللة وباردة جدًّا. توقفت عندما وجدنا نفسينا وحدنا في العالم. وضعت حقيبتي وابتعدت بينما كانت تخلع ملابسها، كاملة. "لا أثر لمايوه كي ارتدي ملابس داخلية جميلة"، قالت لي وهي تنزع ملابسها بنشاط. بدت مرتاحة جدًّا مع جسدها لدرجة أن ذلك أعجبني. كلما كانت تتجرد من ملابسها كنت أشعر بالأسى. كان على الرغم مني. لدي حالة ذعر من الجلد العاري. من الظلام الذي أستطيع فعله لهذا الجمال المثالى.

ذهبتُ مباشرة إلى الشمس لتركها هادئة. كنت وحيدة حقّاً. لقد كررت مع كل خطوة أن الأرض كروية ويمكنني أن أمشي إلى ما لا نهاية دون رؤية النهاية. تقدمت بلا كلل. رئتاي امتلأتا بالأكسجين. انتحبت دون أن أدرك ذلك. دموع الراحة. الامتلاء. الحنين إلى الماضي.

كنت قد انتظرت طويلاً للعثور على البحر. ها هو ملاذي المتخيَّل. لقد فقدت الرائحة. على الرغم من أنني كنت أركز، لم يعد بإمكاني إدراك هذه الرائحة ذات الزبد الرملي. بكيت والدي. يده المريحة التي تجعلني أقفز في الهواء. نظراته الرقيقة. لحظات السعادة هذه التي كانت لكينا فقط. أفتقده على نحو فظيع. هي أيضًا.

#### اليوم 495

يجب أن تكون عمتي قد سمعت صلاتي. أخبرتني أنها تريد تنظيم حفلة كبيرة في عيد ميلادي حيث تدعو الجميع. "في جميع أنداء العالم، هناك والداك، قالت، ليس لأن ذلك يسعدني، ولكن حان الوقت لمجابهة شياطينك!" تظاهرت أنني لم أهتم، ولكن فيما بعد لم أفكر سوى في ذلك. والداي. أرى والدي ثانية. هل سأكون على ما يرام؟ هل أريد ذلك؟ كيف أجد تسلسل قصتنا؟ عدم إحباطهما.. مرارًا وتكرارًا...

# اليوم 500

تساءلت بأي حق اتخذت هذا القرار، لاڤيلين. شعرت بأن دمي يغلي في عروقي. رغبة جامحة لكسر شيء ما. للطرق على الطاولة. ظللت أقول لنفسى: "بأى حق؟ من تظن نفسها للتحكم في حياتي بهذه الطريقة؟" أنا غاضبة. بشكل غريب، لم يعد هذا الشعور يغادرنى.

# اليوم 502

جاء هذا الشيء الصغير إلى حصتي يوم الأربعاء. كرة صغيرة من عشرين كيلوجرامًا بأذرع وأقدام طويلة أيضًا. لديها ذيل حصان ملتوٍ قليلاً. كما لو كانت أمها قد حاربت عندما كانت تمشطها. كريمية البشرة. ذات شعر جميل وناعم ومتموج. هيئة مكفهرة. عينان سوداوان تطلقان نارًا. كانت تطأطئ رأسها بشكل واضح، تتأمل حذاءها البالي. "لقد جربت كل شيء ثم سمعتها تتحدث عنكِ"، أخبرتني والدتها، ماتيلد لا تريد أن تتعلم. هذا يصيبني باليأس. لقد راقبت هذه الطفلة الصامتة. كانت يداها تهتز مثل أوراق الشجر. كانت ماتيلد ترتجف من الخوف وظلت منتصبة مثل الجندي. وهكذا كل يوم منذ بداية العام الدراسي، مستسلمة، طوال فترة ما بعد ظهر كل يوم. توني كان هناك أيضًا. أصبح صديق طوال فترة ما بعد ظهر كل يوم. توني كان هناك أيضًا. أصبح صديق ليو. "ليو" خاصتي. شيء غريب. بينما كان يبدو دائمًا وحيدًا في العالم. كما لو كان يحفر خنادق حوله.

جاء والد توني للبحث عنه. "إنها مثل طائر في الأسر أطلق سراحه"، قال، مشيرًا بذقنه إلى الطفلة الصغيرة التي تتشبث بي. كانت عيناه رقيقتين. وأضاف: "أعتقد أن هذه الطفلة لا تحب الضجيج". لقد دهشت من هذا التشخيص الفوري. بلا حراك، مثل جزيرة محاطة بصغاري الذين وصلوا للتو إلى مستوى صوت الخلية. كان ذلك دائمًا قبل وصول الوالدين. مثل قبل تساقط الثلوج.

#### اليوم 509

قمت بتجربة مع ماتيلد. لقد وضعتها في وسط وسائد ووضعت سماعات على أذنيها مع موسيقى ناعمة، لقد استرخت. ارتخى كتفاها فجأة، كما لو كنت قطعت شريطًا مطاطيًّا. كيف عرف ذلك؟ كيف أدرك، في لمحة، أن هذه الطفلة تعاني من هذا المرض؟ كانت قد أمضت فترة ما بعد الظهر في هذا العش الدافئ، مع خوذة على رأسها، لكنها كانت قد اهتمت بالآخرين من خلال مراقبتهم خلسة. وضعت بين يديها "الكتاب الكبير للأشياء الصغيرة". تابعت بأصابعها الرشيقة الصور الظلية الملونة.

#### اليوم 516

"أنا إخصائي في مبحث علم الطيور وأنا معتاد على مراقبة الأنواع الهشة"، تنهد بابتسامة هادئة مشيرًا لنتيجة تجربتي مع ماتيلد. ولكن نعم، يا له من أحمق! ريشار فيلت. عالم الطيور المشهور، ريشار فيلت. ذلك الذي تمدحه جميع وسائل الإعلام. كنت قد رأيت العديد من التقارير عنه. منقذ الإنسانية. الإنسان الذي كان يفضِّل التحدث إلى الأحجار والأشجار والطيور بدلاً من ذويه بالفعل أمامي، محاولاً ربط بين أجزاء المحادثة منذ عدة أسابيع. هذا هو السبب في أن الجميع يعرفونه. لأنه كان مشهورًا في جميع أنحاء العالم، ولم أقم -في أي ثانية -بالربط بين العالِم ووالد توني. أنا، للأسف، مرة أخرى، لقد فقدت صوابي من الانزعاج والخجل. لقد طار لإنقاذي. وكأنها عادة لديه أن يأتي لإنقاذ الآخرين. وهو يحاول أن يخرجني من شبكتي، لكن في كل مرة أراه، تصبح حالتي أسوأ. يغرجني مثار سخرية ومضطهدة. أتساءل أيضًا كيف يمكنه أن يعهد لى بابنه! خجلى المرضى يمنعنى من سؤاله.

### اليوم 517

كان ينتظرني أمام CAPC. خرجت في وقت متأخر وعلَّقت للتو معطفي في الباب الخشبي الثقيل. ناضلت لأعثر على حريتي. سحب الباب، وقال لي إنه انتظر كثيرًا جدًّا لإنقاذ حياتي وحياة ملابسي التي بدت حزينة. هذه المرة، كان يضحك بصراحة من هيئتي المرتبكة. وهكذا، أنا مهرج بريء يستمر في جعل نفسه مثيرًا للسخرية ومرئيًّا حتى وأنا أحاول إخفاء نفسي بجميع الوسائل. أرفه عن نفسي بدلاً من لعبة المرور عبر الجدران، كما كنت أود.

"أردت أن أدعوكِ لتناول مشروب. أنا هارب من لقائي مع "كار برونسكي". هو زميل سابق في المدرسة ونحن في طريقنا لبناء مشروع كبير معًا. تعالي، سأخبرك بهذا. هناك "بار" في زاوية الشارع". اقترح عليّ، ممسكًا ذراعي.

لم أكن مستعدة في أي حال من الأحوال لفكرة أن أكون معه. كنت أرغب في الهرب. كان عليَّ أن أجد مخرجًا.

جاءت الكلمات دون التفكير فيها حتى. تدفقت وكأنها تحررني من كل تلك المشاعر التي نمت منذ أن قابلته. لا، لا أستطع تناول مشروب لأنه لم يحدث لي أن شربت. ومن ناحية أخرى، لم أكن لأعرف ذلك. لم يكن لدي أي شيء أقوله. لم أكن أعرف كيف أتحدث مع البالغين. كنت مقتنعة أنني لا أستطيع أبدًا أن أمنحه أي شيء. لم أكن أعرف شيئًا عن هذه الرموز وتقمص الأدوار. في المجتمع، كنتُ شخصًا مشردًا، ضائعًا، حالة عرض عليها شخصٌ ما بمعجزة وظيفة أحبَّتها. لم أكن أريد الضجر أو إضاعة الوقت. ثم كنت شخصًا عاديًّا بما فيه الكفاية -وهناك، توقفت تمامًا، لأنني رفضت حقًّا أن أعطيه الكلمات التي كان الآخرون، طوال حياتي، يصفون بها ما كنتهنعم، دعنا نقُل شخصًا عاديًّا، لقد كررت ذلك، حتى لا يريد أحد قط بتاتًا، أن يبقى إلى جانبي، باستثناء أبي. ومن ثم، كنت أشعر بالحرج بالشديد في التحدث معه. أستطيع أن أفهم جيدًا أنه كان يشفق علي ً وأنه كان يحاول إخراجي من هذا الخمول، لكنه كان كذلك. ومع كل الأشياء العظيمة التي كان عليه أن يفعلها من أجل هذا الكوكب،

ربما كنت الكائن الوحيد في العالم الذي يمكن أن يختفي دون أن يلحظه أحد، لأنني لم أكن أُفيد في أي شيء على وجه الأرض، على الأكثر لإلهاء بعض الأشخاص الفضوليين. لذلك لم يكن لدي أي نية لتناول هذا الشراب وكنت أفضل عدم التحدث معه أبدًا مرة أخرى، إلا إذا أراد مني أن أسدي إليه خدمة مهنية. لذلك يمكننا مناقشة ذلك يومًا آخر في مكتبي.

أعتقد أنني قلت عدة جمل أخرى، لكنني لم أعد أتذكرها. ما عدا مدة هذا التدخل التلقائي والفائض الذي خرج من جسدي. مثل موجة، موجة المد والجزر. لقد مسح فقط دمعة على خدي مداعبًا إياه وابتعد دون أن يبدي أقل دهشة. مكثت على الرصيف لفترة طويلة. ضغطت على خدي كي أشعر بحلاوة مداعبته، مكرِّرة على نفسي: "إنه أفضل بهذه الطريقة. حقَّا، إنه أفضل بهذه الطريقة".

#### اليوم 524

لم يأت توني إلى ورشة العمل، وكذلك والده. هذا أفضل. لكن في الوقت نفسه، آكل نفسي وأندم على كل تلك الكلمات التي أخرجها الخوف. ألوم نفسي على صدِّه بوحشية. أنا لا أعرف نفسي بعد الآن. على نحو غريب، أفقد الوزن.

حلسة حديدة لطلب ملابس من كتالوجات عن طريق المراسلة. نمرح كثيرًا، كلودي وأنا. لقد استولينا على سرير تيريز ونزعنا الفراش مثل الفتيات الصغيرات. مقاسى 48. 48، إنه جنون! ينبغي أن أغير كليًّا خزانة ملابسي. بدأت سراويلي في السقوط عندما أمشي. لا بد لى من سحبها بضربة خاطفة، وذلك، وفقًا لصوفى، يفتقر إلى الرقى تمامًا. جيراني فخورون بي. وهنأني كل المقيمين في المبنى، وكأن الأمر معركة جماعية. لم أعد أغضب من ذلك. على أي حال، يتدخل الجميع في كل شيء هنا! وكل منهم يدور تعليقه حول هذا أو ذاك الجزء من جسدي. صحيح أن كلاً منهن لديها دور تلعبه في تحوُّلي. وبهذا الشكل أنتمي إليهن. الشخص الوحيد الذي لم أعد أنتمى إليه، هو أنا. أنا لم أعد أعرف نفسى. أخطئ في تقدير المسافات، أصطدم. أسعى للهدف بشكل سيئ. شعور دائم بالبرد. أكوم الملابس مثل قشور البصل. يتدفق الثلج في دمي. من المفارقات أن هذا البرد المُشِل يعطيني إحساسًا بالخفة المطلقة. الشعور بالطفو فوق الأرض. ومع ذلك، 48، إنه أمر غير معقول بالنسبة لمعظم الناس.

وبعد ذلك أفلتُّ أخيرًا من هذا الصمت الذي يسبق عبوري الذي يتبعه همسات تنخس ظهري. في صباح أحد الأيام، ومع ذلك، في طابور السوبر ماركت، طفل، لم تتمكن والدته من تكميمه، بادر بجملة مدوية: "لديك ردفان كبيران، سيدتي!" الصبي، المحصور بين عربتي تسوق، ينظر لأعلى مؤخرتي، أطلق عليَّ سهمه في صمت ثقيل. بقيت مخدرة. خفضت رأسي. لم أكن كبيرة بما يكفي لأضحك على ذلك. لا أستطيع التعود على هذه الملاحظات. على الرغم من فقداني الوزن، ما زلت أحاول النظر لقدميَّ ولتلك الأحذية الرياضية الجميلة التى أهدتنى إياها كلودى. لا تزال معدتى تُخفيها.

# اليوم 531

يوم ورشة العمل. أنطلق خفيفة الروح. أكثر من ثلاثين طفلاً، يتوقون إلى الخبرات واللقاءات. أنا لا أتعب من أسئلتهم، أسئلتهم دائمًا مباشرة وسديدة. لا أستطيع أن أصدق أن بعضهم فاشل دراسيًّا. يبدون لي متحمسين ومعذبين بدرجة عالية بسبب الرغبة في التعلم. بدون حواجز أو عوائق. مجرد أعشاب برية ترفرف مع رياح المعرفة. سننفذ مشروعًا، عملاقًا. استطعت استخدام "اللوبي". ننتقل إلى العمل. نصنع عنكبوتًا عملاقًا يسمح لنا بتقديم أعمال متطورة. أفكر في "ماما"، منحوتة "لويز بورج". إنها تمندني الشجاعة. يطاردني العمل وفضاؤه، التباس المواد، الاستعارة. أمي، بلا شك، منذ تلك الأحلام الغريبة التي تغزو لياليَّ. أحلام بلا صورة. أسمع منها فقط أصواتًا. دائمًا نفس التتابع. ضحكات أطفال. شفافة، مبهجة، واثقة. ثم خطوات على رمل ناعم. طرَقات على بابخشبى. بكاءات. رثاءات لطيفة تتحول إلى تهويدات. إنه هذا الطنين

الذي يشدني من نومي ومن خلال هذا الوعي تقريبًا، أدرك صوت والدتي. أستمع، لكنني لا أفهم. أتحدث إليها، أتوسل لها، لكنها لا تجيب. توقظني دموعي. حينئذ أنهض وأنا أتطلع إلى الليل المظلم والنجوم التي تلمع بين مصباحي الإنارة. مجموعة من الكواكب الغائمة بعض الشيء، غارقة في سماء كامدة.

# اليوم 532

لم أعتقد أبدًا أن الأطفال لديهم مثل هذا الخيال. كان ينبغي أن أعرف، أن أذكر نفسي. لن أسامح نفسي أبدًا.

# الاعتراف

اندهشت كلوتيلد بمدى الدوى الذي يمكن أن يحدثه مجموعة من الأطفال. صرخات صارفة يبدو أنها تعلو أصوات السلم الموسيقى الحادة. لمدة ساعتين، ومزودين بكريَّات خيط من "الليكرا"، يلفون حول الكراسي، ومشجب الملابس، وعمود المدخل ويشكلون ما يشبه كوخًا من الخيط، الشبكة التي كان من المفترض أن تحافظ على الرسومات والصورة المجمعة التي نُفِّذت في ورش العمل. رددت الألوان المختلطة بضحكاتهم صدى في صحن المتحف المركزي لحسن الحظ أثناء إعداد مونتاج المعرض. وفي مواجهة هذا الجو المكهرب، لجأ الموظفون إلى مكاتبهم. قاومت كلوتيلد قوات البحارة الهائجين الذين كانوا يتلاقون، ويتقافزون وهم يدورون حول عمود أو يرتدون إلى الجانب الآخر بتسارع معين. اللعبة التي سمحت للكبار بتأكيد تفوقهم بإبعاد صغارهم. وأسقطت ضربة مؤسفة الصغيرة ماتيلد، التي بالكاد خرجت عن صمتها، على رفِّ المنشورات. انهارت المجلات وكتالوجات المعرض في تصادم تُصم له الآذان. وقد أدى ذلك إلى بضع دقائق من الصمت الفَزع قبل أن يُستأنف الإيقاع، بكثافة. كان ليو يهرول إلى المكتبة ليحذر كلوتيلد، المشغولة مع الأصغر سنًا. اختفت الفتاة الصغيرة في الطوابق. ذهبتْ على الفور للبحث تاركة لليو وتوني للسيطرة على قفص الطيور.

كانت تسير في الظلام، تنادي الطفل برقة. صعدت درجات السلم الحجرية في الظلام، تتحسس الطريق مسترشدة بالجدران المصنوعة من الطوب. وكانت تأمل ألا تؤدي صيحاتها إلى إخراج المديرة من مكتبها. كانت الاستعدادات للمعرض مرهقة بالنسبة لجميع الفرق ولم يسمح لأي شخص بإزعاجهم. شكلت كتابة الكارتلات و"الكتالوجات" أعظم اضطراب. حينئذ كانت الأبواب مغلقة على الجمهور. كلوتيلد، مثل شبح، يتجول في الممرات يهمس "ماتيلد، ماتيلد..." كما لو كانت تستميل قطاً. على كل بسطة، كان يزداد رعبها مع فكرة إمكانية ضياع هذه الفتاة الصغيرة. لقد كانت بالفعل تكدس القصص الأكثر وحشية لإخبار هذه الأم المزعزعة بشكل كاف بسبب هشاشة طفلتها الذي لا تريد أن تتعلم.

يمر الوقت، تتعاقب الطوابق، وتتوالى قاعات المعرض المهجورة ولا تزال ماتيلد مفقودة. في ذروة القلق، دفعت كلوتيلد الباب الثقيل الذي يفتح على سطح المبنى الذي يطل على المتحف ويقدم للمطعم رؤية بانورامية لـ"بوردو". الأمل الأخير. كانت الفتاة المفقودة جالسة هناك على كومة صغيرة من الحصى المكورة. كانت تسحب فستانها الأحمر الجميل، في محاولة لتغطية ركبتيها، كما لو أن برد الشتاء كان قد عض عضلات ساقيها.

"يُحدثون الكثير من الضوضاء.. أليس كذلك؟" استفسرت كلوتيلد، في محاولة لالتقاط أنفاسها.

"أخبرني أن ثوبي كان كبيرًا جدًّا بالنسبة لي!"

"لا تصدقي دائمًا ما يقوله الآخرون، كما تعلمين".

"كبر جدًّا أو صغر جدًّا ، فإنه غر مناسب أبدًا".

"أعرف".

"ألا ترتدين الفساتين أبدًا؟"

"لا، كلها صغيرة للغاية بالنسبة لي!"

"إذًا، أخيرًا، الكبير للغاية، أفضل؟"

"نعم، أعتقد أن الناس تكون ألطف مع من يرتدون ملابس كبيرة جدًّا. لكن هذه ليست حالتك. هذا اللباس يناسبك تمامًا. أنت تعرفين، ينتابني قلق كبير عليك".

"الجميع قلق دائمًا على "".

"لأننا نحبك، فأنت محظوظة لأن أمك تقلق عليك".

"تظنين؟"

"نعم، حقًّا".

"أعتقد أن ذلك يمنعني من النمو، كل هذا القلق من حولي.. وهذا الضجيج أيضًا!"

ثم انفجرت ضاحكة، فوجئت بما كشفته للتو. ضحكة بلورية كما في حلم كلوتيلد. تغريدة طائر. رفعتها كلوتيلد مثل ريشة لتنزل ٢٣٣

الطوابق. طمأنت خطوتها الحذرة، حركاتها البطيئة الصغيرة التي تركت رأسها ترتاح على صدرها.

بينما تتلمس طريقها تمامًا في الظلام، أنصتت كلوتيلد. لقد ظنته في البداية صريرًا، ثم أدركت أنها كانت تسمع بكاء الأطفال. تأوه اخترق الظلام. بدون تفاهم، هرعت واكتشفت بدهشة عمل مجموعتها. خلال غيابها، نسجوا لوبي المتحف بأكمله. كانوا يدحرجون كراتهم من نقطة إلى أخرى ويستخدمون كل ثقلهم لجعل الكل صلبًا. وهكذا صنعوا شبكة عنكبوت عملاقة لا يمكن لأحد عبورها. ضفائر جيدة ومتشابكة بشكل مخيف، التي أنجزت من هذه المواد المرنة والمنبسطة، كانت تمنع أي شخص من المرور. في مركز هذا العمل متعدد الألوان يدوي البكاء. صرخات صغيرة تتخللها رثاءات طويلة. بدا الهروب من هذا العمل الشيطاني بمثابة يأس لا نهائي.

مثل الصمت الذي يسبق العاصفة، صمت الأطفال. تراصوا حول الأقدام الكبيرة، راقبوا ببرود رفيقهم يناضل في منتصف هذا الفخ. كلما تحرك، يلف خيط "الليكرا" حول أطرافه، مجزقًا جلده ومضعفًا آهاته. إنه ليو. تعرفت على صوته وبكائه وتنهداته. صغيرها ليو، بينما كانت تعتقد أنها مستعدة لمغادرة وحدتها، كان قد أمسك به. الطيب، المهذب، الودود. ليو، ربيبها. الكل يعلم ذلك. ليو، هش. بمجرد انتقاله من الدرجة السابعة، يصدق أقوال الأكبر سنًا كما لو كانوا إخوته وأخواته. ليو، المنسي من بال الآخرين. الأقوى. الراسخون منهم. أولئك الذين لم يخافوا من أي شيء. الذين يعتقدون أنهم يمسكون

بالعالم بين أيديهم. الذين يسحقون النمل، يدمرون الحدائق، ويصارعون الصغار في الفناء، ويجرحون الضعفاء. في بعض الأحيان حتى من دون إرادة الضرر. فقط هذه الغريزة القبلية. الحيوانية بشكل رهيب.

ذاهلة كلوتيلد من هذا المشهد القاسى، وضعت الصغيرة ماتيلد بعيدًا وهرعت إلى هذه الشبكة. دون تفكير، ذهبت إلى الأمام مباشرة، ومتأكدة أنها قادرة على طحنها، سحقها. أعادها التشابك المثر للإعجاب إلى الوراء، مما جعلها تسقط بكل ثقلها. عدلت من وضعها بصعوبة. كان خداها ينزفان، رأسها تدور. أنفاسها التي قطعت بسبب سقوطها منعتها من الوقوف مرة أخرى. كان عليها أن تدخل إلى الفخ، لم يعد بإمكانها سماع ليو، وخشيت عليه من الاختناق بسبب هذه الزحافات المتنقلة التي تغلق على الجسم الصغير مع كل حركة. ثم بدأت تتدحرج على الأرض بشكل كبير، أخذت تزحف. ضغطت تحت وزنها أدنى الخيوط، وبقوة فتحت جبهتها ممرًا. تسحب، وتدفع، وتصرخ عندما يميل النسيج المطاط ويصفع وجهها. بحثت غاضبة بنظرها عن السبات الذي ساد تلك الشبكة المظلمة للوصول إلى ليو. وبينما كانت تكافح، تمكنت أخيرًا من الإمساك بقدمه. شعر بالارتياح، توقف الصغير عن الصراخ وزلقت أصابعها على جسمه لتخلصه. كانت تتقدم ببطء. تكسب سنتيمترًا سنتيمترًا، لتسمح لجسمها بالدخول إلى الفخ بحركاتها. كان كل تقدم يثير عقدة جديدة، يهز النسيج العملاقة مثل حيوان مجنون. الأطفال، المتخلون عن خمولهم، ضحكوا بصوت عالٍ ويرافقون مسيرتها الشاقة بدعم كبير من الصرخات والتشجيع. بدون إدراك لخطورة الوضع بالنسبة للفريستين اللتين فقدتا قوتهما في هذه المناورة. لقد أدرك توني تمامًا أن هذه ليست لعبة، فقد كانت كلوتيلد وليو في خطر. لقد اتصل بوالده للمساعدة. موظفو المتحف، الحبوسون في المكاتب والمتعاملون مع هذا الصراخ على سبيل التسلية، لم يتحركوا.

في النهاية، ظهر ريشار مع سكين. بصوت جليدي، أرسل الأطفال للجلوس في المكتبة. نزل الصمت على الفور. هاجم بوعي الحيوان المصنوع من خيط "الليكرا"، قام بضربات حادة في الخيوط التي تحد أركان القاعة الأربع. تحمي كلوتيلد ليو. كانت قد أوقفته إلى جانبها باتجاه جسمها حيث كانت الأربطة المطاطية تقصفه بقوة. وضعت رأسها على الأرض، مستسلمة، منهكة. سمعت خطى تصر على الأرضية. أغلقت عينيها وبدأت تهمهم بتهويدة لطمأنة الطفل. عندما وصل ريشار إلى جانبها، كان الاستقبال مليئًا بقطع من القماش المفتول. في قلب الفضاء المدمر، كلوتيلد، منبطحة حول ليو، بدت وكأنها حيوان مصاب.

كان ريشار مستاءً. فحصت نظراته اللامعة وجه الفتاة البائس.

"بحق المسيح اللعنة! الآن.. لكن كيف أمكنهم ذلك؟ يا الله، أنت في حالة سيئة!"

"سوف أكون على ما يرام، سأكون بخير.. سأتعافى". تنهدت كلوتيلد.

"لكن كيف حدث شيء كهذا؟"

"إنه حادث عارض. توقفت عن مراقبتهم. إنها غلطتي..."

"سنتحدث عن ذلك مرة أخرى. فلتأخذي الطفل ولنعُد على الفور. أنا منشغل بالأضرار والأطفال. سأشرح كل هذا للوالدين. هل يمكنكِ الذهاب إلى المنزل وحدك؟"

اضطلع ريشار بمسؤولية هذه الكارثة. الترتيب، الإرشاد، العقاب، الاستبعاد، شرح قصير مع الآباء. ولقد عبرت كلوتيلد الشارع، خجلي، ومرتبكة. صرخت كلودى مرعوبة لرؤيتها. لقد نظفت وجهها بليفة وماء بارد، وأخذت حمامًا ساخنًا، ونظفت شعرها بالفرشاة، ثم هدهدت ليو واتصلت بوالدته لمساعدتها. كان المبنى في حالة اضطراب. طلبت تبريز الطبيب. أعاداها للسرير. بقيت صامتة، منطوية. أكد لها بيرتران أن جروحها سطحية، جروح الجسم. أنها ستحتاج إلى بعض الوقت وأمرها بأكبر قدر من الراحة لبضعة أيام. بقيت خائرة. كانت الجارات ينتظرن أمام الباب، جالسات في تكتل على درجات السلم، في محاولة لفهم كيف تم جلد كلوتيلد هكذا. لم تكن كلودي مذعورة، كان ليو قد شرح لها. إنها بالتأكيد تكره الأطفال. وتابعت قائلة "الوحوش القاسية والغزاة ومصاصو الدماء ومصاصو دماء الوالدين.. كنت أعلم أن كل هذا سينتهي بشكل سيئ في هذا المكان، كنت أعرف ذلك". حاولت صوفى وسارة تهدئتها، وشكرتا السماء لعدم معرفة مثل هذا العنف. هددت ياسمين بتقديم شكوى، بجرِّهم جمعيًا في الوحل. التحرش النفسي. عدم تقديم المساعدة لشخص في خطر. كانت غاضبة. تنقلت إليزابيث ذهابًا وإيابًا بين تيريز وليو الذي كان يطلب تيد. عندما أغلق بيرتران الباب، كانت كلوتيلد قد نامت.

صعد الجيران إلى تيريز لتبادل كأس المواساة. ألقت هذه الأخيرة خطبة قصيرة قبل أن تشرب، جرعة كبيرة، من "الليليه". نخب الصداقة، المشاركة سعادة هذه الأسرة المكونة في هذا المبنى ضد كل الرياح والمد والجزر. طمأنت الجميع، اعترفت بأن القليل من الراحة لن يؤذيهن، وبالتالي يمكن أن يجهزن لعيد ميلاد ابنة أخيها. أرادت دعوتهن لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في "ليه لاند". "أوجيني ليه بين"، جنتها السرية. وأضافت أن لديها منزلاً كبيرًا بما يكفي لاستقبالهن جميعًا بمن فيهم أزواجهن وأطفالهن. كانت تعد لهذه الإقامة منذ أسابيع. إنها فرصة. هذه الصدمة النفسية التي سقطت على أكتافهن من شأنها أن تسرع هذا المشروع. كان علينا أن نعيش. نتمتع بهذه الأخوة. سيحددن التاريخ الليلة. لقد كانت اللحظة المناسبة، شعرت بذلك.

#### جزيرة الطيور

استيقظت كلوتيلد عند الفجر. هذا الكابوس، دائماً. هذه البكاءات. هذه الضحكات الطفولية. يتكرر مرارًا في دماغها حتى تخرج من هذا السبات. الجسم موجوع. مسبوك في كتلة من الأسمنت تضغط على عظامه. وجه متورم، فم جاف. ربتت على السرير وتأكدت من أنها ما زالت على قيد الحياة. تساءلت عما إذا كان يمكنها الانتقال مرة أخرى. راقبت الجدران البيضاء، الوردة الموضوعة على السقف، وأمل مفاجئ بأن يكون الفرد جزءًا من الكل. عاشت في أحلام شبكة العنكبوت. هذا العنف مطلق العنان أربكها. لم تكن قادرة على البقاء في الجتمع. ومع أنها صدقت ذلك، اعتقدت أنها فهمت. الناس، العمل، الأطفال. لقد ضاعت مرة أخرى وعرفت أن الهرب ليس الحل. كان عليها مواجهة الواقع. هذا الوضوح جعلها تنتعش. سعت خطى على السلم تليها ضربات على الباب. قوية، غير صبورة. فتحت ببطء.

وقف ريشار أمامها، ولا تزال يده معلقة، متألقًا.

"حسنًا.. إنه دائمًا أسوأ في اليوم التالي"، كما قال، متعاطفًا. "كيف تشعرين؟"

"آه.. حسنًا، حسنًا.. أفضل بكثير.. لكنك تعرف أين أعيش؟" "إنه كار الذي أعطاني عنوانك. قادم من مقابلة معه". "هل رُفدت؟"

"لا، سنرى.. هيا، سأترك لك عشر دقائق لترتدي ملابسك ولننطلق. لدي أشياء لأقولها لكِ تحديدًا".

نظرت كلوتيلد إلى قدميها العاريتين. كانت تعتقد بكل تأكيد أنه يسك وظيفتها بين يديه. كان الوحيد القادر على تخفيف الحقيقة. وشكرت السماء على أنه ليس لديها مرآة أثناء اكتشاف جزء من وجهها ينعكس على الصنابير. كان عليها أن تتوقف عن دعكها بالمبيض كي تهرب من فضولها. تستمر في التجاهل. تساءلت عما سيفضي به هذا الرجل لها. ربما أراد أن يوبِّخها ليجعلها تدرك مسؤوليتها عندما اضطلعت بمسؤولية ورش الأطفال؟ على أي حال، كان قد عهد إليها بابنه. كان غامضًا بما فيه الكفاية لإثارة التساؤل بلا حدود. سوف تكتشف كل شيء.

أصعدها ريشار إلى سيارته الكبيرة. من تلك التي لا نراها أبدًا في المدينة. "بيك أب" بيضاء بمقعد واحد في المقدمة ومشمع يغطي الظهر. تركت مكانًا لشخص بينهما. شعرت بالهدوء الغريب إلى جانبه، كما لو كان هذا الرجل، الذي قابلته عدة مرات، مألوفًا لها. قاد بكل سهولة. سارت السيارة على طول ضفاف الجارون للخروج من المدينة. يصفر دون اهتمام مها. بمجرد أن كانت "بوردو" خلفهما، بدا مهتمًا مرة أخرى برفيقته.

"سوف أكشف لك عن جنتي الصغيرة. يحق لك يوم من الاسترخاء! أتمنى أن تكوني قد غت الليلة الماضية؟ كان توني منفعلاً بشكل خاص".

"آسفة حقًّا..."

"أنا أعرف ذلك وما من سبب لذلك. يؤسفني بشدة عدم الوصول مبكرًا إلى المتحف، كما تمنيت. يستحق هؤلاء الأطفال القذرون أن يفركهم شخص بأقوى ما يكون. أتعتبرين أن وقت الوحشية انقضى! انتهى! كفى! أتفهمين ذلك، كلوتيلد؟ لن أكون دائمًا هناك لأنقذك من الوحوش..."

"ماذا تعني؟ أنا لا أفهم... هذه هي المرة الأولى التي..."

"فلترتاحي، كلوتيلد. أتمنى فقط الخير لك وذلك منذ أكثر من خمسة عشر عامًا..."

"..."

"أتذكر ذلك. أخذت أيامًا لأتذكرها. نظرتك محفورة في داخلي. لقد فتشت في ذاكرتي، وماضي، وفي مكان بعيد.. ثم عندما رأيتك، ملقاة على الأرض، متكورة، مكسورة، عرفت. إنه أشبه بفيلم يلف. أراهم ينفجرون غضبًا عليك، يسحبون شعرك، يفركون الرمال على وجهك ويمزقون ملابسك.. أراهم كما لو كانوا بالأمس. أحيانًا أسمعها في الأحلام. هذه الضحكات وتلك الصرخات الحادة، مثل زمجرات ضبع. حركاتهم المحمومة وصوت أحذيتهم تطحن الحصى ليلفوا بشكل

أفضل حول فريستهم. سحنهم عندما اقتربت. سحنتك، مدمرة. عيناك هراوان وعمياوان. لن أنسى أبدًا بؤسك عندما أخذتك إلى المستوصف. ولعدة أيام، راقبت الفناء، مراحيض الفتيات، بحثًا عن مجرم في حاجة لعذاب الألم. رأيتك منطوية على نفسك. تختبئين أسفل الفناء. تقرئين الكتب، كل الأيام المختلفة، ملتصقة بأنفك. تجرين حقيبتك المدرسية خلفك مثل حجر أثناء الذهاب إلى الفصل. تابعت دراستك البائسة، عاجزًا، لا أعرف ماذا أفعل لمساعدتك، محاولاً أن أرى والديك، ومشاهدة والدتك تدير ظهرها لك، لا أجرؤ على التحدث إليها، الاقتراب منك، خوفًا من إلحاق الضرر بك أكثر..."

"البيدق.. لقد كنت أنت، البيدق"، همستْ. "أعتقد أنك أنقذتني هذه المرة أيضًا..."

"دون شك حافظت على حياتك من هذا الدهس اليومي، من الغضب، الوحشية، ولكنني اليوم أنقذ حيات!"

"كىف ھذا؟"

"لقد أصبتني باليأس من البشر".

"..."

"لقد راكمت الشهادات، لم أكن أعرف نحو أي مهنة أتجه. اخترت الطيور في ذلك اليوم! المعادن أيضًا. في الحقيقة الطبيعة. حدثت نفسي بأنني لن أملك القوة الكافية لجعل أقراني أفضل، لكنني قد أكون قادرًا على التأثير على بيئتنا. أن أتمكن من إنقاذ جنتنا الأرضية. تغيير علاقتنا

بالأرض. تهدئة العالم بالتحدث إلى الأشجار والسماء. العثور على توازن ما. فهم الكون. لقد ضعتُ. مؤهلٌ بالشهادة بالتأكيد، ولكن من دون ضوء. بدون أدنى شرارة مما وعدني به المستقبل. جيد في كل مكان، ولكن جيد من أجل لا شيء. عرفت الجميع، إلا نفسي!"

"ماذا فعلت بهذا الطموح؟"

"لقد بدأت بترك الدروس والمدرسة، وغادرت، حقيبة على ظهري. سرت بضعة آلاف من الكيلومترات بين "بوردو" وبيني.. كان لديّ شغف بطائر خاص جدًّا.. وواصلت ذلك بانتظام! ألباتروس".

"ذو الرقبة السوداء؟"

"بالتأكيد. إنه المفضل لديً! عبرت الأرض بحثًا عن هذه الطيور. من جنوب مدار الجدي إلى شمال المحيط الهادئ. تابعت تكاثرها على جزر "أنتاركتيكا" و"شبه أنتاركتيكا". أنا أعرف كل شيء عن رحلاتها. طابعها واسع المدى. سكونها بين عاصفتين. رحلاتها الأنيقة. أجنحتها الرشيقة اللا نهائية. رحلاتها الملحمية. أكثر من أربعين يومًا دون أن تحط، هذا جنون، أليس كذلك؟"

"يقولون إنها مسكونة بروح بحَّار ميت..."

"قد تكون ناقلاتنا للأرواح؟ لذلك، هذا يشجعني على حمايتها!" قال ضاحكًا. "هناك الكثير من الأنواع المهددة بالانقراض.. أتمنى أن

يتمكن ابني بدوره من تناول منظاري ومشاهدة رحلاتها لساعات طويلة. للأسف، أتساءل عما إذا كانوا لا يزالون على قيد الحياة..."

"إلى أين نذهب؟"

"آه! أخيرًا! كما تعلمين، لمخالطة الطيور، نعتاد على الصمت.. ينبغي أن نتعلم النظر والانتظار.. كنت أفعل هذا معكِ لفترة طويلة. أنا أعرف لماذا الآن!"

"أوه حسنًا؟"

"نعم، سأنقذك رغمًا عنك. حتى لو لم أنجح مع طيور ألباتروس، نجحت في أمور أخرى".

"تنقذني من ماذا؟"

"من نفسك. من هذا الصمت الكبير الذي تكبرين فيه.. آخذك إلى مصدر الحياة. سوف ندخل جنة "بوردو" للطيور. أدعوك للغداء في "حديقة طيور البرك". إنه مكان محمي بشكل رائع حيث استحوذ الإنسان على جوهر الوجود، نسمع فيه الطبيعة تتنفس. وهذا الهدوء اللا متناهي يفتح لنا الحقيقة. إنه يوقف الأصوات غير المفيدة، كل هذه القصص السخيفة التي نرضعها منذ الطفولة، وتتيح لها الخروج من أعماق أحشائنا. كما لو أنه لم يعد بإمكاننا الكذب على بعضنا بعضًا مرة أخرى. كأننا أخيرًا، نجرؤ على رفع رؤوسنا والموافقة على أن نكون ما جئنا من أجله إلى الأرض.. نعم، أعرف، تجدينني غريبًا جدًا، لكن

فلتطمئني، أنا في حالة عقلية مستقرة ومستنيرة! قررت أن أساعدك في تغيير حياتك. بالتأكيد أنت علامة على انتهاء عقدي الأخلاقي مع الطيور وعلامة نضوجي الضروري للاهتمام بالبشر! اعتقدت دائمًا أنني لم أكن جديرًا بالانشغال بهم".

"أنت، غير جدير؟ أنت رائع". وهي تحك أنفها في ركبتيها.

"رائع، بالتأكيد لا، وليس لديَّ، للأسف، علاقة مع الإلهي. استغرق الأمر مني وقتًا طويلاً كي أدرك ذلك. ومن الصعب.. لم أستطع إنقاذ زوجتي من السرطان الذي التهمها. اعتقدت في ذلك الوقت أنني قوى للغاية. كنت مقتنعًا بأن لا شيء يمكن أن يقاومني لأنني قررت ذلك. ولا الموت حتى. رحلت دون أن تمهلني الوقت لأدرك. ماتت بنظرة واثقة، وكأن المرء يغفو بيقين العثور على أولئك الذين يجبهم عندما يستيقظ. لم أفهم شيئًا، لا خلال مرضها ولا بعد وفاتها. ونجوت بنفسى لأعيش بعيدًا، حيث لا يستطيع أحد أن يلمسني أو يؤذيني. تركت حتى من خلفي الكائن الوحيد الذي طلبتْ مني حمايته، ابننا. استغرق الأمر منى الكثير من العزلة والشجاعة لأستعيد دوري كأب. مثلي، أنت تعيشين في عالم بعيد، حيث لا يمكن الوصول إليك. لكنك تهربين. حياة المعاناة أفضل من وجود فارغ. لقد شاهدتك، خاصة مع الأطفال الذين تشاركينهم لحظات عميقة. أنت معجزة لهؤلاء الأبرياء وأنت لا تعرفين ذلك. تقدمين لهم سعادة هائلة، مشاركة لا تُنسى. تبنين فيهم موهبة صامتة ستنمو يومًا ما. وأنا لن أسمح لك بالرحيل حتى لو لم تقتنعي، وبعمق، أنت حجر الزاوية في حياة الكثيرين منًّا! أتفهمين؟"

العينان مفتوحتان على اتساعهما على بقعة في السقف لتحديد الزمن، كانت تحلم. لم ترغب في نسيان أي شيء من تلك اللحظات الثمينة التي قضتها معه. تذكرت كل لحظة بشكل مكثف. عقدت حاجبيها لتتذكر الألوان، الروائح. الريح المالحة المندفعة عبر شعرها. المسيرة الطويلة التي وضعت حدًّا لمقاومتها، لصوته العميق الذي يحكي لها عن العالم، صمته المفاجئ عندما يرصد وجودًا ما. ألقى بحصاة صغيرة، وبسبب القرقعة، انطلق سرب من الأوز الرمادي. جابا الغابات والسهول والمستنقعات. كانت تحب خطواته الواسعة، خطوته العملاقة الثقيلة، ويداه العصبيتان المدبوغتان بالشمس، وشعره المتشابك حيث ترقص أشعة الضوء. لم تشوه بصمة الحضارة على ما يبدو طبيعته العميقة والنقية. إنه القوة، الأرض والسماء متحدتان. يبدو طبيعته العميقة والنقية. إنه القوة، الأرض والسماء متحدتان.

أمسكها من الكتفين ووضعت رأسها بلطف على جسده الصلب. سارا حتى المساء، متتبعين الكواكب البعيدة في ظل القمر مكتملاً. اكتشفت النجوم في عنان السماء المظلمة. بالكاد يمكن رؤيتها في قلب

المدن. شعرت في نهاية المطاف بالسلام، وتحررت من الثقل، كما لو أنها تركت هناك كل أسفها، أحزانها، قصصها الحزينة. عقبات السعادة هذه.

عائمة بغرابة في نعومة الصباح، شعرت بأنها ملفوفة بدفء مريح كما لو أن اليد الحامية التي كانت قد وضعت على كتفها ما زالت هناك. حلوة وحازمة. لقد نهضت أخيرًا. خفيفة. ببراعة تقريبًا. كانت قد ارتدت ملابسها على عجل، وغاصت بأنفها على الأرض للعثور على حذائها الذي تخلصت منه في مكان ما بينما كان الجو مظلمًا. لم تكن ترغب في تشغيل ضوء السقف حتى لا تمحو هذا النهار. سعت للحفاظ على عطرها ونكهتها. هذه الحرية الجديدة. كانت محشورة للغاية بين جدرانها الأربعة، ينبغي عليها مغادرة الغرفة، العش. تطير بدورها. تتنفس. تشعر بصدرها يرتفع. الخدين أهران، تجتاحها الحمى. سمعت اللم يخفق في صدغيها. حاولت إلقاء نظرة على انعكاس وجهها على الصنبور. يصنع نفسها بخارًا. تمحوه. هل كانت ودودة؟ الآن بعد أن الرقيقة على جبينها. نظرة عميقة. شيء ما أصيل. حتى لو لم يدُم ذلك، الرقيقة على جبينها. نظرة عميقة. شيء ما أصيل. حتى لو لم يدُم ذلك،

صفقت الباب، اندفعت على السلالم، وقفزت الدرجات الثلاث الأخيرة، مثل ليو، وسقطت في وضع مستقم تمامًا على قدميها. علامة النصر. الحظ أيضًا. توازن جديد. كانت قد ركبت دراجتها وانطلقت نحو ضفاف النهر لتلقي رائحة البحر، والضباب الصباحي. اللون

المشرق للنهر المتموج مثل سمكة ضخمة. تدوس على البدَّال بقوة. اتجهت إلى اليمين عندما خرجت من شارعها. الأسهل الاستدارة إلى اليمين، دائمًا. دون معرفة السبب حقًّا. اتجاه "مرآة الماء". أرادت أن تتمنى أمنية. كانت تؤمن بسحرها. الخرافة؟ "إذا عبرت حافية القدمين، سوف تُقبل أمنيتي. إذا جئت عندما ينبثق الضباب، فسيحبني". تصرفات صبيانية. من أين حصلت على هذا الفرح؟ هذه البساطة الجديدة؟ خفة الجسم والروح. تندفع، ماسحة بنظرها الواجهات الشاحبة لميناء القمر. ترى من بعيد، تسرب الأبخرة من هذه المرآة المسطحة الكبيرة الموضوعة على الأرض والتي انعكست عليها المباني الفخمة. يركض شباب في جميع الاتجاهات عبر الرطوبة البيضاء التي ارتفعت. لنسيان ليلة من السُّكْر. كانوا يترنحون ويغنون بصوت عال ترديدات بالية. أرادت أن تكون وحدها. مع فيلمها "التكنيكلر" في الليلة السابقة. دون الآخرين. دائمًا هذا التخوف من الاتصال. يشمون ذلك، مثل الكلاب. صنعت دائرة كبيرة للعودة. اندفعت منخفضة الرأس، مرتجفة الذراعين. وهم النحافة. ألم مبرح في الساقين للسيطرة على مطيتها. سعيدة بألمها. تعانى لتكون جميلة. كانت تسير على طول الحظائر المهجورة. كان النهر الكانس والقوى يجرف أشكالاً غريبة من خلال تياره. يفتن. ينبغي تتبعه. نسيان الجهود. تعد بصوت عال لتمنح نفسها شجاعة هذه المخازن القديمة المزخرفة بحروف ضخمة، والمرسومة على واجهاتها بألوان رخامية كما كان من قبل، في عصر التجارة الكرى. " .H14. H15 H17 .H19". تقوست على المقود، وأسرعت حتى لا تفكر في ربلة

ساقها المؤلمة. شاهدت فجأة الأعمدة العملاقة لجسر "بابا" ترتفع. هكذا تطلق عليه. كان بالتأكيد لديه اسم، لكنها لم تكن تعرفه واعتمدت هذا الاسم المستعار. "باكالان" و"باستيد"، وهما ضفتان متقابلاتان. واصلة هائلة تقدم ذراعيها إلى القوارب عابرة النهر، كما لو كانت تأخذها بين شباكها، تبتلعها. ترفع جسمها القوي ويطوي العمود الفقري لإعادة المدينة إلى بر الأمان. علاوة على ذلك، أحواض السفن لم تكن سوى أرض وقطران. كما لو أن الجميل يجب أن ينتهي باختراق الأحواض. حتى الضوء تغير في هذه المنطقة المهجورة حيث يمكننا رؤية ظلال القوارب أثناء تجديدها. رفعت يدها لمسح وجهها، وتشبثت بالأخرى على المقود. ضيقت عينها لبضع ثوان، واستمعت فقط إلى أنفاس الربح. وجدت نفسها في الليلة السابقة، جزء من الثانية. جرعة من الطواء النقي. الأكسجين. وحدة فيلمية. فتحت عينيها للعودة إلى الضفاف، بعد نزهة في الماضي.

توقفت اللعبة فجأة. الوقت معلق. أمامها، جسور، حيوان القندس ينظر إليها. استقر في وسط الطريق، تكوم على الطريق، مقوس الظهر، كان في وضعية الهجوم. ذيله السميك مستلق على الأرض، طويل، مخيف. كانت تحدق فيه، بؤبؤ العين متسع، ونفس قصير. سرعان ما انتابها دوار، خوف غير عقلاني، فرملت بعنف للهروب من الوحش. انحرفت الدراجة واندفعت باتجاه النهر، فاصطدمت بعمود مرسى بعنف. صدمة قوية ورنانة. ثم قفزة. مثل قطة كبيرة. طارت فوق المياه الرمادية، بشعور أن الوقت بمر ببطء بحيث

يمكن أن تفصل عنه الثواني. ثم انهارت، لا تزال تتشبث بآلتها، دون فهم. ضجة مدوية. كما لو أنها تكسر الجليد. تملك منها البرد. اختنقت. المفاجأة. الجلبة. اخترقت الموجة الباردة جسدها. اندفع القارب إلى الأمام. تركت يديها وحررت ساقيها للوصول إلى السطح. لكنها استمرت في الغرق. تشبثت بكل قوتها. شالها "البيروي" الطويل خنقها فجأة. كلما تحركت أكثر، يضيق عليها الخناق. فهمت حينئذ. جحظت العينان. كانت المياه مظلمة وتسكنها أشكال متحركة. لم تستطع القتال. عاجزة. النهاية الحتمية مرت بذهنها. متشككة أولاً. ثم تدرك أنها يجب أن تقبل، أنه ليس لديها خيار. لم يعد لها في نهاية المطاف سوى قرار متى تتنفس. مسألة الدخول إلى الموت. مثل البرق. للذهاب بسرعة. هي التي أرادت أن تعيش هذا الصباح أصبحت الآن عالقة بحياتها في فخ أحمق. مصبر مميت، ثابت. رحلة غريبة. شعرت برئتيها تتمزقان. ظهر الذعر عليها. متعذرة الكبح. هذه الرغبة في فتح كل شيء. للعودة إلى السطح. للقبض على السماء. دراجتها ثقيلة جدًّا، متشبثة بجسدها، استمرت في التدهور. مرساة إلى العدم. لم تلمس القاع أبدًا.

بين عالمين، في ومضة، رأت الكل في ضوء كهرماني جميل. هو، ملاكها الحارس. صورته الظلية العريضة المقدودة مثل شجرة. نظرته الحانية. ومضة زرقاء. أين كان؟ لم يستطع تركها حقًا. استدار. وأشار لها إلى السماء بابتسامة حلوة. بدأ تحقيق وعد أنهما سيضيعان ثانية، لكن المهلة قصيرة. كان يشبه والده في إساءة الفهم. لم تكن تفكر في ذلك قط وفجأة أصبح واضحًا. هي، كلودي. الإلهية. الأنثى. تمضغ علكة

الفراولة وتقرقع بين أسنانها البيضاء. غمزت لها، بتشجيع. ما يشبه التكشيرة لجعلها تضحك. ومررت أصابعها خلف ظهره. ليو. صاحبها الصغير. الدافئ للغاية على صدرها يقول: "أحبك تيد". بدا رقيقًا للغاية، واثقًا. لاڤيلين، عمتها الحبيبة، أخطبوط، ملقاة على سريرها الطاهر. مثل كفن. هزت رأسها من اليسار إلى اليمين، يبدو أنها تتأسف وتغفر أيضًا. وكأنها تنظر إلى طفلها بحنان بينما يتحدى الحرمات. وجميع الأخريات. كل النساء في المبنى. هشات وقويات في نفس الوقت، محكومات بحياة يحلم بها المرء دائمًا في مكان آخر. كُنَّ في سلام. أخيرًا.

تتسلق كلوتيلد سلمًا لولبيًّا أهر مهيبًا يصعد نحو السماء. يظهرن في الضوء، يُشرن بأنوفهن نحو البسطة. حينئذ، شعرت حقًّا بشيء ينفلت منها. مثل حبل ملفوف ينفك. ابتسمت وأخذت نفسًا عميقًا. قالت إن الحياة كانت جيدة، الجسم أيضًا. إنها لن تكون سيئة للغاية. إن النهاية كانت مفاجئة لأي شخص لم يعِش أبدًا. لم يكن لديها الوقت لتسير على الطريق بين السيارات. قطعًا ليست موهوبة، كما كانت تؤكد والدتها. والدتها بالتحديد، كانت لديها فكرة أخيرة عنها. عابرة وحنون. الأمهات حلوات جدًّا بحيث عليك أن تحبهن. مهما حدث.

"عمل فني. أنتِ تتحدثين عن عمل فني!" تمتمت كلودي وهي تحك أردافها في الزجاج الكامد للمقعد العمومي الذي وضع مؤخرًا بجانب الأرصفة. "لو كانوا قد وضعوا لي مقعد "إيكيا" لصار جيدًا بالنسبة لي، بصراحة!" كانت تتلوَّى بينما تحاول اكتشاف معنى الحروف المتداخلة المحفورة في المادة. إنها تتذمر كما في كل مرة عندما تتحدث دائمًا عن الفن المعاصر مع صديقتها كلوتيلد. كانت تحب أن تناضل معها من خلال حججها القاطعة. أرادت أن تحتفظ برأسها باردًا في محيط البورجوازية العليا. البلهاء. أولئك الذين بجانبهم تشعر دائمًا بالتدني. جاهلة. إلا أنها تتلبس بالجريمة خلال لفتة لم يكن ينبغي القيام بها أو كلمة صاخبة تمامًا. بليدة، سوقية. عالم كانت قد استقالت منه إلى الأبد.

بالتأكيد، منذ اختفاء كلوتيلد، لم تعد تستطيع حتى النظر إلى واجهة المتحف. ومع ذلك كان يهدئها التفكير في أن هذا المستودع كان موجودًا عند قدميها بالضبط. لذلك احتفظت بالقليل من الأمل. جاءت لتجلس على مقعد لتترك الوقت يمر. كانت قد طرقت بابها ساعةً بعد ساعة، دون فهم. كانت كلوتيلد حاضرة دائمًا بالنسبة لها. لقد شعرت

بالقلق. لم يكن هذا طبيعيًّا. قررت بعد ذلك تعقَّب ريشار الشهير ولقد هبطت عليه ذات صباح، أمام المبنى. بشكل حاد. كم كانت تسطيع فعل ذلك على نحو جيد!

"أين هي، صديقتي؟ ماذا تفعل معها؟ لا ينبغي أن تحكي لي عنها كثيرًا! كما ترى، أخمن ما تريده منها!"

"عمَّن تتحدثين؟" أجابها، مستغربًا.

"عن كلوتيلد. السمينة. الرائعة. الشخص الذي يعتني بلعبتك أو طفلك، الأربعاء في المتحف! لذلك، لا تخبرني أنك لا تعرفها، هيه؟ سمعتك تطرق بابها!"

"آه، فهمت. إذا كنتِ قد قررتِ أن تلتهمي سيجارة أو تمضغي علكة الفراولة، كنت سأحدد على الفور كلودي! هذا كل شيء، أليس كذلك، أنت كلودي؟ صديقة كلوتيلد".

"نعم، يا بطل! ليست فقط طيور الألباتروس التي تعرفها. أين هي إذًا كلو؟"

"حسنًا! عزيزي، لقد عادت منذ يومين إلى منزلها. بالتحديد منتصف ليل أول أمس. بالتأكيد متأخر قليلاً، لكننا سمحنا لأنفسنا بإغراء القليل من البيرة في طريق العودة إلى البيت وأتعهد لك أنني أودعتها كرجل نبيل أمام بابها..."

"نعم.. لذا، الأمر خطير!"

"لأنها ليست هناك منذ يومين وأن هذا غير ممكن. ليس هي. لا تخرج بمفردها أبدًا للتنزه وتتصل بى قبلها..."

ذهبا إلى مركز الشرطة وعادا خاليي الوفاض. حزينين. يملأهما القلق مع كل هذه القصص عن الغرقى التي كانت تنتشر منذ أشهر وهؤلاء الشباب الذين اختفوا في ليالي العيد، وهم في حالة سكر من زجاجات الكحول الرديئة التي شربوها بسرعة وتركوها في الليل. لكن كلوتيلد لا تشرب. لم يكن بوسعهما الوقوف. افترقا دون أن يُحيي كل منها الآخر. الظهر في الظهر، كل منهما في أفكاره. لم تعثُر على النوم تلك الليلة. كانت تدور وتلف في سريرها الكبير الفارغ. كان ستانيسلاس في نهاية العالم. لا يوجد أبدًا في الوقت المناسب.

في الصباح، كانت تسير على أطراف أصابعها لتجنب الأفيلين. الأ أحد يتجرأ على التحدث معها. كانوا جميعًا مشغولين بشكل غريب. يهرولون تقريبًا على السلم للهروب من نظرة تيريز القلقة ونظرة ليو المحبطة، الذي، مجددًا، لم يعد يغادر سلمته، السابعة. لم يعد يترك قطه. يلعب بسيارته لساعات. يحكى لنفسه قصصًا بصوت رتيب.

ثمة جدة كانت تنزه كلبها قد لاحظتها. مرتجفة، نبهت الشرطة. وقالت إنها تعتقد أن هناك ميتًا، هناك، في النهر. "مرة أخرى!" أجابت الشرطة. إنه أسفل الجسر. كان الثاني في الأسبوع. في اليوم الآخر، عُثر

على رجل بلا مأوى ليس بعيدًا عن "مطاعم القلب". كان يستعد لهذا المشهد. الغرقي، إنه أمر قذر. فكرنا في ذلك لعدة أيام. هاجس.

كانت كلوتيلد مستقيمة في الماء، مثل شجرة، ولم يكن يُرى سوى طرف جمجمتها وذراعيها المتباعدين. تقريبًا كما لو كانت تسير على سلك. لقد أخرجوها من هناك. هي، إيشاربها مفرود ودراجتها معلقة. "لها وزن حمار ميت"، همس رجال الإطفاء. كانت منتفخة للغاية. مثل بالون. الجلد متقشر تقريبًا، وأبيض، شعي. العينان مفتوحان على اتساعهما، كما لو كانت مندهشة. شعر ناعم. كانت جميلة بالنسبة لامرأة غارقة. فقط عدد قليل من الكدمات الباهتة قليلاً على الرقبة.

كانت كلودي تقترب من الجثة للمرة الأولى، ليس ريشار. يفقد أحد أحبائه للمرة الثانية. قاومت كلودي. مضمومة القبضتين. أرادت رؤيتها عن قرب. ثم استدارت وتقيأت بين حذائها المدبب. أمسكها ريشار من جبهتها وهمس لها أن تتنفس. لقد أطلقت صرخات صغيرة من الألم. ترتعش من جميع أطرافها. لم تكن تعتقد أنها يمكن أن تعاني هكذا. مضى وقت طويل منذ أن أغلقت كل شيء حتى لا تعود للألم. كانت تعرف. يومان كاملان من التعذيب ثم فجأة الحقيقة. ولا حتى وقت للكلمات. لنحكي لبعضنا النهاية، للاستعداد للأسوأ، لتصور وقت للكلمات، لتلقي رسالة. مجرد صورة امرأة سمينة تتدلى من وشاح "بيروفي" عالقة في عجلة دراجة. امرأة باردة ورمادية لا تتوافق في أي شيء مع كلوتيلد، الدافئة والمهجة. الخجولة والكتومة. تخجل من أدن شيء مع كلوتيلد، الدافئة في آلتها. تلك الوحيدة التي كانت ستقدم لها

حرية مغادرة الشوارع الأربعة التي تحيط ببنايتها. تتقيأ. تشبثت مرتجفة في جسم ريشار الكبير. مثل طوق نجاة. قارب سكران في العاصفة. "لا تتركني"، همست له، "لن أكون قادرة على البقاء وحدي. عانقها. احتفظ بها قبالته حتى يجعل الألم يغفو. لقد وعد بأن يكون هناك دائمًا.

يحلق طائر ألباتروس فوق النهر. حلق منخفضًا وأخذ في الارتفاع ليمر فوق رؤوسهم مُطلِقًا صرخة أجش. ريشار رأى بوضوح رقبته السوداء.

عانقت مارتا أخت زوجها، ثم طلبت البقاء بمفردها مع أختها. مثل إنسان آلي، ذهبت إلى نهاية الشقة. وضعت تيريز سريرًا أبيض ضخمًا في غرفة النوم الكبيرة في الخلف. كان مصراعي الشباك مغلقين. ثمة شموع تفنى في جميع أنحاء الغرفة. كان الجو موحشًا، غامضًا. إحساس غريب. عبرتها مشاعر عنيفة. "غير مقبولة"، هذا ما كررته. ابنتها ميتة بينما كانت تعتقد أنها آمنة أخيرًا. كل يوم وكل ليلة منذ مغادرتها، كانت تأمل في مكالمة، لقاء. أرادت التحدث معها، الحكي، الإصلاح. الاعتذار. نسيان كل هذا الفترة المشوهة.

كانت كلوتيلد هناك، ممددة. البشرة شمعية. عيناها الزرقاوان الجميلتان مغلقتان إلى الأبد. يداها مضمومتان على كتاب. اعترفت مارتا بالفعل، في هذا المشهد، بهوس زوجة أخيها. كتاب بدلاً من الصليب. تجديف. استفزاز. "ألبرت كوهين". الرواية الحببة لجدتها. "الرب الطيب". الكثير من المراهقين انهارت قلوبهم. لا صليب لمن لم يعد يؤمن بالله. لم يعد أبدًا. الظلم المفرط. مصيبة أخرى حيث كانت هذه الطفلة مسرورة جدًا.

لقد تركت فتاة وعثرت على امرأة. وديعة، أنيقة في فستانها الحريري الداكن. كانت ترتدي خاتمًا كبيرًا بحجر أسود يغطي الإصبع

كله. مصفى. كانت الأم تود أن تلمس ابنتها، لا يمكنها القيام بذلك. لا تريد أن تشعر بالبرد. جسم متصلب وغريب. تتخيل أنها كانت تنام نومًا هادئًا، وهكذا يمكنها التحدث معها، كما كانت طفلة في المهد. تهمس. كي يُسجل عقلها. لم يعد بإمكانها أن تفعل ذلك عندما تصير أكبر. عندما تلسع الكلمات مثل سوط. لم تكن تريد أن تدمرها، صغيرتها. صغيرتها للغاية.

"أحببتك دائمًا".

تهمس بصوت منكسر.

"كانوا ثلاثة. كانوا سكارى. أجبروني، عمك ورفاقه. ضحكوا كالجانين. قالوا إن والدك لا يلاحظ ذلك. أنه غير قادر على أن يجعل لي، هذا الطفل، من البداية. ومعهم، سيكون لدي بالتأكيد ثلاثة توائم. أنهم سيعودون عندما أريد ذلك. وارتعشت. لعدة أشهر، ارتعشت. لقد ولدت من هذا العار. ومع ذلك أحببتك، كنت أريدك. لكنني لم أستطع القبول أبدًا. لقد كرهت نفسي لحبي لك. لم أتمكن أبدًا من مسامحة نفسي لإبقائك غير محبوبة للغاية. مسمّمة بحزني".

صمتت. غير قادرة على الذهاب أبعد من ذلك. الحلق محترق. تتراقص صور لا تطاق وراء عينيها المغلقتين. روبر، الكامن في الظل، اقترب. أمسكها من ذراعها. كان يعلم. منذ البداية. تفاخر الرجال السكارى. شاع ذلك في الريف. علم الجميع، ولم يتكلم أحد. كان الأمر هكذا، في قريتهم. كان ينبغي أخذ الأمر بشدة.

## طائر الألباتروس

كانت كلودي متأكدة من ذلك. كان الزجاج المصنفر لهذا العمل المعاصر أكثر برودة من أى مادة.

"تشعر بذلك هناك، أليس كذلك؟"

داعب ریشار خدها، مستمتعًا.

"بمَ ينبغي أن أشعر حلوتي؟"

"أن الزجاج يُبرِّد الأرداف بينما يدفئها الخشب. بالتأكيد في الحدائق العامة، ستحد مقاعد خشبية بأسهل ما يكون!"

"من ينسج جواربك! حسنًا! ليقال هذا، بدلاً من انتقاد المصمم الذي اخترع هذا المقعد؟"

"تحدث ببساطة، أنفر منك عندما تأخذ هيئة مدرس الكلية!"

"يا! انظري إلى النهر.. لقد أتيت لأرى مرور طائر الألباتروس أسود الرقبة!"

"هل تعتقد أنها هي؟ هل تؤمن بجدية بكل كوكتيلات التناسخ هذه؟ رجل جاد مثلك؟ ليس من المعقول على أي حال!"

"أنا متأكد. أنا أخبرك أنها هي. هذا الطائر ليس هنا أبدًا. وليس لديه سبب علمي ليكون هنا. يظهر فقط عندما يوجد كلانا. هذه علامة واضحة، أليس كذلك؟ باختصار.. فلنكن براجماتين! هيا، فليكن.. إنه الوقت المناسب. أشعر بها".

"كلو، أعلم أنكِ معنا، لذا أردتُ أن أُخبرك، فقط لك، لأنه ما زال مبكرًا تمامًا.. نحن ننتظر طفلاً.. انظري، هذا الشيء أقسمت أنه لن يكون لدي.. حسنًا، لقد حصل! وأنا لا أستطيع حتى إخبارك أنه حادث عارض يا كلو. تعرفينني. لقد كنت أريد حقًا طفلاً مع ريشار. حقًا".

"ونحن سعداء للغاية، يا كلوتيلد، لهذا الخبر. أردنا أن تكوني أول من يعرف.. نحن نفتقدك".

"لا للميلودراما، قلنا! إيه! لا تلمس.. ريشار.. ابعد كفيك عن بطني! لا يمكنك أن تعرفي، يا كلو، لا يتوقف عن تحسُسي. ليس لطيفًا، الفضوليون! هم أسوأ من غيرهم. قلت لك ذلك كثيرًا".

الكتب خان للنشر والتوزيع®

۱۳ شارع ۲۵۶ - دجلة - المعادي - القاهرة.

تليفون: ۲۰۲۲۰۱۹،۰۲۷۸ – ۲۰۲۲۰۱۷۰۲۲+

بريد إليكتروني: info@kotobkhan.com

موقع إليكتروني: www.kotobkhan.com

